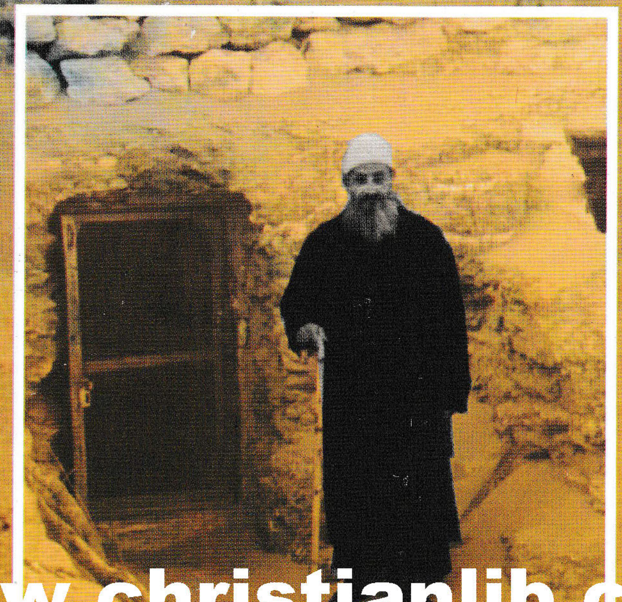
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت



توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانية والكنسية

القيت في وادي الريان في العامين ١٩٦٧ - ١٩٦٨

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

توجيهات وكلمات
في الحياة الرهبانية والكنسية

ألقيت في وادي الريان
في العامين
١٩٦٧ - ١٩٦٨

الأب متى المسكين

كتاب: توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانية والكنسية
ألقيت في وادى الريان في العامين ١٩٦٧-١٩٦٨
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولي : ٢٠١٥.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٤٦٤ / ٢٠١٤
رقم الإيداع الدولي: ISNB 978-977-5545-80-0

متى المسكين، ١٩١٩-٢٠٠٦
توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانية والكنسية
ألقيت في وادى الريان في العامين ١٩٦٧-١٩٦٨
متى المسكين.وادى النطرون
دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ٢٠١٤. ٢٠١ ص؛
٠٠سم
١- تدمك ٠-٨٠-٥٥٤٥-٩٧٧-٩٧٨
٢- الرهبنة
أ. العنوان ٢٧٨٫٦

توجيهات وكلمات
في الحياة الرهبانية والكنسية

أُلقيت في وادي الريان في العامين ١٩٦٧، ١٩٦٨

كنز نفيس للراهب الباحث عن الطريق

خبرة رهبنة الصحو الجدي

والترحال الروحي

بالرغم

من الطرد والمطاردة والتشهير والتجريد

عشر سنوات مدة

متى المسكين

٣/ ٢٠٠١

مُقدِّمة

هذه توجيهات في الحياة الرهبانية كان يلقيها قدس الأب الطوباوي طيب الذكر القمص متى المسكين خلال عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٨ على الرهبان الذين كانوا معه في وادي الريان (١٩٦١-١٩٦٩) حينما دعاهم قداسة البابا كيرلس السادس في يوم الجمعة ٩ مايو ١٩٦٩ للانتقال إلى دير القديس أنبا مقار لتعميره وتجديد الحياة الرهبانية فيه. ولأنه لم يكن هناك جهاز تسجيل لدى الرهبان في وادي الريان، فقد كان الأبوان الراهب كيرلس المقاري (تنيح ١٣ فبراير سنة ٢٠١٢) والراهب موسى المقاري (الأنبا أندراوس مطران دمياط فيما بعد — تنيح عام ١٩٧٢) يقومان بكتابة نص الكلمات من الذاكرة بعد الانتهاء من إلقاء الكلمة. فيما عدا بعض العظات الأخيرة التي نُقلت من جهاز التسجيل.

وقد قمنا بضبط القواعد النحوية ونصوص الآيات وتسجيل مواضعها في الكتاب المقدس.

وقد قام قدس أبينا الطوباوي القمص متى المسكين بمراجعة النص وكتب تعليقه المنشور صفحة ٣ بخطه مع تاريخ كتابة التعليق.

نقدِّمه للقراء للمنفعة.

مما يُذكر أن الأب متى المسكين غادر مع الرهبان منطقة وادي الريان يوم الجمعة ٩ مايو عام ١٩٦٩، ومنذ ذلك التاريخ لم تعُد له أية صلة بهذا المكان حتى نياحة قُدسه في ٨ يونية ٢٠٠٦.

المحتويات

✠✠✠

توجيهات في الحياة الرهبانية
(عن الإماتة)

يناير ١٩٦٧

الراهب أتى من العالم وارتضى أن يموت وسلّم إرادته ومشيئته وجسده ونفسه لله، ليس له بعد ذلك أن يقول إنه يطيع بإرادته أو يعمل شيئاً بإرادته. الذي يظنُّ أن أعمال رهبانيته يعملها بإرادته، هذا لم يُمت بعد وكل جهاده وأعماله ليس لها أجر! الشخص الميت لا يسعى ولا يقول إنه يموت من أجل الله أو إنه يعمل إماتة، هذا كله خداع.

أنت أُهنتَ أو احتُقرتَ، فما عليك إلا أن تسجد لله شكراً وتصمُت ولا تقول لله إنك من أجله تموت، لأن ذلك يدلُّ على أنك لم تَمُتْ بعد.

كل أعمالك التي تعملها قبل موت الذات لا تؤول إلى شيء ويظل خلاصك معطَّلاً.

أنتَ غير حرٍّ في إطاعتك للأب الروحي لأنك بعتَ نفسك للمسيح وارتضيتَ من الأول أن تكون عبداً لله وليس لك إرادة أو مشيئة، فإذا أَطَعتَه في شخص الأب الروحي فإنك لم تفعل شيئاً غير الواجب.

السيد المسيح ارتضَى أولاً أن يُصلَب وهو قال: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢ : ٢٧). ولكن لما أتى وقت الصليب قال للآب: «يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك» (مت ٢٦ : ٤٢). أى أنه لم يذهب بنفسه للصليب بل صُلِب خارجاً عن إرادته التي سلَّمها لإرادة الله!! فأنت أتيتَ إلى الرهبنة بإرادتك وارتضيتَ أولاً أن تموت من أجل الله، ولكن في الرهبنة لابد أن تصل الضيقة فوق إرادتك وهواك ومشيئتك لكي تُكمِّل الصليب. لابد أن يكون صليبك فوق المشيئة لكي تنال الخلاص.

وأنت بالنسبة لأخيك الأكبر أو الأصغر في الرهبنة عندما تطيعه وتقطع مشيئتك له حتى ولو كان الذي يأمرك به غير موافق عقلك وتفكيرك، فأنتَ تطيع بالرغم من إرادتك وبالرغم من هواك لأنك أنت ميت الآن وليس لك إرادة ولا هوَى وأنت لستَ حرّاً في طاعتك هذه. أما إن كنتَ تطيعه بإرادتك فأنتَ تعمل شيئاً بِهواك، وهذا لا أجر له، ويدلُّ على أنكَ خارج الطريق وخلاصك معطَّل.

أحياناً تظنُّ عندما تريد أن تنام أن المسيح سوف يحافظ عليك من خطر الموت سواء من وحوش أو لصوص، وترشم ذاتك بالصليب واثقاً أن السيد المسيح قادر على ذلك ثم تنام، هذا خداع. الواجب أنك تعتقد أنك إنسانٌ ميت أو بالأحرى تنتظر الموت في كل يوم، وها أنت تُقدِّم نفسك ذبيحة للمسيح طالباً أن يقبلها وبأية صورة يقبلها. فأنت تنام والموت بين عينيك. فإن كنت حتى الآن تخاف وترتعب من الموت وتخاف على جسدك وتحاول أن تُطمْئِن نفسك بوعود إيمانية أن الرب لابد أن يحافظ على جسدك، فأنت لم تُمت حتى الآن و لم تحصل بعد على خلاصك. أنت أتيت إلى الرهبنة والمفروض أنك مُتَّ وها أنت تحيا مع المسيح.

لا تأخذوا أعمال التحقير والإهانة سواء من الأب أو من الإخوة على محمل التفكُّه، فإن ذلك يُفسِد الحياة الروحية. كون أن الأب أهانك أو سفَّه رأيك، فهذا خاص بذبيحة حياتك ليعلن موتك أمام المسيح، فتقبَّل ذلك بوقار واحترام وشكر كثير إلى المسيح.

كل شيء تعملونه يكون بنظام، ولا تمد يدك على شيء إلا بعد سؤال ومشورة، ولا تعمل شيئاً بِهواك فإن في هذا موتك.

✠✠✠

توجيهات رهبانية (٢)

٢٦ يناير ١٩٦٧

الرهبنة = إماتة الذات للاتحاد بالمسيح

الأب الروحي لا يستطيع أن يفرض إماتة كاملة للراهب، لأنه مفروض أنه يتكلم ويُوجِّه وينتهر لخلاص نفس الراهب. كل عمله هو للبناء، فتستطيع الذات أن تتحايل وتُثبِت وجودها بالاستجابة إلى كلامه والطاعة إلى توجيهاته واحتمال إهاناتِه. الأب الروحي ممكن أن يعمل إماتة للراهب لو كان سلوكه الروحي خطأ وهو لا يهتم بخلاص نفسه، فيتحامل عليه ويغضب بل و"يضطهده"!

الذي يمارس الإماتة بكل سهولة في المجمع هو الأخ، لأنه معروف أن مثل هذا الأخ لا يهتم في كثير أو قليل في بناء أخيه، بل على العكس ربما بدون قصد "يحطِّمه" أو"يهينه" أو"يزدرى به". هذا هو الشخص الوحيد المناسب واللائق لتحطيم الذات لدى الراهب وعمل الإماتة الحقيقية. هذا هو الشخص الذي يستطيع أن يكسر (قرن) الراهب الذي ما زالت ذاته حيَّة. الراهب الحكيم هو الذي يسلِّم نفسه لمثل هذا الأخ حتى يعاونه على كسر (قرونه).

لا تظن أنك تستطيع أن تُميت ذاتك بنفسك. أيسر لك أن تقطع ذراعك من أن تكسر "قرناً" لذاتك. لذلك فإن الأخ القاسي العنيد الشرس الموجود في المجمع هو أحسن وسيلة لكسر "قرونك"، فلا تكرهه ولا تهرب منه ولا تصدَّه لأنه يكسر لك "قرونك" مجاناً.

إياك أن ترفض رذالة أخيك وتعدِّياته وتردَّه عنك سواء بكلمة أو بعمل معاكس، لئلا تخسر هذه المعاونة الجبَّارة التي يعملها فيك.

كلما سلَّمت نفسك لأخيك ليكسر منك قروناً،كلما تقدَّمتَ في حياتك الروحية. فهَبْ أن لك عشرة قرون وسلمتَ نفسك لأخيك

بالخضوع والإذلال وقبول الإهانة والمحقرة منه، فسوف يكسر منك ٣ قرون مثلاً، ثم سلمتَ نفسك إلى أخ آخر وخضعتَ له بانسحاق ومذلّة فكسر منك ثلاثة قرون أخرى، فقد ربحتَ من أخيك. وفي النهاية تستطيع بواسطة اِخوتك المشاكسين أن تميت ذاتك بالكلّية وتكسب المسيح والملكوت. أنت ستكسب لا شك في ذلك، أما أخوك المشاكس فسيخسر.

إن أردتَ أن تلخِّص الرهبنة في كلمات، أقول لك: إنَّها **إماتة الذات بالكلّية لكي تتحد بالرب يسوع.**

سؤال مهم : هل يجوز لي أن أخضع للأشرار؟

أنا شخصياً كنتُ أرفض هذا جداً فخسرتُ بركات كثيرة. الإنسان الذي يتمسَّك بالرب ويسير وراءه ويقدِّم حياته بالكُلّية له يستطيع أن يُخضِع ذاته للأشرار ولا يخسر. فالحصان الذي يجرُّ العربة غير مسئول عن السير إلى اليمين أو إلى اليسار أو حتى عن العثرات والفجوات الموجودة في الطريق. هذه كلها مسئولية السائق. الحصان مسئول فقط عن الاستجابة لتوجيهات السائق، يعرف جداً توجيهاته، فإذا ضربه سوطاً يعلم أنه يجب أن يجري، وإذا شدَّ اللجام يعرف أنه يجب أن يبطئ، وإذا شدَّه من اليمين يدور إلى اليمين، وإذا شدَّه من اليسار يدور إلى اليسار. هكذا الإنسان الذي سلم قيادته للروح القدس لا يهمُّه إذا جابه الأشرار وخضع لَهم طالما الروح هو الذي يقوده. الروح يستطيع في لحظة أن يوقِف هذا الخضوع ويقول له: لا تتقدَّم ولا خطوة واحدة، يوجد خطر على حياتك. ويستطيع أن يقوده بحكمة فيتفادى الخطر. يقول المزمور: «صرت كبهيم عندك. ولكني دائماً معك أمسكت بيدي اليمنى» (مز ٧٣ : ٢٢، ٢٣). المهم جداً أن تكون البهيمة طائعة لتوجيهات سائقها، فلن تَهلك، لأن السائق مسئول عن حياتِها وروحها.

فالآن، وإن كُنَّا قد علمنا أنه يجب أن نُخضِع ذواتنا حتى للأشرار ولن نخسر روحياً طالما نحن متمسِّكون بالرب، فكم بالحري يكون خضوعُنا

هاماً ولازماً لإخوتنا القديسين الذين معنا في المجمع؟! أكثيرٌ عليَّ أن أتنازل عن رأيي ومشيئتي وأُخضِع ذاتي لأخي الذي أُحبُّه، حتى ولو كان رأيه خطأً في نظري؟!

في ترنيمة للقديس أمبروسيوس واضع الترانيم والألحان في الكنيسة الرومانية يقول في هذا الصدد: [إن الذين غلبوا ذواتِهم **conquered themselves** هم الذين يُقبَلون في الخورُس السمائي].

✠✠✠

في مفهوم الطاعة في الرهبنة

(تلخيص)

مارس ١٩٦٧

سؤال: هل الطاعة في مفهومها الرهباني هي: أن يطيع المبتدئ طاعة عمياء وينجح في ذلك، فيُعطَى له التصرف والحرية؟

جواب: الطاعة في الحياة الرهبانية لها خطان واضحان ومنهجان معروفان من سير الآباء:

المنهج الأول: طاعة عمياء بلا تفكير. وهذا منهج يأخذه الإنسان لنفسه كل الحياة ولا يرجو من ورائه أي شيء سوى أنه نوع من الإماتة الكلية عن ذاته. مثل هذا الإنسان لا يحتاج إلى كتب لكي يتعلم أو حتى إلى الإنجيل لكي يفهم الوصايا ويعمل بِها أو إلى كلام روحي ليتعزَّى به. هو شخص وضع في نفسه أن يطيع حتى الموت، وإذا احتُقِر لا يتضايق، وإذا كُرِّم لا يهتم، ووضع في نفسه حكم الموت تماماً.

هذا المنهج نادى به بعض الآباء، ولكن ليس الآباء الأولون الكبار في الرهبنة.

المنهج الثاني: هو الطاعة المتحكِّمة العاقلة. وهو ما يسميه الأنبا أنطونيوس **الطاعة مع الإفراز**، أن يطيع الراهب في حدود وصايا الإنجيل، أن يختَبر كل شيء ويتمسَّك بالحسن. حكمة ليست من هذا العالم، إذا أُمِرَ بشيء لم يفهمه يسأل عنه. إذا رأى أن الأب أعطاه أمراً، وهذا الأمر بدأ يُحرِّف حياته عن طريق الحق يسأل أباه. يطيع ولكن دائماً يرى أمامه الهدف الذي خرج من أجله ولا يفقده أبداً. هذا الإنسان ينفعه جداً قراءة الإنجيل وكتب الآباء والكلام الروحي الذي يُلهِب النفس وباستمرار يُصلح طريقه ويُعدِّل خطواته بناءً على ما يسمع ويقرأ، هذا

يُولِّد الإفراز وينمو ويزيد. وفي النهاية يمكن أن يعيش الإنسان بمسحة الروح القدس الذي يُعلِّمه كل شيء في حالة عدم وجود الأب المرشد بغير أن ينحرف أو يزلّ، ويكفي أن يذهب للمرشد للاعتراف والتوبة. وهذا ما كان يحدث في الرهبنة الأولى للآباء الكبار كأنطونيوس ومقاريوس وبِموا.

– **يوجد تحايل عقلي مُفسد يُوحى للنفس أن تطيع طاعة عمياء أولاً حتى تتحرَّر أخيراً من الطاعة!** هذا عمل ذاتي شرير يقود النفس إلى الانتفاخ والسقوط. الذي يطيع يضع في قلبه أنه يطيع كل حياته للمرشِد حتى الموت لأنه ليس كُفأً أن يسلك بذاته، والحرية تأتي من فوق «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨ : ٣٦). في هذه الحالة يستطيع الإنسان المُتحرِّر بالروح القدس أن يُصغي إلى صوت الروح القدس في داخله يُرشِده ويؤنِّبه ويُعزِّيه ويُشجِّعه.

– **منهج الطاعة العمياء ومنهج الطاعة المُتحكِّمة المُفرِزة صحيحان إن كان الإنسان من أجل الله يسلك فيهما لأجل خلاص نفسه ولا يطلب من ورائهما أى شيء آخر.** أما أنا فلا أميل إلى المنهج الأول، وإذا رأيتُ واحداً من الرهبان يميل أن يرمي بثقله كله عليَّ ويسأل في كل شيء ولا يتحرك أية خطوة إلا إذا سأل، أُبعده عني. يجب أن نسلك بالمنهج الثاني الذي سلكه الآباء المُفرِزون المستنيرون.

✠✠✠

توجيهات رهبانية (٣)

(ملخص)

مارس ١٩٦٧

– يجب على الآباء في المطبخ أن يلتزموا الصمت إلا إذا أراد أحد شيئاً من أخيه أن يساعده أو يسأله عن شيء ضروري للخدمة.

– يجب على الراهب أن يشغل عقله بالصلاة، فيكون صمتُه مقدساً.

– سر الصمت المقدس أن شخص المسيح موجود في الوسط، والذي يُحَسُّ بشخص المسيح لا يكفُّ عن الصلاة والشكر بفرح ومسرة، ولن تستهويه أية أحاديث باطلة أو غير باطلة لأن شخص المسيح فيه الكفاية.

– إذا كنتَ تصلِّي وسط الخدمة وأخوك يصلِّي، سوف يكون أخوك حلواً جداً ومكرَّماً في نظرك، ولن تعثر فيه في شيء.

– إذا داومتَ على الصلاة وسط الخدمة واكتشفتَ شخص المسيح معك، لن تتضايق من الخدمة ولا من الوجود خارج القلاية، لأنك عندما ترجع إليها تجد نفسك أنك لم تخسر شيئاً. فأنتَ أمام "الكوانين" كأنك موجود أمام المذبح، كأنك واقف في قلايتك رافعاً يديك في الصلاة.

– إذا لم تستطع أن تسلك في هذا الاختبار، تعالَ إليَّ وأنا أُسلِّمك إياه في الاعتراف. وإذا كان هناك ما يضايقك في الخدمة أو من إخوتك، تعالَ إليَّ واْعترفْ به بدل أن تُعلنه لإخوتك وسط الخدمة وتُعطِّل حديثهم مع المسيح. أما الأحاديث العامة الخاصة بأحوال الكنيسة أو العالم، فنحن للأسف نتحدث عنها عَلناً مع بعضنا البعض، لذلك لا داعي أن تُوجِدوا مجالاً آخر للأحاديث تُضيِّعون فيه الفُرص المقدسة مع الحبيب.

– كُنْ أميناً في تتميم وصايا الرب، فلابد أن تنال المواهب المُدَّخرة فيها، ومع ذلك ليس من منهجنا أن نعمل الوصايا بقصد أن ننال المواهب. كلا، هذا هو المنهج التصوُّفي غَيْر المسيحي. إننا نعمل الوصايا من أجل الله فقط الذي أَمَرَنا أن نعملها، فنحن نُظهِر حُبَّنا له بتتميمها

ولكن النتيجة الحتمية في تتميمنا للوصايا بأمانة من أجل الله هي أن ننال البركات الروحية المدخرة في هذه الوصايا.

- فلو داومتَ على رفع القلب والعقل بالصلاة، فلابد في النهاية أن تنال حياة سمائية وأنتَ على الأرض. وإذا داومتَ على رَفْع يديك في الصلاة بغير كَلَل أو مَلَل، فلابد أن تنال في النهاية نعمة الوجود مع الرب بلا طياشة عقل.

- المواهب من نوع العمل، فإذا داومتَ على قراءة الكلمة وأَحْببتَها وعملتَ على تنفيذها، فإنك تنال في النهاية عطية سُكنَى الكلمة في قلبك كل حين للتعزية وأيضاً المؤازرة في وقت الضيقة. وهكذا.

- كذلك يجب أن تكون خدمتنا في الكنيسة بكل نشاط ويقظة واهتمام، ويجب أن تكون ذبيحتنا بلا عيب لئلا نُهين الله. لا تُقدِّم الأعرج والمكسور والأجرب.

الكاهن أو الشماس أو العرِّيف الذي يُقدِّم ذبيحته في الصلاة والتسبيح بصوت متكاسل مُتَراخٍ، هذا يُفسِد ذبيحته ويقع في دينونة عظيمة.

المُصلِّي الذي يقف بتراخٍ وبتثاؤب، هذا يُهين الله. يجب أن يُقدِّم الإنسان لله أحسن ما عنده بأعظم اهتمام بأقصى قوة عنده.

الكاهن والشماس والعريف يُوجدوننا في حضرة الرب بصلواتِهم وأرواحهم المتَّقدة بالغيرة والحب واليَقظة، فإذا قدموا صلواتِهم بفتور ضيَّعوا على المصلِّين فرصة التقابل مع المسيح.

✠✠✠

تحذير وتوجيه رهباني

٢٩ / ٣ / ١٩٦٧

البعض مِنَّا لا يرضى بما نحن فيه ويطلب دائماً وضعاً أعلى ويتمنَّى ويترجى أن تتغيَّر الأحوال. وهو في حالته هذه لا يحسُّ لا بتعزية ولا برضًا، ويظن أنه عندما تنصلح الأحوال - بحسب نظرته - سيجد تعزية ومتعة روحية. الذي حالُه هكذا هو مخدوع.

حالتك، يا أخي، التي تعيش فيها الآن بحسب الظروف التي رتَّبها الله لكل الجماعة هي أحسن حالة لك، وهي ممتلئة أسراراً وتعزيات. تَبصَّر في حالتك وافتح عينيك وارضَ بما أعطاه الله لك، سوف تجد أن ما أنت فيه الآن هو أحسن حال. لن تحسَّ بتعزية طالما أنتَ تطلب حالة أعلى مِما أنت فيه، ولكن عندما تقبل كل شيء من يد الرب سوف تجد أن ما أنت فيه ممتلئ بالتعزيات الروحية التي لا عدد لها. مسكين هو الراهب الذي يطلب حالة روحية أعلى من قامته ويريد أن يقفز لكي يرى أشياء أعلى مِما أعطاه الله. هذا لا يستطيع أن يرى النعمة الموهوبة له التي بحسب قامته.

الذي لا يرضَى بِما أُعطيَ له، سوف تُؤخَذ منه كل النعمة التي أُعطيت له، فلا يرى ما هو فيه ولن يرى شيئاً آخر أعلى منه.

الناس من الخارج يرون النعمة التي أنت فيها ويتمنَّون التراب الذي تحت رجليك لكي يتباركوا به، وأنت تقول: أين هذه النعمة؟! لأنك لا تريد أن تفتح عينيك لتراها، والرب بالحق يكون قد سَلَب منك النور لأنك تتطلع لكي تحصل على ما هو أكبر من قامتك.

يا حبيبي، الرب قد أعطاك أسراراً وعطايا روحية ممتازة تشتهي الملائكة بالحق أن تنالها، ولكن لأنك تسعى لكي تأخذ شيئاً أعلى - الذي لا يريد الرب الآن أن يعطيك إياه - لذلك فعيناك قد عميَتْ فلا تستطيع أن ترى ما أنت فيه من مجد ونعمة وبركة!

عندما تنفتح عيناك سوف ترى كل شيء في نور نعمة الله، فتفرح جداً وتتعجَّب وتَدهَش وتُسبِّح وتشكر. وحتى الأمور الحقيرة في نظر الناس سوف تراها أنت أنَّها مُنتهى الرحْمة من الله أن يَهَبَها إياك. ربما وأنت تغسل حَلَّة قَذِرة تنسكب دموعك من الفرح لأنك ترى أن الرب قد حَبَاك بهذه النعمة أن تُؤدِّى خدمة حقيرة حُبّاً فيه، الأمر الذي تنظر إليه الملائكة وتشتهيه، وسوف لا تشبع من تأمل إحسانات الله عليك طول اليوم إذ يسمح أن تؤدي خدمات محبة من أجل الرب، وفي الوقت نفسه تعيش معه طول اليوم بلا مانع ولا عائق يفصلك عنه.

اِفتحْ عينيك جيداً حتى ترى النعمة لئلا تتركك إلى الأبد.

ما هو الاتضاع؟

هو أن يحتمل الإنسان كل ما يأتي عليه بشكر ورضاً.

ما هي الوداعة؟

هي أن يحتمل الإنسان كل ما يأتي عليه من الآخرين من غير أن يغضب أو يدين أو يحقِد.

تأمُّل:

في رأيي أن حياتنا هذه التي نعيشها، بحُلْوها ومُرِّها، بفَرحها وحُزنها، هي ليست تافهة ولا مُحتقَرَة، بل هي مثل دُرَّة في تاج، إذ هي مُذَّخر فيها سرُّ مجدنا الأبدي. وعندما تُستعلَن حياتنا كلها في الأبدية، سوف نرى هذه القيمة العظيمة التي لهذه الحياة التي نحياها الآن. وكيف لا؟ والرب نفسه يقول لنا: « وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» (مت ٢٨: ٢٠)، «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧ : ٢١)، وبولس الرسول يقول: «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦)، «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف٢: ٦).

توجيه رهباني (٤)

١٠ / ٤ / ١٩٦٧

(بعد تغيُّبه عن المجمع حوالي أسبوعين)

أنا لم أكن غضباناً من أحد حينما تغيبتُ عنكم، ولكني كنتُ مريضاً لأني لم أستطع أن أحتمل أن أرى فيكم نقص محبة نحو بعضكم البعض. وعدم الاكتراث بحضور الكنيسة في صلاة باكر، بالرغم مما تكلمتُ به معكم عن هذه الصلوات وأساسها الكنسي الإلَهي الأصيل.

لم أَعُد أحتمل أن أسْمَع عن واحد منكم يغضب من أخيه. لذلك أرجو أن يُسارع كل واحد إلى الاستغفار لأخيه إذا أخطأ إليه قبل أن يأتي الآخر ويعترف لي بتعبه من أخيه.

فكرتُ أن أضع قوانين لضبط حياتنا في المجمع. وأخذتُ أُفكِّر: إذا تأخَّر واحد عن حضور الكنيسة يُحرم من الكنيسة، وإذا امتنع أحد عن خدمة الشموسية يُحْرَم من الشموسية..الخ.

ولكني وجدتُ أن الذي لا يحضر الكنيسة المفروض علينا أننا نُحبِّبه في الكنيسة ولا نحرمه منها، وكذلك الذي يمتنع عن خدمة الشموسية. ففكرت أن أحرم من الأكل أو أفرض مطانيات أو أصواماً أو أمنع من التناول، ولكنِّي وجدتُ أن فَرْض هذه القوانين معناه أنِّي أُشوِّه معناها وقيمتها في ذهن مَنْ تُفرَض عليه. فالمطانيات ليست عقوبات ولا أيضاً الأصوام.

فكرتُ أن أَحمْل أنا العقوبة التي يستحقُّها المُخطئ، وقلتُ في نفسي إن هذا أَسْلم حَلّ، ولكنني وجدتُ أن صحتي حالياً لا تحتمل ذلك.

وأخيراً وجدتُ أن جماعتنا بالذات لا يمكن أن تنفع لها القوانين، فنحن نشبه إلى حدٍّ كبير جماعة التلاميذ مع الرب يسوع. لقد كانوا مطرودين

من مجمع اليهود لاتِّباعهم يسوع، فهل يمكن أن يُفرَض عليهم قوانين؟!

لذلك لا يوجد حَلٌّ سِوَى أن نحرص على أن نحب الله من كل القلب، ونحب بعضنا بعضاً بإخلاص، ونكون لطفاء مع بعضنا البعض، وُدعاءَ متواضعين. أنا أعلم أنكم جميعاً كنتم في العالم لطفاء في بيوتكم ومع أصحابكم، ولكني أراكم هنا لا تحتملون بعضكم بعضاً، جميعكم بلا استثناء! ولماذا ؟

والآن، ليتنا نقطع عهداً أمام الله، وأن نبدأ أن نكون مُحِبِّين بعضنا بعضاً من القلب، لطفاء، شفوقين، وُدعاء، محتملين ضعفات بعضنا البعض. وليكن من اليوم أن ننقل وقت القُبلة والمصافحة إلى ما قبل قداس المؤمنين حسب ترتيبات الكنيسة، فعندما ينادى الشماس: «قبِّلوا بعضكم بعضاً»، فلْيصافح كل واحد أخاه وينتظر أمامه قليلاً، وإذا كان هناك شيء في القلب لابد أن يتوجه الراهب بتوسُّل إلى أخيه ليسأله أن يصفح. على أن لا تكون مصافحتنا شكلية مقتصرة على الكلام والحركات. وعلى الكاهن أن ينتظر حتّى تتم المصافحة، ثم يبتدئ صلاة القداس، لأنه لا يجوز المصافحة في وقت القداس. وهذا ما استلمناه خطأ في الرهبنة!

✠✠✠

توجيهات رهبانية عن الإماتة

(تلخيص)

مايو ١٩٦٧

من أهم أهداف حياة الراهب هو أن يُميت ذاته حتى يستأهل أن يحلّ فيه المسيح. فالذي يأتي إلى الرهبنة ويحتفظ بأخلاقه الأولى وحياته العلمانية ولا يشاء أن يجحد ذاته ويُميتها من أجل الرب، هذا لن ينتفع شيئاً من الرهبنة، بل سوف يجدها مَذَلَّة وهواناً وضيقاً. فإنْ فَرِح يوماً، فما ذلك إلا لأنه وجد الآباء يُكرمونه أو أنه وجد ما يمتِّع به مزاجه، ولكنه في يوم آخر سيحزن لأنه سيجد أن الآباء لم يكرموه ويمجِّدوه أو لأنه لم يجد ما يمتِّع به ذاته. هذه ليست حياة رهبانية صحيحة، بل وبئس مثل هذه الحياة.

الرهبنة ليس فيها درجات ومراكز بالأقدمية، ولكن فيها قامات روحية. فهَبْ أنك في ترتيب الصف الزمني في الرهبنة رقم ٧، وبعدك مَنْ هو في الترتيب رقم ٨، فوضعتَ في نفسك أن تخضِع ذاتك له وأَخْضعتَها بالفعل، فأنت بالحقيقة تأخذ رقم ٧ عن جَدارَة. أما إذا أخضعتَ ذاتك لمنْ هو في الترتيب رقم ٦، فأنت بالحقيقة مستأهل أن ترتفع إلى رقم ٥. وهكذا، إلى أن تُخضِع ذاتك لجميع آباء المجمع وتقف أمام الأب الروحي - الذي هو بحسب مفهوم الإنجيل **خادم الجميع وعبد للجميع** - فإذا أخضعتَ ذاتك له بالكلية، فأنت مُستأهل أن تكون أعلى من الأب. (في إحدى قصص بستان الرهبان، قال الشيخ لتلميذه: "من الآن، أنتَ الأب وأنا التلميذ"). وأيضاً: (قصة التلميذ الذي أطاع أباه فعَبَر النهر بينما لم يستطع الشيخ أن يعبُر، فقال الآباء: "بالحقيقة إن التلميذ بطاعته الكاملة للأب صار أعلى من الأب").

الدليل الأكيد على أن المسيح فيك هو أنك تستطيع أن تستفيد من

كل ما يأتي عليك من الحوادث مهما كانت تافهة أو مُحزنة، فإنَّها تُقدِّمك روحياً. وإن قلنا إننا نستفيد فقط من الحوادث المُحزنة فهذه نظرة تشاؤمية، ولكننا نستفيد أيضاً من الحوادث المفرحة. فمشيئة الله بالنسبة لنا نستطيع أن نتبيَّنها من كل الحوادث التي نقابلها كل يوم. والراهب الحكيم هو الذي يفطِن إلى مشيئة الله له بالنسبة لحياته من كل ما يصادفه. فهَبْ أن أحد الآباء قال لك توجيهاً، ثم أتى آخر وأعطاك توجيهاً مُعاكساً، فلا تغضب لئلا يكون في ذلك موتك. أنتَ الآن تجتاز اختبار إماتة الذات، انتبه. إفرض أنك عملتَ عملاً غير دقيق، وجاء الأب وقال لك: هذا خطأ، إياك أن تدافع عن نفسك مهما كانت الظروف، لئلا تقع في مصيبة تبرئة الذات، الذي هو دليل أكيد على فشلك في الحياة الرهبانية، لأنك الآن تجتاز في اختبار إماتة الذات، وذلك بسماح من الله، فكيف تُبرئها؟!

نحن نَهتم بالأمور الجسدية جداً على أساس أنَّها تُوصِّلنا إلى أمور روحية هامة ولازمة لخلاصنا. فإذا انتهرتُك من أجل خطأ في عملية في العمل وقبلتَ الانتهار وقدَّمتَ توبةً وأقررتَ أنك بالحقيقة أخطأتَ في تأدية المهمة الموكولة إليك، حينئذٍ ينتهي العمل المادي عند هذا الحد. لأننا لا نسعى لنجاح مادي بل روحي. فإذا قلتُ لك إن هذا الشباك الذي ركَّبتَه مائل ومنظره قبيح، وقلتَ لي: "أخطأتُ يا أبي، أنا أخلعه وأُركِّبه بأكثر دقة". فربَّما أقول لك: "لا داعي، اُتركه كما هو"! أولاً: لأنك وصلتَ إلى الهدف الروحي الذي أقصدُه من الانتهار. ثانياً: لأنه لا يلزمنا كثيراً أن نعمل العمل الجسدي بوجاهة كثيرة. أما إذا دافعتَ عن نفسك متذرِّعاً بأسباب، سواء كانت مُهمَّة أو حقيرة، فهذا دليل على أنك لا تريد أن تجحد ذاتك. في هذه الحالة، لن أتركك بل سأُراجعك وأطالبك بالتدقيق في العمل أكثر كثيراً، وربما يظهر لك أنَّني مهتم جداً بالعمل في ذاته، وهذا خطأ، لأنني في الحالة الأولى، عندما استسلمتَ أنت للخضوع وجحدتَ ذاتك، تنازلتُ أنا عن الخسارة المادية الحادثة مهما كانت

قيمتها!

جحد الذات لا يحتاج إلى تسويف أو إلى سنوات جهاد. كلا، طالما أن الإنسان قد ترك العالم من أجل الله، فإنه لو طَلَب هذا الراهب الآن من المسيح أن يُعينه على جحد مشيئة ذاته، فسينال في الحال قوة على ذلك، لأن الحياة الرهبانية كلها تدور حول هذا العمود الفقري: أن يميت الإنسان ذاته ويجحد مشيئته ويحسب نفسه لا شيء.

اِفرض أنك قابلتَ أحد الآباء في الصباح الباكر ووجدتَه مُقطَّب الجبين ومُعبَّس الوجه، فإذا كانت ذاتك حيَّة فستضطرب وتتضايق لأنك كنتَ تنتظر منه أن يعطيك حُباً وكرامة وابتسامة، فتضيق الدنيا في عينيك. يا حبيبي، لو كنتَ تطلب مشيئة الله في حياتك وتؤمن أن كل ما يجرى عليك هو بسماح منه لخلاص نفسك، أسرعْ وادخلْ إلى داخل نفسك وتحدَّثْ إلى يسوع واطلب منه أن يُعرِّفك مشيئته بالنسبة لك في هذه الحادثة ولماذا كان هذا الأب مُعبَّساً في وجهك. قدِّم إلى الله توبة من القلب، واعتبر أن ما حدث إنّما هو بسبب سلوكك الخاطئ معه، ولم تَتُب له عمَّا فرط منك تجاهه. حاول بالحقيقة أن تأتي باللوم على نفسك وتَتَذلَّل أمام الله، فستجد في الحال أن هذه الحادثة مُقدَّمة من الله إليك لتقويم حياتك! حينئذ تجد نفسك قادراً بنعمة الله على مقابلة هذا الشخص بوجه باشٍ، وبدل أن كنتَ تنتظر منه حُبّاً ستجد نفسك قادراً على إعطائه حُبّاً وكَرامة واتضاعاً وخدمة. وعلى هذه الصورة ستجد أن التجربة التي مرَّت بك قدَّمَتك خطوة في الطريق الروحي. أليس هذا بالحقيقة عَجَباً! فالراهب الحكيم هو الذي يستفيد من كل ما يجري عليه.

✠✠✠

ذبيحة الراهب

مايو ١٩٦٧

ذبيحة الراهب هي أن يقدِّم ذاته وجسده كل يوم إلى الله على مذبح الحب.

هذه الذبيحة يلزمها جداً: **الحب**، **والاحتمال**، **والشكر**.

فالحب: كالنار يُشعِلها،

والاحتمال: يساعد على دوام إشعالِها،

والشكر: يُقصِّر الزمان ويُعجِّل بانتهاء الذبيحة وبقبولِها من الله.

✠✠✠

توجيهات رهبانية عن المحبة الأخوية

المحبة معناها أنك تستطيع أن تتعاون مع جميع الآباء، وإذا رأيتَ نفسك أنك تَهرب من شخص لأنك غير قادر على أن تعمل معه، فالمحبة ما زالت ناقصة.

المحبة هي أن لا تفضح أخاك وتُشهِّر به في الاعتراف. فإن أردتَ أن تعترف، فَقِرَّ بخطاياك ولا تذكر خطايا أخيك إلا عند الضرورة القصوى لا على سبيل الدينونة والتحامُل عليه، بل من جهة نفسك وخطيئتك.

المحبة هي أن تتقابل مع كل أحد بقلب باشٍ ونفس مُنفَتِحة فتُحسَّ بأتعاب واحتياجات الآخر وتكون مُستعِداً لأن تتعاون معه في أي عمل بغير تَكلُّف، وهذا ليس بالأمر الهين. إنه يحتاج إلى استعدادٍ كبير للبذل والتضحية بالراحة الجسدية.

✠✠✠

توجيهات رهبانية (٥)

الجهاد - الخدمة

جهاد المؤمن وسط العالم عظيم، وعسيرٌ عليه جداً أن يحفظ قلبه طاهراً وسط مُجاذبات العالم.

والراهب الذي يلوذ بالبرية والهدوء والصمت، هذا يحارب ضد أوجاع نفسه فقط، وبنعمة إلهنا يستطيع النجاة.

أما إذا ظنَّ الراهب أنه يستطيع أن يعيش وسط العالم في خدمة دون أن يكون مؤازَراً من الله بعلامات واضحة، هذا مسكين ومخدوع لأن خلاصه مستحيل، لأن العالم يبتلعه ويُضيِّع خلاصه مهما كان قوياً في الروح، لأن مغريات العالم أعلى منه بلا قياس.

أما إذا كانت هناك خدمة أو دعوة واضحة من الله لخدمة العالم، فهذا لن يتركه الله، لأنه سوف يعطيه نعمة خاصة تجعله يعلو على كل تجربة وكل شهوة تقابله.

وهذا ليس معناه أن يركن الإنسان إلى هذه المساندة ولا يُجاهد معتمداً على أن الله سوف يُنقذه، فيستسلم للمواقف الخطيرة دون حذر أو يقظة. كلا، إنه يُجاهد ويحَذر ويصرخ الليل والنهار، ولكن وهو واثق جداً وشاعر في قرارة نفسه أن يد الرب تمتد إليه وتُخلِّصه بالفعل من الشِباك التي ينصبها له العدو لاصطياده.

أو بالمفهوم العام، يستطيع كل إنسان مسيحي أن يُرسِل نفسه للخدمة، إذا كان لا يُوجد في قلبه أية دوافع ذاتية سوى تمجيد الله، وهو لا يطلب شهوة خاصة ولا كرامة خاصة ولا راحة جسدية، ومستعد في الوقت نفسه أن يموت في أية لحظة، وليس له شهوة في قلبه إلا أن تنتشر كلمة الله، ولسان حاله: "ها أنذا فأرْسِلْني". هنا تتقابل مشيئة الله مع مشيئة الإنسان، وتكون الدعوة وكأنَّها من الله تماماً.

توجيهات رهبانية (٦)

أغسطس ١٩٦٨

القلاية بالنسبة للراهب هي: لتفتيش أفكاره، والبكاء على الخطايا، وللصلاة، أما تتميم المحبة التي هي المسيحية فهي خارج القلاية ومع الإخوة.

الذي يهرب من المسئولية ولا يريد أن يتحمَّل أتعاب الخدمة، هذا يهرب من المحبة أي من المسيح، وهذه علامة على أنه لم يتحد بعد بالمسيح ولا عَرِفه.

لابد أن تكون الخدمة بفرح ورضا، لا عن اضطرار أو حزن. لابد أن تسعى أنتَ لكي تبذل نفسك، أما الذي يهرب من الخدمة ومن تحمُّل مسئولية الخدمة، فهذا خلاصه معطَّل.

الذي ينـــزل إلى العالم (القاهرة) لسبب من الأسباب، لابد أن يضع في قلبه أنه مسئول عن خدمة الآباء (هذا كان في وادي الريان وكان عدد الآباء حوالي ١٠-١٢راهباً فقط)، وهذه هي روح الشركة والمحبة الأخوية، حيث يعتبر نفسه أنه بديلٌ عنِّي فيتصرَّف في كل الأعمال والخدمات التي يُرتبها الإخوة من أجل الآباء. ولابد أن يعرف كل كبيرة وصغيرة ويرتب القافلة (التي كانت تقوم إلى وادي الريان حاملة المئونة مرة واحدة كل شهر) بيده ويهتم بكل شيء.

أخيراً، لابد أن يستعد كل واحد منكم إذا أخطأ أن يسمع مني الملامة أمام الجميع، لأن الإخوة في البيت الواحد لابد أن يعرفوا ضعفات بعضهم البعض. لابد أن تكون مستعداً أن تُفضَح هنا أمام إخوتك أفضل جداً لك من أن تنفضح أمام الملائكة في السماء.

✠✠✠

أسئلة

عيد النيروز: ١٢ / ٩ / ١٩٦٧

سؤال: هل النسك خطوة أساسية للوصول إلى مواهب الروح؟

جواب: لكي أجيبك على هذا السؤال يلزم أن نرجع إلى الـــ **etiology** في الحياة المسيحية، **أى علم الأصول في المسيحية**. الحياة مع المسيح هي في الواقع موت وحياة، أو بمعنى آخر موت عن العالم وحياة مع المسيح، فبقدر ما نموت عن الجسد والعالم بقدر ما نحيا مع الرب يسوع.

نحن نقبل أولاً أن نموت مع المسيح على رجاء القيامة معه في الحال.

ليس هناك مدخل للإنسان يتناسب مع طبيعته الأرضية إلا الموت، فالإنسان يُجاهد كل يوم لكي يموت عن العالم.

موت الإنسان عن ذاته وعن العالم يقوده بالضرورة إلى الشركة والاتحاد مع المسيح. وهذا أيضاً بالضرورة يعطيه ما للمسيح، أى قيامة في الحال من كل ما هو مائت وزائل، أى يصبح الإنسان من أهل الملكوت والحياة الأبدية، فيعيش قيامته على الأرض في تعزيات سماوية وتأملات في عطايا الله وحبه.

الإنسان يموت عن العالم وعن ذاته وجسده بأمور كثيرة، فتارةً بالنسك، وتارةً بالمهانة والمحقرة، وتارةً بالظلم...الخ.

✠✠✠

"الذي يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١كو ٩:٢٥)

يوليو ١٩٦٨

في الترجمة اليونانية تُذكر كلمة "يُجاهد" بالتعبير **ἀθλητής** أى **الرياضي أو المُصارع**، فالرسول ينقل إلينا صورة من صور الجهاد

للوصول إلى هدف رياضي. هذا المثل ينطبق على السائر في الطريق الروحي.

الذي يسير في الطريق الروحي لابد أن يضبط نفسه في كل شيء. لو انغلبتَ لغريزة واحدة من غرائز الجسد لا تستطيع أن تثبت روحياً.

أنتَ أُعطِيْتَ قوة من الله أن تسود على غرائزك، فلا تظن أن الغريزة تستطيع أن تسودك وإلا كانت هي الإله المتسلط عليك. وفي الواقع أنتَ الذي تملِّكها عليك لأن الإنسان أُعطِي قدرة لضبط جميع غرائزه في شخص يسوع المسيح.

فالغريزة الجنسية، مثلاً، يظن الإنسان فيها أنَّها جبارة، لا يستطيع الإنسان أن يضبطها، وهذا خطأ. ولكن الذي يحدث أن الإنسان بتهاونه واستهتاره يعطيها فرصة أن تظهر، وهو يثيرها بتصرفاته الحمقاء وأفكاره الطائشة أو بالصور غير اللائقة. وإذا أُثيرت الغريزة الجنسية، وهي كبقية الغرائز، أصبح ضَبْطُها صعباً جداً.

وغريزة الأكل لو خضعتَ لها، فكلما تجوع تأكل بلا ضابط ولا نظام، تجد أنَّها كأية غريزة تُهينك وتُذلُّك وتخرِجك عن حدود الآدمية العاقلة.

وهكذا **غريزة الغضب، وغريزة الجري وراء الجنس الآخر، وغريزة الخوف**.. الخ.

وغريزة الخوف إذا سلَّمتَ نفسك لها ولم تضبطها ولم تَسُدْ عليها بما لكَ من إرادة وإيمان وقوة إلَهية موهوبة لكَ في المسيح يسوع، فإنّها تسود هي عليك وتجعلك جباناً تافهاً لا تستطيع أن تعيش في البرية. أما إذا ضبطتَ الخوف، حينئذٍ ستحسُّ بقوة الله وعمل الروح القدس في حياتك في المواقف الصعبة.

إياك أن تظن أنه إذا سادت عليك غريزة الأكل أو الغضب أو الخوف..الخ، أنك تستطيع أن تكمِّل شيئاً من الفضائل. ولكن إذا

ضبطتَ غرائزك بالقوة الموهوبة لك من الله، فستجد في نفسك قدرة على تتميم كل الفضائل.

علاقات القرابة الجسدية بالأب والأم والأخ والأخت لو تساهلتَ معها إلى لحظة واحدة، تزداد شيئاً فشيئاً حتى تُغطي كل الأفكار والعواطف (قصة الراهب ابن أُمه الذي ضحك عليه الشيطان، حينما كان الراهب يريد أن يُخرجه من أحد الأشخاص، فصاح به الشيطان مُستهزئاً: ماما ماما، ولم يخرج)، وهي تقطع كل اتصال بالله، وكلُّ نُموٍّ روحي يتوقف، لأنّها تربط الإنسان بالدم واللحم والأرض.

أنت تقول دائماً: يا روح الله تعالَ إليَّ، يا روح الله حلّ فيَّ. مع أنه معنا وفينا، وهو يصرخ فينا من داخل: اعمل أنتَ ما أُريده أنا، لا تحزِنِّي، مجِّدني، ولا تخَفْ في الضيقة. وهكذا في كل مرَّة تعمل ما يريده الروح يُستعلَن لك الروح.

[هذه الكلمات قيلت في حضور الأستاذ نجيب اسكندر (الشقيق الأكبر للأب متى المسكين) وكان ذلك فوق المغارة الكبرى بالريان].

✠✠✠

التغصُّب

مايو ١٩٦٧

التغصُّب هو رأس مال الراهب المُجاهد، به ينتقل من الجنس الحقير إلى الجنس الملكي السمائي. بالتغصُّب ندخل في سرٍّ إلَهي عجيب ونحصل على قوة جديدة تفوق طاقة البشر. بالتغصُّب نكتشف معونة الله للإنسان. ليس معنى ذلك أن الله لا يساعدنا إلا إذا كُنَّا في حالة من الضعف الشديد، فإذا تَغصَّبنا يساعدنا. كلا، ولكن عندما نضعف ولا يكون فينا أية قدرة على القيام بالصلاة أو الخدمة، ففي هذه الحالة تنتهي كل إمكانياتنا الطبيعية، فإذا تغصَّبنا وطلبنا معونة الرب وصَبرَنا، حينئذٍ نكتشف نحن قوة الله ونعمته الموهوبة لنا ونُحسُّ أننا قادرون بالرغم من ضعفنا الشديد على أن نُصلِّي ونخدم.

هذه القوة كانت معنا أولاً، ولكننا لم نستطع أن نراها أو نحسَّها لأن إمكانياتنا الطبيعية كانت تحجبها عن عيوننا، أمَّا الآن فقد فقدنا كل إمكانياتنا، ففي هذه الحالة صرنا نستطيع أن نحسَّها ونتحققها عندما نغصب ذواتنا على الصلاة والخدمة، وحينئذ نُقرُّ فعلاً أن هذه قوَّة إلَهية ونعمة من فوق. لذلك مجَّد القديسون التغَصُّب، لأن بواسطته يَغْتَني الحكماء ويصيرون بالحقيقة أبناءَ الله ويختبرون المعونة الإلَهية التي هي بكل تأكيد فوق كل إمكانيات الطبيعة البشرية.

✠✠✠

مقابلة الموت (١)

(تلخيص)

يناير ١٩٦٧

ساعة الموت رهيبة، والبعض منَّا يظنون أنّهم قادرون على مقابلة الموت بنفسٍ هادئة، ولكن الواقع في الحقيقة هو غير ذلك. نقرأ عن الشهداء أنَّهم قابلوا الموت بشجاعة وثبات وفرح، ونحن نظنُّ أنه يُمكن ذلك لنا عندما تأتي ساعة الشهادة.

لا تظنَّ أن الشجاعة تسندك في تلك الساعة، أو الغيرة أو الإقناع العقلي أو حتى الإيمان. الذي يسندك هو حياتك حسب الروح وعلاقتك بشخص الرب يسوع حتى ولو لم يكن لك أية شجاعة أو اقتناع عقلي.

الذي يعيش حسب الجسد وليس حسب الروح، تنهار قُواه الإيمانية في تلك الساعة، وتقابله رُعبة الموت، ويتبخَّر إيمانه، ويبحث عن شجاعته وغيرته واقتناعه، فلا يجد شيئاً يسنده.

نقرأ عن قصة راهب اعتاد أن يكرِّر على القديس الأنبا باخوميوس أنه يريد الاستشهاد، وكان القديس يرفض ويقول له إنه ليس أهلاً لذلك. وذات مرَّة أرسله القديس مع ركوبة (جحش) مُحملة بخبز وطعام للإخوة الرهبان في البريَّة، وفي الطريق قابله الوثنيون وأمسكوه وأخذوا ما معه وأرغموه على السجود للأوثان وإلا قتلوه، فرضخ المسكين وسجد للأصنام بالرغم من غيرته الشديدة، وقد كان يظنُّ في نفسه أنه قادر على الاستشهاد.

✠✠✠

مقابلة الموت (٢)

(تلخيص)

يظنّ البعض أن أنبا أنطونيوس خرجِ من العالم بعد أن سَمِع الآية القائلة: «ن أردتَ أن تكون كاملاً فاذهَب وبِعْ أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنـــز في السماء و تعال اتبعني» (مت١٩: ٢١). الحقيقة التي نُحسُّها من أَهمية ساعة الموت ومن القصة التي وردت عنه في بستان الرهبان عندما دخل ليرى جثة أبيه ساعة موته توضِّح لنا أنَّ **هذه الرؤية للموت** كانت السبب المباشر في خروجه من العالم.

نعم لقد كان قد سَمِع قبل ذلك نفس الآية المذكورة في الكنيسة وتأثَّر بها، ولكن بلا شك ولا جدال فإنَّ ساعة موت أبيه الرهيبة التي واجهها بَقلب ثابت ونفسٍ واعية غير مضطربة جعلته يحسُّ بتفاهة العالم ولزومية تَرْكهِ في الحال، كما جاء في قصة البستان تماماً.

لو تأمَّلنا هذه اللحظات الرهيبة التي فيها نرى إنساناً ميتاً بحيث نكون غير متأثِّرين عاطفياً بموت هذا الإنسان، سوف نحصل على معارف روحية حقيقية تُقدِّمنا في الروح خطوات واسعة. فالذي يرى الموت أمامه مُشخَّصاً في جثة إنسان مثله تماماً، يدرك في الحال أنه هو أيضاً ميت لا محال مثلَ هذا الإنسان الذي أمامه، ويستطيع في تلك الساعة أن يتذوَّق - بعمل النعمة - لحظات الموت عن العالم والجسد، ويستطيع أن يُدرِك في الحال حقيقة الإنجيل والمسيح، والجسد، وكِذْب العالم وزوال أمجاد الدنيا. لأن الإنجيل يتكلم عما بعد الموت، أما الجسد والعالم فهُما يهتمان بما قبل الموت. هنا الموت يضع حدّاً لكل ما في الدنيا ولكل ما يريده الجسد، ويُظهِر كلام الإنجيل أنه حقيقة حيَّة خالدة عندما يُستهان بمطالب الجسد وتتلاشى أمْجاد الدنيا.

في ساعة الموت أنت تستطيع بالنعمة أن تُحقِّق لنا في الحال كل آيات الإنجيل الخشنة الصعبة، وتُظهِرها أنَّها ضرورة هامة واجبة. لذلك استطاع أنطونيوس الفتى الغني أن يفهم الآية القائلة: «فلْيُنْكر نفسه ويَحمل صليبه

ويتبعني» (مت١٦: ٢٤). واستطاع أن يفهم الآية القائلة: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخَسر نفسه» (مت١٦: ٢٦)، واستطاع أيضاً أن يفهم الآية القائلة: «لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتَعَظُّم المعيشة ليس من الآب بل من العالم» (١يو٢: ١٦). نعم، فإنه يستطيع أن يفهم الإنجيل عملياً.

وغيره كثيرون، عندما جابَهوا هذه الساعة الرهيبة بنفس راضية مؤمنة، استطاعوا أن يفهموا وصايا المسيح: «ومَنْ أَراد أَن يُخاصمك ويأخذ ثوبك فاتْرُك له الرداء أيضاً» (مت٥: ٤٠)، «مَنْ سَخَّرَك ميلاً واحداً فاذْهَب معه اثنين» (مت٥: ٤١)، «وَمنْ أراد أن يقْتَرض منك فلا تَرُدَّه» (مت٥: ٤٢)، «لا تُقاوِموا الشرَّ بل منْ لَطَمَك على خَدِّك الأيمن فَحَوِّل له الآخر أيضاً» (مت٥: ٣٩). ذلك لأنَّهم تحقَّقوا أن هذا الجسد لابد مائت، وبالتالي أن هذا العالم لابد زائل، ووصايا المسيح التي كانت تظهر لَهم مثلاً أنَّها مُجحِفة بالجسد والذات أصبحت لَهم حقيقة واجبة.

نعم، إذا كنت مُلقًى على الأرض تلفظ أنفاسك الأخيرة، وقيل لك الوصية القائلة: «من سألك فَأعط و من أراد أن يَقْترضَ منك فلا ترُدَّه» (مت٥: ٤٢)، فهل ستُعارض؟! كلا، بل ستقول: خذ كل ما لي على الأرض، فأنا ميت وماذا أنتفع أنا به. وإذا قيل لك: «مَنْ لَطَمَك على خدِّك الأيْمن فحوِّل له الآخر أيضاً» (مت٥: ٣٩)، هل ستعارض؟ طبعاً كلا، بل ستقول: خُذْ الخدَّين واْضربْهما، فأنا بعد قليل أتحوَّل إلى تراب. وقِسْ على ذلك كل وصية من وصايا الإنجيل فستصير لك سهلة وممكنة بل وضرورة حتمية لازمة.

ساعة الموت هي أسعد ساعة للإنسان الذي تمَّم وصايا المسيح، عندما يقابلها بإيمان وثقة في مواعيده، لأنَّها الحقيقة التي يعيشها كل يوم بتتميمه الوصايا. أمَّا الذي لم يُتمِّم وصايا المسيح فساعة الموت لديه رُعبة ومصيبة وكارثة حلَّت بالجسد والذات. وإذ ما يزال العالم والذات كلاهُما حيّاً فيه إذ به يُطالَب في الحال بترك كل شيء. هذه هي الصدمة

المفاجئة المُرعبة للإنسان البعيد عن وصايا المسيح عندما تُباغِته ساعة الموت.

هذا ما أحسَّه القديس أنطونيوس في نفسه عندما نظر أباه مُلقىً على الأرض تاركاً وراءه بالرغم منه كل ما له، فقال: لا أعجبنَّ إن عملتُ كعملك، فإن كنتَ قد خرجتَ من العالم مضطراً، فأنا سأخرج منه باختياري قبل أن يخُرِجوني منه كارهاً!!

طوبى لِمَنْ وضع الموت بين عينيه. هذا سيصير له الإنجيل حقيقة، ووصاياه العسرة سهلة واضحة ولازمة.

✠✠✠

اختبار الإحساس بالموت

(مُلخَّص)

أول سهرة في شهر كيهك (ديسمبر ١٩٦٧)

اختبار الإحساس بالموت هام جداً للراهب، وبدونه يظل الراهب ناقصاً في حياته الروحية. هذا الاختبار اجتازه الآباء وتكلموا عنه كثيراً بأوصافٍ وأقوالٍ كثيرة، ومع ذلك فجميعنا ما زلنا لم نَختبرْه، وربّما نتأمَّل في الموت ونتلذَّذ في فكرنا بتذكُّر هذه الساعة، ولكن أن نجتازها هي بالفعل، فهذا أمرٌ هام جداً وخطير. وهذا لن يتم إلا بفعل النعمة.

شيء فاضل أن نَهذَّ في ساعة الموت ونتذكَّره ونُقرَّ دائماً بحقيقة إتيان هذه الساعة علينا، وشيء آخر أن نجتاز فترات الموت بالفعل ونحن على الأرض. الأولى بالجهاد والسعي، والثانية بفعل النعمة.

الذي يَجتاز هذا الاختبار يتذوَّق بالفعل معنى «**مع المسيح صُلِبْتُ**» (غل٢: ٢٠)، و« مدفونين معه» (كولو ٢: ١٢)، وأيضاً كيف يموت الإنسان عن العالم وعن ذاته وعن جسده.

الذي يجتاز اختبار الموت، يتذوَّق في الحال لذَّة الحياة الأبدية وهو على الأرض، وتنكشف له أسرار كثيرة للملكوت، ويُستأمَن على عطايا المسيح، لأنه لا يُصبح بعد يعيش لذاته بل للذى أقامه من الموت.

أهم ما يُعزِّى الراهب عندما يجتاز هذا الاختبار، أنه يجد نفسه مستعداً بالفعل لقبول هذه الساعة الحرجة.

من أجل ذلك، أرجو أن تتيقظوا، أيها الإخوة، حتى لا تُؤخَذوا على حين غرَّة. ثابروا على التأمل في هذه الساعة واستعدوا لها كل يوم، وليكن حديثك إلى نفسك، كل ليلة وأنتَ مزمعٌ أن تنام، قولَ القديس مار إسحق: "يا شقية، ربما تكون هذه آخر ليلة لكِ على الأرض". فتُمسِك عقلك بِهذه الساعة وتضبط قلبك بِما فوق لا بما على الأرض.

✠✠✠

ما هو الدافع وما هو الهدف في حياتنا الروحية

(مُلخَّص)

السبت الثاني من شهر كيهك (ديسمبر ١٩٦٧)

من المهم أن نُفرِّق بين الهدف والدافع في حياتنا الروحية، لأن كل واحد من الاثنين له عمله الخاص في نُموِّنا وتقدُّمنا. فالهدف يُزيد من حرارة تقدِّمنا ويجذبنا إليه، والدافع يدفعنا دائماً نحو هذا الهدف.

أحياناً يكون هناك هدف واحد للخروج من العالم، فيخرج الإنسان من أجله ويعيش حياته كلها من أجله، يدفعه إلى ذلك وصايا الرب وأقوال الآباء القديسين وقوانين الكنيسة ونظامها، وأحياناً يتغيَّر الهدف الأول إلى هدفٍ آخر، وتتعدَّد الأهداف في حياة الإنسان الواحد بحَسَب توجيه النعمة ومشيئة الله، لأن النعمة في الواقع هي التي تُحدِّد الهدف أمام الإنسان الروحي، وعلى أساس هذا الهدف الواضح في قلبه وعقله تظهر له دوافعه مِمَّا حوله ومِمَّا يقرأه في الإنجيل وأقوال الآباء.

الذي يتمسَّك فقط بالهدف **ويتهاون بالدوافع** التي تدفعه إليه، تبرد حرارته ويتوقف عن النمو، والعكس صحيح، الذي **يهتم بالدوافع فقط** التي هي تتميم الوصايا بدقة والتمسُّك بتعاليم الآباء، ولكن لا يُمسك كل يوم بالهدف الذي خرج من أجله، يتُوه في وسط الطريق بالرغم من جهاده وتعبه وشقائه وأمانته في تتميم الوصايا.

تلميذ يسأل معلِّمه الشيخ قائلاً: أخبرني يا أبي عن سبب أن كثيرين يسيرون في طريق الرهبنة بهِمَّة كبيرة وجهاد عظيم ثم بعد ذلك يرتدُّون؟! فيُجيبه الشيخ بمَثَلٍ عجيبٍ وبسيط ولكنه غاية في الدقة والإحكام، قال: هَبْ أن أرْنباً برِّياً يجَري، فرآه كلبٌ، فما الذي يحدث؟ إنَّ الكلب يجرى وراء الأرنب بحماسٍ شديد وهِمَّةٍ قويَّة جداً. وهَبْ أن كلاباً أخرَى لم ترَ الأرنب، ولكن رأتْ الكلب الأول يجَرى بهذه الهِمَّة القوية، فماذا يَحدث؟ إنَّ جميع الكلاب تجرى بسرعة شديدة وهمَّة قوية في أول الأمر

ليس وراء الفريسة - لأنّها لا تراها - بل وراء الكلب الأول، وبعد مدَّة يبتدئون في التخلُّف وتنقص سرعتهم ويتراجعون الواحد تلو الآخر، لأنه لا يوجد أمامهم ما يُحمِّسهم ويجذبُهم للاستمرار في الجري. وتكون النتيجة أن جميعهم يتخلَّفونَ، ولا يتبقى إلا الكلب الأول الذي ثبَّت عينيه على الفريسة.

فالذي ثبَّت قلبه على الهدف ويسعى إليه بكل الوسائل الممنوحة له، هذا لا يمكن أن يتوقَّف أو يتراجع مهما كانت صعوبات الطريق، أما الذي ضاع منه الهدف فلن يستطيع أن يُثابر على الجري والتقدم.

(١) **الهدف الأول الذي يقابل الخارج إلى الرهبنة هو خلاص النفس.** تسأل الراهب: لماذا خرجتَ يا أبي من العالم؟ يقول لك وهو يبكي: إني خرجتُ لأبكي على خطاياي، أريد أن أخلُص من خطاياي، أريد أن أُحسَّ أنني عُتقتُ من رباطات الخطية. هذا هدفٌ مُقدَّس عاش عليه كثيرون طيلة حياتهم وانتقلوا به وورثوا الملكوت بالوصول إليه، إذ أحسُّوا، بالفعل، بقَوْل الرب: «مَغْفورةٌ لك خطاياك» (مت٩: ٢)، «طوبى للحَزَانى لأنهم يَتعزَّوْن» (مت٥: ٤). «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله **يُنْشئ توبة لخلاص بلا ندامة؛** وأما حزن العالم فيُنْشِئ موتاً» (٢كو٧: ١٠). ومن أقوال الآباء فهناك أقوالٌ كثيرة كلها تحثُّ على البكاء على الخطايا هنا قبل أن نَبْكي عليها هناك.

هذا الهدف كان يحسُّ به الأخ الراهب في قلبه بفعل النعمة، فيذهب إلى الشيخ ويسأله: "قُلْ لي يا أبي ماذا أفعل لكي أَخلُص؟" فكان الأب يعطيه وصية واحدة يفعلها فيصل إلى هدفه ويَخلَص بالفعل، ويَعبُر.

(٢) **هناك هدفٌ آخر أعلَى في قامته الروحية من الأول وهو إنكار الذات.** أحياناً نجد آباء يهربون من المجد والكرامة بطرق غريبة وعجيبة. إذا دُعوا إلى رتبة كهنوتية وإذا أحسُّوا بكرامة أو مديحٍ سيقابلهم يختفون ولا يستريحون قط للمديح، ويظلُّون في شغل شاغل بهذا الهدف: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلْيُنكر نفسه ويحمل صليبَه ويتْبَعْني» (مت ١٦:

٢٤). هذا الهدف وضعه الروح القدس أمامهم، وهم لا يستطيعون أن يغضُّوا الطَّرْف عنه، يدفعهم إليه قول الرب يسوع وأقوال الآباء القديسين التي كلها تدفعهم وتحثُّهم حتى ينجوا من البرِّ الذاتي.

أحياناً تسأل هذا الراهب وتقول له: يا أبي، أنت تَهتم جداً بأن تنكر ذاتك في كل شيء، ولكن المهم جداً أن تَخَلُص من خطاياك. هذا هدف مهم في الرهبنة، هل أنتَ تلاحظه؟ فيخجل ويقول لك: "نعم، إنني كلِّي خطايا، ويلزمني جداً البكاء على خطاياي، ولكن أنا أحسُّ في كل لحظة بهذا الهدف أمام عينيَّ، أريد دائماً أن أُخفي نفسي، أريد أن أُنكر ذاتي، أَريد أن أكون غير محسوب لا عند الناس ولا عند نفسي". وهذا طبعاً كله بفعل النعمة التي وَضَعت أمامه هذا الهدف المقدَّس.

(٣) **وهناك هدفٌ آخر أعلَى قامة وهو التسليم الكامل لله في كل شيء وفي كل ما يجرِي على الإنسان من تجارب واضطهاد وأمراض وانزعاج.** ويكون المؤمن في شغل شاغل لتفسير كل الأمور الآتية عليه حتى يعرف الحكمة الإلَهية في كل ما يحدث، مُستسلماً دائماً لمشيئة الله دون أن تكون له إرادة ذاتية في نفسه لا في قول ولا في عمل، ويسعى أن يكون كذلك بكل الطرق والوسائل.

(٤) **وهدفٌ آخر أعلى قامة وهو الحب الإلَهي،** وهو أن يضع الإنسان أمام عينيه وفي قلبه أن يعمل كل شيء ويعيش كل لحظات حياته على الأرض من أجل حب الله. فهو بالحب يُصلِّي، وبالحب يتألم، وبالحب يخدم، وبالحب يصفَح، وبالحب يبذل نفسه عن أحبائه وعن أعدائه.

(٥) **والهدف الأخير هو الاتحاد بالله،** وهو بمعنى آخر أن يصير الإنسان هو والمسيح واحداً. هذا هو معنى الثبوت، حيث يحُسُّ الإنسان في نفسه أن المسيح هو الذي يحُرِّكه ويُوجِّهه، لأنه ليس له شيء في ذاته، «مع المسيح صلبتُ فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أَحبَّني وأَسْلَم نفسه

لأجلي» (غل٢: ٢٠).

– هذا الهدف الأخير وهو الاتحاد بالله غير هدف التسليم الكامل، فالتسليم بدائي يحاول الإنسان فيه أن يُسلِّم إرادته لله الذي يُغيِّرها شيئاً فشيئاً، أما في الاتحاد فالإنسان يصير واحداً مع المسيح في الله، والمسيح يعمل فيه وبه كل ما يريد.

– الروح هو الذي يُعطِي الإنسان الهدف بحسب قامته الروحية، وأحياناً ينقله إلى هدفٍ أعلَى، وأحياناً يظلُّ في هدف واحد حتى النهاية.

– الراهب الذي هدفُ الحياة واضحٌ أمام عينيه كل يوم يكون دائماً حارّاً في الروح غيوراً متيقظاً، إذا صلَّى أو صام أو إذا خدم أو إذا اجتاز أية تجربة. أمَّا إذا فَقَدَ الهدف تنحلُّ قوته فيبرد. هَبْ أن إنساناً ما وضع أمام عينيه هدف خلاص النفس والبكاء على خطاياه، ويُزكِّي هذا الهدف كل يوم بالدوافع الإنجيلية والآبائية. فمثلاً إذا صلّى، تَجده حاراً جداً في صلاته لا يحسُّ بتعب أو تشتت. وقِسْ على ذلك على أى هدفٍ آخر. هَبْ أنه يسعى دائماً لإنكار ذاته، فمثلاً إذا صلَّى، تجد صلاته حارَّة مُتَّقدة ممتلئة بالانسحاق. أما إذا ضاع الهدف، فالعكس يحدث، فتجده فاتراً في صلاته ويتعب بسرعة في جهاده.

يُلاحَظ في حالات الأهداف الخمسة جميعها أن الإنسان يشعر في قرارة نفسه أنه يُقدِّم نفسه ذبيحة لله.

أنت قدَّمتَ حياتك ذبيحة لله، والله قَبِلَها منك بتوسُّط دم يسوع المسيح، فأنتَ غير مسئول بعد ذلك عن ضعفات ذبيحة حياتك. الله اشترى حياتك وهو يعلم ما فيها من ضعف ونقص، وسلَّمَها إليك مرةً أخرى لترعاها وتَهتم بها لحسابه هو، وليس لحساب ذاتك. يكفي جداً أن تعلم جيداً الضعفات التي فيك، فتحاول على قدر طاقتك أن تتطهَّر من هذه الضعفات بقوة النعمة التي وُهِبت لكَ بيسوع المسيح.

مثال: هَبْ أن هناك في القرية إنساناً فقيراً فقراً مُدْقعاً يملك غَنمة

هزيلة عرجاء، وكان كل مَنْ يراها يسخر منها ومن صاحبها، وكان هو أيضاً يخجل من نفسه ومن غنمته. وذات مرة رآه حاكم هذه المدينة فأشفق عليه واشترى منه النعجة العرجاء المشوَّهة، فصارت مِلكاً للحاكم، ثم سَلَّمها مرة أخرى للفقير، وقال له: اِرْعاها لحسابي ومهما احتجتَ لشيء من أجلها فأنا أُعطيك. ماذا يكون موقف الفقير في المدينة بعد ذلك؟ هل يخجل من النعجة العرجاء المشوَّهة؟ كلا، إنَّها الآن مِلْكٌ للحاكم، وهو يعتبر نفسه أنَّ له الشرف أن يرعاها ويتعهدها له.

هذا موقفي وموقفك يا أخي تجاه نفسي ونفسك الناقصة المشوَّهة. الرب ارتضى أن يشتريها بثمن غالٍ جداً، وهو سلَّمها لكَ لترعاها لحسابه، فحاولْ أن تُرضيه ولا تخجل أوً تيأس من ضعفك لأن الرب قادر أن يرفَعه.

✠✠✠

المنهج المسيحي العملي

مارس ١٩٦٧

كان المنهج المسيحي العملي في الكنيسة الأولى يتلخَّص بكل بساطة في تتميم الوصايا الإنجيلية بغير غرضٍ أو هدفٍ جسدي أو حتى روحي سوى أنه أمرٌ إلَهي واجب تتميمه ولا يبغي من وراء تتميم الوصايا سوى إرضاء قلب الله الذي يُحبه.

لم يكن الكتاب المقدس مجالاً للتأمل والتلذُّذ العقلي بالوصايا، بل واسطة لعمل مشيئة الله. فالوصية تقول: «صَلُّوا بلا انقطاع» (١تس٥: ١٧)، فيجتهد المؤمن أن يصلِّي بلا انقطاع. الوصية تقول: «بِعْ كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنــــز في السماء وتعالَ اتْبعني حاملاً الصليب» (مر١٠: ٢١)، فكانوا يتركون كل شيء ويتبعون الرب. وهكذا، كانوا ينفِّذون الوصايا الإنجيلية ببساطة قلب. كان هذا هو المنهج الآبائي العجيب الذي أخرَج لنا قديسين عظاماً أناروا العالم مع أنَّهم كانوا بسطاء، وكثيرون منهم كانوا أُمِّيين، ومع ذلك ازدادوا كرامة ومجداً أكثر من فلاسفة الأرض بسبب أمانتهم لوصايا الله فأعطاهم الله عطايا روحية ممتازة.

- في الأجيال المتأخرة ظهرت البروتستانتية والشِّيع المماثلة التي تستعين بالإنجيل **للتأثير العاطفي** على الناس بكلمات مُنمَّقة جميلة والتلذُّذ بكلام الله، فبَلْوَروا الخلاص الخطير الذي قام به المخلِّص له المجد بكلمات بسيطة يتلُونَها على الناس فيتأثَّرون عاطفياً ويقولون لهم: خلُصتُ، خلُصتُ!! ليست هذه هي المسيحية التي عرفناها عن آبائنا. الله يقول على لسان موسى النبي أن الوصايا التي أعطاها للشعب «إذا فَعَلَها الإنسان يحيا بها» (لا١٨: ٥)، والمسيح قال للناموسي الذي حَفَظَ الوصايا: «افعل هذا فتحيا» (لو١٠: ٢٨). **فليس الخلاص مُجرَّد كلمات تُتلَى أو تأثير عاطفي يحسُّ به الإنسان، كلا، الخلاص لا يتم إلا بعد أن نسلك**

بالوصايا التي أمرنا بِها الرب.

- الوصية في ذاتِها لا تُخلِّص، ولكن عندما نفعل الوصية نُثبِت أننا مطيعون لله، وبهذا نكون قريبين منه وأحباء، فنأخذ الخلاص المجاني بالإيمان. نحن لا نشترى الخلاص بأعمال، "لأن بأعمالنا ليس لنا خلاص" (الأجبية المقدَّسة صلاة نصف الليل الخدمة الأولى)، ومهما عملنا فنحن «عبيدٌ بطَّالون» (لو١٧: ١٠)، ولكن لابدَّ من تتميم الوصية لإظهار حُبِّنا لله. **فهل يُمكِن لإنسان مُستهين بوصايا الرب ثم ببعض كلمات عاطفية مثيرة يبتهج بِها ساعةً أو يوماً أو سنةً يَحسب نفسه أنه قد خلُصَ؟!**

هوذا **أنبا مقار الكبير** وهو أب عظيم لرهبانٍ كثيرين، عندما قالت له الشياطين: "طوباك يا مقاره لأنك خلُصتَ"، فقال لها: "لم أخلص بعد". ثم أتت له في نهاية أيامه وقالت له: "طوباك، لأنك أكملتَ جهادك وخلُصتَ"، فقالَ لها: "لم أخلُص بعد". ثم أتت له وهو على فراش الموت، وقالت له: "طوباك، لقد خلُصتَ"، فقال لها: "لم أخلُص بعد". وعندما خرجت روحه من الجسد، حينئذ قابلته الشياطين وقالت له: "لقد خلُصتَ يا مقاره"، فقال لَهم: "بقوة الله خلُصتُ".

-**الخلاص لا يتم هنا على الأرض ونحن في الجسد،** لأننا مُعَرَّضون للخطأ والسقوط في أية لحظة. الخلاص **يتم في السماء** بعد أن نطرح الجسد الميَّال إلى الخطية.

- الذين يحاولون أن يُحسُّوا بالخلاص عاطفياً بالكلام أو بالصلاة، يُحسُّون فعلاً ولكن إلى حين عندما يتوقفون عن صلواتِهم أو قراءاتِهم، لأنَّهم يضعون أنفسهم تحت انفعال خاص بالخلاص فيفرحون نفسانياً، ولكن الخلاص الحقيقي لا نُحسُّه إلاّ بتتميم الوصايا بأمانة. فإذا بدأتَ بتميم الوصية بأمانة، كوصية الصلاة أو الصوم أو الفقر، فإنك تبدأ في الدخول في إحساس الخلاص، إنَّما في هدوء وبساطة من غير تشويش، لأننا بالوصية ندخل في طاعة الرب، ونقترب منه، فنحس بحبه العجيب والخلاص الذي وهبه لنا مجَّاناً.

في ظني، أنه **بدون الفقر والتجرُّد، لا نستطيع أن ندخل في سرِّ الإنجيل**، ولن نُحسّ بقوة الوصايا كلها. (قصة الواعظ الذي يعظ عن الفقر وهو يلبس خاتماً من الماس!). « بِعْ كلَّ ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنـــز في السماء وتعالَ اتْبعْني حاملاً الصليب» (مر١٠: ٢١). فإذا ترك الإنسان كل شيء يستطيع بكل سهولة أن يتبع المسيح بتتميم وصاياه. ومعنى ترك الإنسان كل شيء يتلخَّص في الفقر المادي والفقر الجنسي والفقر الإرادي، أى الفقر والعفة والطاعة. فبالأُولى يفتقر من الأشياء الأرضية الزائلة من أجل الله، وبالثانية يفتقر من الجنس الآخر لكي يلتصق بالرب، وبالثالثة يفتقر من المشيئة الذاتية ولا يطلب إلا مشيئة الله بالطاعة الكاملة لإرادته التي نتلقاها سواء من الإنجيل أو من الآخرين الذين نُحسُّ أن الله يأمرنا بواسطتهم.

– الذي يعمل الوصايا، إذا تكلم يكون كلامه قليلاً ومحدوداً بما عمله فقط، أما الذي يتكلم من الكتب فهذا يمكِن أن يتكلم كثيراً جداً ولا ضابط له.

الذي يعمل وصية الله يشهد عن **الله أنه موجود**، وأية كلمة يتكلم بها تُثبت ما يريد أن يقوله عن الله وعن الحق ويقتنع بها السامعون. أما الذي لاَ يعمل الوصية، فمهما تكلم لكي يُثبت وجود الله بالبراهين العقلية المحبوكة، فلن يصل بالسامعين إلى الاقتناع الكامل.

فإذا سألتني: **ماذا أعمل لكي أخلُص؟** أقول لك: **اِقرأ الوصايا واعمل بها** بغير تحفظ ولا تردُّد ولا تأويل وأنتَ تخلُص. وإذا آمنتَ أن الكنيسة وما فيها من وصايا وأوامر وفرائض هي موضوعة بواسطة آباء قديسين مُلهَمين بالروح القدس وضعوا هذه الترتيبات، فافعلها كمطيع لله يحُب الله وكنيسته. فالكنيسة قالت لنا: صلُّوا في اليوم سبع مرات، فصلِّ أنتَ سبع مرات في اليوم بكل بساطة وبكل محبة لله بلا هدف ترجوه من هذه الصلوات سوى الطاعة الكاملة لله لأنك تحُبه من كل قلبك. والكنيسة قالت: صوموا الأربعاء والجمعة، فكابن مطيع محُب صُمْ أنتَ

الأربعاء والجمعة بدون أى هدف جسدي أو روحي غير الطاعة الكاملة لله. إذا سرتَ أنتَ على هذا النمط من الطاعة الكاملة لوصايا الله وفرائضه سوف تنسكب بَهجة الخلاص فيك وتحسُّ بِمَعِيَّة الله في حياتك وأنك من أخِصَّائه، ولابد أن الرب يستأمنك على مواهب روحية من غير أن تطلبها أو تسعى إليها أو تُفكِّر فيها.

أحياناً يظهر في الشيِّع البروتستانتية شخصيات ذوو كفاءات ممتازة تؤثر على الناس عاطفياً وتدعوهم إلى التغيير والتجديد، ويقدرون بالفعل على تجديد آخرين بواسطة الصلوات والوعظ العاطفي المؤثِّر، ولكن للأسف يكون هذا التغيير إلى حين، لأن الذي يتجدَّد ويتغيَّر لا يستمر في ذلك، لأن الخلاص لا يتم على الأرض، بل بالمثابرة على تتميم الوصايا نُحسَب من أخصَّاء الله فيمنحنا الخلاص مجاناً. أما هؤلاء فيكتفون بالفرح المفاجئ والتأثير العاطفي ولكنٍ لا يستطيعون المواصلة على هذا الفرح. ولذلك يُحاول قادتُهم أن يحثّوهم على الصلوات المستمرة وحضور الاجتماعات والتحدُّث مع الآخرين في الموضوعات الروحية حتى يدوم هذا التأثير، ولكن لا يلبث أن ينطفئ الإنسان المتجدِّد ويترك الطريق إلى غير رجعة.

- **ليس الخلاص والمناداة به وَفْقاً على الكفاءات الشخصية الممتازة،** فإن هؤلاء القادة المؤثِّرين وإن كانوا يستطيعون التأثير على النفوس بالفعل للتغيير والتجديد إلاّ أنه بدون مواصلة الجهاد بالوصايا لا يتم الخلاص.

- **البعض يظنُّون أنَّهم لابد أن يحسُّوا في ذواتِهم بالخلاص عاطفياً،** هذا خطأ. الذي تحسُّ به في نفسك هو حالة التوبة فقط، لأن الروح نفسه ينخس النفس لكي تتغيَّر وتتوب. وفي غير ذلك، فإنَّ النفس تسلك طريق الإيمان ولا ترَى ولا تحسُّ بشيء! طوبى للذين آمنوا ولم يروا، فهم الذين يتمِّمون الوصايا حُبّاً في الله ودون أن يرجوا من وراء ذلك أية نتيجة جسدية أو روحية على الأرض. أمَّا إذا منح الرب أية عطية من العطايا الروحية بعد ذلك، فهي تكون هِبة مجانية من عنده وليست ثمناً لجهادنا.

المنهج التصوُّفي والمنهج النُسكي

(مُلخَّص)

١. المنهج التصوُّفي: (Mysticism)

أصلاً هو منهج غير مسيحي ابتدعه أفلاطون للوصول إلى الله، يعتمد أساساً على قدرة الإنسان وإمكانياته العقلية وخبراته. هذا المنهج له خطوات ومراحل مُحدَّدة دقيقة، ويُسَلَّم تسليماً للشخص المتصوِّف. وهو يبتدئ بمرحلة التطهير الجسدي بالصوم الشديد والابتعاد عن الخطية وكل مُسبباتِها، ثم مرحلة تطهير العقل من كل الأمور المادية والاهتمامات العالمية، ثم التأمل الكثير في الله والإلَهيات وصَلْب العقل إلى فوق حتى لا ينْزل إلى مستوى الأرضيات، والمثابرة على ذلك مدة طويلة إلى أن يقتحم العقلُ المجال الإلَهي ويتحد بالله عقلياً ويتمتَّع بعظمة الله ويتعرَّف على أمور إلَهية خفية لم يكن يعرفها من قبل ويكتشف كثيراً من الأمور غير المرئية.

هذا المنهج صعب وشاقٌّ، ومن آلاف المتصوِّفين قلما يستطيع واحد أن يصل إلى المجال الإلَهي، ولكنه يرجع سريعاً ولا يستطيع أن يثبت في تأملاته لشدَّة الجهد على النفس.

هذا المنهج ابتدعه أفلاطون وهو غير مسيحى، أى أنه لم ينَلْ التبنيِّ بالإيمان بالمسيح، وكل مَنْ هو ليس ابناً لله كيف يجترئ بكثرة جهاداته أن يقتحم المَجال الإلَهي؟! نحن كمسيحيين مدعوون بواسطة يسوع المسيح للدخول إلى الآب بجراءة البنين التي صارت لنا. فالله هو الذي دعانا في ابنه ونحن نتقدَّم إليه بناءً على هذه الدعوة، لذلك يوجد فرق عظيم بين هذا الذي يقتحم المجال الإلَهي كغريب ليس له حق البنين وبين ابن محبوب يدخل إلى أبيه الذي في السموات بناءً على دعوته ورغبته وحبِّه. فالأولى يُصاحبها مشقّة عظيمة جسدية ونفسية، وقَلَّ مَنْ يَصِل،

وإذا وصل لابد أن يرتدَّ سريعاً إلى حيث كان. والثانية بسيطة سهلة بنعمة ربنا يسوع المسيح حيث يستأهل الإنسان للوجود مع الله والاتحاد به بالإيمان وهو هنا على الأرض، على أن هذا الاتحاد لا يتم إلا في السماء.

أحياناً يكون المتصوِّف بسيطاً نقيَّ القلب. مثل هذا الإنسان مع كثرة جهاداته الصعبة يصل ويتمتَّع ويعرف الكثير عن الله وعن الإلَهيات بعقله الذي له حق طبيعي موهوب له طبيعياً من الله أن يقترب من المجال الإلَهي ويعرف الإلَهيات. ومع ذلك، فإنه لا يمكن لمثل هذا الإنسان أن يثبت لأن نعمة الثبوت لا تكون إلا بشخص المسيح الذي يعطيه كهِبة للإنسان بالإيمان به، وإلاَّ يرجع ويرتدّ سريعاً إلى حيث كان أولاً.

٢. *المنهج النسكي*: (Asceticism)

يقوم على تنفيذ الوصايا والأوامر والفرائض الإلَهية كما كُتِبَت وكما أمَرَ بها الله. هذا المنهج وضعه الله بنفسه في العهد القديم، لأنه وجد أن هذا هو الطريق السهل الوحيد للإنسان الذي يريد أن يُثبت محبته لله. وقد قال المُخلِّص: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي» (يو١٤: ٢٣). فالذي يحفظ الوصايا عملياً كما أمَرَ الله هو الذي يُثْبت بكل تأكيد أنه يُحب الله، ليس بحفظ العقل والتأمل والاستحسان كما يفعل المتصوِّفون الذين يتلذَّذون بالمعاني الروحية والأمور العقلية، بل نُنفِّذها عملياً كما أمَرَ الرب، وفي هذا كل الفرح وكل العزاء. يقول القديس أنطونيوس في بستان الرهبان: "ليكن فرحكم بتنفيذ وصايا الرب"، لأننا بذلك نعمل مشيئة الله.

هذا المنهج لا يحتمل هدفاً آخر غير عمل مشيئة الله، فأنا أصوم لأن الله أمَرَ أن نصوم، وليس لأجل أن أصل إلى حالة تؤهلني أن أعرف أموراً عالية روحية. وأنا أصلي لأن الله أمَرَ أن نصلِّي فقط وليس للوصول إلى حالة تجلِّي واتحاد. الله أمَرَ أن نتضرع وليس لكي يرفعني. وهكذا، نعمل

الوصايا لأن الله أمَرَنا بها، وبما أننا نُحبه فنحن نفعل أوامره فقط من أجله وليس من أجل غرضٍ آخر غيره.

هذا المنهج بسيط لأننا نفعل ما يأمر به الله، والله يأمرنا بما نستطيع بنعمته أن نفعله. إذا كنَّا نفعل الوصية إطاعة لله فقط، فإننا نجد قوَّة في الوصية تؤازرنا على تتميمها. وإذ بنا نَرَى الوصية على هذا المنهج سهلة مُتيسِّرة للبسطاء، « لأن نيري هيِّن وحِملِي خفيف» (مت١١: ٣٠)، ونحسُّ بالفرح العجيب في تنفيذها لأننا نحسُّ أننا نُرضي الله، وهذا يكفينا.

هذا المنهج لا يحتمل زيادة ولا نقصاناً على أمر الله. الذي يُحاول من ذاته أن يُزيد الصلاة أو الصوم أو السجود عن ما أمر الله به، هذا يخرُج عن طريق الآباء النسكي البسيط المُمتلئ بالفرح، لأن ذلك يدلُّ على أن الإنسان يسعى إلى هدفٍ آخر غير مشيئة الله أي أنه دخل في المنهج التصوُّفي.

كل العطايا الإلَهية الروحية العالية لم تُعْطَ للإنسان إلا بعد تنفيذ الفرائض التي أمَرَ بها الله، وبغير ذلك لا يمكن أن ينال هِبةً روحية من الله. الله كلم موسى وقال له: أنا أريد أن أتراءَى للشعب ، قدِّس لي الشعب ثلاثة أيام، وبعدها أنا أتراءَى له. فقدَّس موسى الشعب كله وتطهَّروا كما أمَرَ الرب فتراءَى الرب. ولما أراد الرب أن يعقد عهده الأبدي مع إبراهيم، قال له: "خذْ لي عِجلة ثلاثية وعنْزة ثلاثية وكبشاً ثلاثية ويمامة وحمامة". فلما نفَّذ إبراهيم أمر الرب، غابت الشمس وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين ذلك القطيعِ. ويقول الكتاب: "في ذلك اليوم قطع الرب ميثاقاً مع إبراهيم قائلاً: لنَسْلِك أعطى هذه الأرض".

وهكذا في كل الكتاب المقدَّس، لم يحدث أن الرب أعطى مواهبه الروحية بغير أمر سابق عليه يُنَفَّذ لإظهار طاعة الإنسان لله التي بِها يُؤهَّل لقبول العطية. أمَّا الذي يُحاول أن يتحرَّر من الفريضة والطقس والوصية

التي وضعها الله بنفسه أو الأمور التي وضعها أحد الأنبياء ووافق عليها الله وسُرَّ بها، فإنه لن ينال شيئاً من عند الرب، لأن الإنسان في حريته مهما عمل لَا يستطيع أن يعرف مشيئة الله ولا يمكنه أن يعمل ما يريده إلاّ إذا أعلن الرب هذه الإرادة بإعطائه أمراً ينفِّذه الإنسان.

نحن نعتبر أنه من أعظم هِبات الله للإنسان أن يعطيه أوامر ووصايا. الله غير مُحتاجٍ للإنسان ولكن كونه يعطيه أمراً، هذا مُنتهي التنازل والاتضاع الإلهي أن يُعلِن نفسه للإنسان بإعطائه الأمر أو الوصية، ويعطى فرصة للإنسان أن يُظهِر حبه له بالطريقة التي يراها الله لا الإنسان، لأن الخطية صارت فاصلة بين الله والإنسان، فكيف يعرف الإنسان من ذاته أن يُرضي الله ويُتمِّم مشيئته؟!

إذا أنتَ أحببتَ إنساناً عظيماً ورئيساً مُبجَّلاً، فإنك تطلب منه بإلحاح أن يعطيك أي أمر أو طلب لكي تُنفِّذه له بأمانة حتى تُظهِر له محَبتك واحترامك لشخصه. فكم يكون موقفنا من الله الذي ونحن خطاة مات من أجلنا وفَدَانا من الهلاك الأبدي وجعلنا بنيناً له. نحن نشكره بكل قلوبنا، لأنه أعطانا أوامرَ وفرائضَ ووصايا لكي نتمِّمها حتى نُظهِر خضوعنا ومحبتنا الكاملة له.

✠✠✠

القراءة في كتاب مار إسحق

(مُلخَّص)

السبت الثالث من شهر كيهك (ديسمبر ١٩٦٧)

مقدِّمة:

قبل أن نقرأ في كتاب مار إسحق، أريد أن أُنوِّه إلى عظمة مقالات القديس أنبا مقار الكبير.

كنتُ أظنّ سابقاً أن كلام العلماء الذين حقَّقوا هذا الكتاب (***عظات القديس أنبا مقار***) كلامٌ صحيحٌ فيما ادَّعوا به أنها ليس من كتاباته، ولكن بعد الفحص الكثير وقراءة أقوال الآباء واستيعابها، تأكدتُ أن هذا الكتاب لا يستطيع أحدٌ أن يكتبه إلا أنبا مقار الكَبير. لقد قرأته إلى عشرين مرة، ولكن حتى آخر مرة أجد نفسي وكأني أقرأه لأول مرة لَما فيه من عُمق وأصالة إنجيلية وقوة في التعبير.

كتاب عظات أنبا مقار يمثِّل التعمق الإنجيلي الصحيح حتى أنك تجده يستشهد بالإنجيل والتوراة مرَّات كثيرة في الصفحة الواحدة، وربما في كل سطر تجد سَنَداً إنجيلياً ولاسيما من رسائل القديس بولس الرسول والمزامير.

في كل الكتاب قد لا تجد كلمة "نُسك" إلاّ مرّةً واحدة، وهذا يُوضِّح أساسه الإنجيلي الذي يقوم عليه.

كتاب القديس مار إسحق

سيرة القديس:

يُلاحَظ أنه هرب إلى الإسقيط، لأنه وجد أن الأسقفية ستحرمه من الوحدة. وفي هذا نقول أنه لو كان قد أكمل واجبات الوحدة

ومستلزماتِها، لكان قد استمر في الأسقفية و لم يخسر مِنٍ ذلك، ولكن لأن مار إسحق كان قد اُختِيرِ للأسقفية وهو لا يزال مبتدئاً في حياة الوحدة، لذلك وجد أن خدمة الأسقفية خطر على حياته الروحية فاضطر أن يتركها، وهذا يلزم جداً أن نعرفه. وهذا إنذار لكل راهب يتجاسر أن يشتهي أو يطلب الخدمة قبل أن يُتمِّم واجبات الوحدة.

مقدِّمة الكتاب:

النفس لها أعضاء داخلية حقيقية كما للجسد أعضاء ظاهرة خارجية تماماً وليس هذا إدّعاءً أو تخيُّلاً، ولكن هذه الأعضاء حقيقية ويعمل كل واحد منها في مكانه. **فالضمير** غيْر **الفهم**، غيْر **الإرادة**، غيْر **التمييز**. كل هذه الأعضاء الجسدية أُعطيَت للإنسان طبيعياً ليعمل بِها طبيعياً في الأمور الجسدية العادية حتى إذا نجح فيها يؤهَّل بتلك الأعضاء النفسية بالذات أن يعمل بها روحياً. فالذي عنده تمييز في الأمور الجسدانية ويفرِّق بين الخير والشر والمُناسب وغيْر المُناسب، « الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مُدَرَّبة على التمييز بين الخير و الشر» (عب٥: ١٤)، هؤلاء يؤهَّلون للتمييز الروحاني أو الإفراز. لذلك يلزم جداً للمبتدئ الروحي أن يكون له تمييز جسدانيّ حتى يؤهَّل للروحاني، وإذا لم يكن له، فمن العسير أن يتقدَّم في الطريق الروحاني.

يلاحظ أن التمييز عضو طبيعي في النفس، أما الإفراز فهو موهبة مُعطاة للإنسان بعد جهاد شاق طويل وصلوات وتوسُّلات، وذلك للتدبير الروحي.

✠✠✠

سؤال:

- ما سبب تخلُّفنا في الطريق الروحي وعدم نوالنا المواهب الروحية التي كان ينالها الآباء الأولون؟

- جواب:

إننا في الواقع نختار دائماً الطريق المريح، والطريق الروحي غير ذلك. فإذا توقفتَ في طريقك الروحي ووجدتَ أن الطريق له فرعان، واحد سهل والآخر صعب، فالمنطق الروحي يُحتِّم عليك أن تسلك الصعب فتتقدَّم وتنمو في الحال وتحصل على مواهب الروح القدس.

أنتَ في المَجمع لا تستطيع أن تحصل على مواهب الروح القدس إلا إذا قبلتَ مضايقة الأخ وانتهاره. فإن كنتَ تقبل أوامره المتسلِّطة باتضاع ومحبة وبساطة، فأنتَ في الواقع تخطف من أخيك الملكوت. وهذا معنى «ملكوت السماوات يُغْصَب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢). وقول القديس بطرس الرسول: «لأنه أيَّ مجد هو إن كُنتم تُلْطَمون مُخطِئين فتَصْبرون، بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتَصْبرون فهذا فَضْلٌ عند الله» (١بط٢: ٢٠). هذا يُظهِر لنا مَدَى الرفعة والمجد اللذَيْن نحصل عليهما عندما نخطو خطوة واحدة في الطريق الضيِّق من أجل الله.

يُلاحَظ أن الطريق الروحي يَسهلُ لنا عندما نخطو خطوةً في الطريق الصعب الضيِّق، والعكس صحيح. لأن النعمة تزداد جداً كلما اختار المُجاهد الطريق الأضيق. هكذا بعد زمان قليل أو كثير من الجهاد، يرى جميع الناس حوله وكأنَّهم في الأتون، وأما هو فيشعر بالحقيقة أنه في الملكوت، ومعه الرب يسوع.

يُلاحَظ أيضاً أننا لا نُشابه آباءنا الأوائل في هِمَّتهم وصرامتهم. لقد كانوا يأخذون طريق الرهبنة بِهِمَّة شديدة وجدِّية عظيمة، أما نحن فبكل أسف نُحاول أن نأخذ الطريق بِبَساطة وميوعة مع التسلية والهزار في بعض الأحوال، حتى أن التسلية والهزار أخذا طريقهما إلى كثير من الخُدام في

الكنيسة واقتطع منهم أوقاتاً طويلة. فهل نتوقَّع من كل هؤلاء أن يعمل الروح القدس فيهم عملاً واضحاً؟!

الذي يسلك في الطريق الصعبة الضيِّقة، لا يجد لا فرصةً ولا وقتاً للضحك أو الهزار أو التسلية، حتى ولو حاول ذلك فلا يستطيع.

ضع هذه العلامة دائماً أمام عينيك في طريقك الروحي، أنك إذا كنتَ ترغب دائماً أن تختار الشيء الأكثر تعباً وتترك المريح، فأنتَ سائر بنعمة الله. أما إذا كنتَ ترغب في الراحة، فلن تستطيع أن تصل إلى الهدف الذي تسعى إليه، لأن مبدأ الراحة لا يقف عند حدّ، ولابد أن يقودك إلى الخروج خارج الطريق.

✠✠✠

الاستهانة بوصايا الله

(مُلخَّص)

يظن البعض - كما كان يظن شعب إسرائيل - أنه مادام لنا المواعيد فنحن سوف ننالُها، وأن الرب سوف يتغاضى عن إهْمالنا وكسلنا، حتى ولو استهنَّا بوصاياه معتمدين على أن الله لن يرجع عن مواعيده، لذلك هم يكسرون الوصايا أو يُهمِلونَها عن معرفة غير خائفين من غضب الله عليهم. هؤلاء يسمعون ردَّ الله عليهم الذي ردَّ به على شعب إسرائيل في سفر زكريا: "فأخذتُ عصاي نعمة وقَصَفتُها لأنقض عهدي الذي قطعتُه مع كل الأسباط... ثم قصفتُ عصاي الأخرى حبالاً لأنقض الإخاء بين يهوذا وإسرائيل" (زك ١١).

هنا نَرَى كيف أن الله نقض عهده مع شعبه الذي أحبَّه، وذلك بسبب سلوكهم البغيض.

الله لا يتمهَّل على أحد من أولاده في خطيئته، وحتى لو كان أعزَّ أولاده ولم يرجع ويُقدِّم توبة، فإنه يضطر حينئذ إلى تأديبه بأشدِّ التأديبات، غير ناظرٍ إلى ما دَلَّلَهُ الله به من عطايا روحية، وذلك إلى أن يرجع عن خطيته.

✠✠✠

عمل الله وعمل الشيطان في العالم

(مُلخَّص)

الشيطان يعمل في العالم على مستوى المادة والجسد والأرض، أما الله فيعمل على مستوى الروح أي خلاص الإنسان.

الشيطان بالنسبة لشخصَين يستطيع أن يُلقي بينهما البغضة والكراهية والغضب والعراك، أمَّا الله فيعمل في القلوب للمحبة والصفح والتوبة لكي يُعِين الاثنين على الخلاص.

الشيطان بالنسبة لدولتَين يستطيع أن يُلقِي بينهما الحقد والكراهية والحروب، والله يستخدم هذه الحروب لإقناع العاتي المتكبِّر بالنـــزول إلى مستوَى الطرف الآخر وبالتعاون للوصول إلى سلام يُهيِّئ لخلاص الدولة بأكملها. ربما يموت كثيرون، ربما تنهدم مدن كثيرة، ولكن كل هذا لا يَهم بالنسبة لخلاص جيل من الناس.

ربما يسمح الرب لبلد من البلاد بأن تدخل نار الحروب للتأديب والتطهير، وبِمُجرَّد رجوعها وقبولِها صوت الله بالتوبة يعفي عنها.

✠✠✠

العاطفة وعلاقتنا بالله

يجب أن لا تكون للعاطفة فرصة ولا عمل في علاقتنا بالله. فإذا سهَّل لي الرب أموري واستجاب صلاتي، أفرح وأشكر وأتعزَّى. وإذا جرَّبني وأدَّبني، أقول: «مَلْعونٌ اليوم الذي وُلدتُ فيه اليَوْم الذي وَلَدَتْني فيه أُمي لا يَكُنْ مباركاً» (إر٢٠: ١٤).

علاقتي بالله فوق العواطف، وينبغي أن لا تُؤثِّر فيها الأحداث سواء المُفرِحة أو المُحزِنة.

كذلك ينبغي أن تكون عواطفي بالآخرين لا تُؤثِّر على علاقتي بالله. فإذا حدث أن ضايقني شخصٌ ما، كان ذلك سبباً في اضطرابي وتسَجُّسي وفُقدان سلامي مع الله. وإذا رَضي عني شخصٌ ما، كان ذلك سبباً في فرحي وتعزيتي وشكري إلى الله. وكأنه يوجد ما يمنع حُبّي لله أو يوجد إنسان سيفصلنا عن محبة المسيح! هذه ليست المسيحية التي تقول: «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح... فإني مُتيقِّن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات... ولا خليقة أخرى نقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو٨: ٣٥-٣٩).

الشخص الطبيعي إذا كرَّمتَه وأظهرتَ له عطفاً وإحساناً، احترمك وأحبَّك وإذا احتقرتَه، أبغضك وتضايق منك. **أما الشخص الروحي السوي فإنه يحبك ويحترمك سواء أكرمتَه أو لم تُكرمه، سيان عنده في الحالتين. فكم يكون الله نفسه!** فإنه لا ينظر إلى عواطفك إن كانت حسنة أو رديئة، ولا يأخذ في حبِّه لك اعتبار حُسْنك أو قُبْحك، بل سيعاملك على أنك خليقته التي خلقها وأحبَّها بِما فيها من نقص وضعف وعلى أساس الأمانة التي يُظهِرها الإنسان من نحو وصاياه.

الشخص الطبيعي يحتاج إلى العطف وأخذ الكرامة من الناس، أما المؤمن الذي اتحد بالمسيح فهو لا يحتاج إلى العطف ولا الكرامة لأنه غَنيٌّ بالمسيح هو يُعطي ولا يأخذ، كما يقول الكتاب: «مَغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع٢٠: ٣٥)، لأن فيه المسيح الكنْز الحقيقي. هو

يعطف على جميع الناس ويُكرِم جميعِ الناس على مثال المسيح. وهو يَهرب من عطف الناس ومديح الناس، أولاً لأنه مُستغَنٍ بالرب، ثانياً لأنه يخاف لئلا يُسرَق ويميل إلى كرامة الناس التي تُفقِده في الحال الكَنْز الحقيقي وهو الرب يسوع.

إذا أتى شخصٌ ليطلب مساعدة عروس حديثة الزواج، وقد أعطاها عريسها كل ما عنده يوم عُرسها لأنه يحبها، فإنَّها تعطيه بسعةٍ وسخاء. أما إذا كانت عذراء ما زالت تحت الوصاية في بيت أبيها فإنَّها لا تملك أن تعطيه شيئاً. هكذا النفس المُتحدة بعريسها السمائي الرب يسوع تُعطى بسخاء وسِعة من العطف والكرامة لكل المُحتاجين.

أحياناً يدلِّل الرب الإنسان المؤمن ويعامله بالكرامة والعواطف الجميلة في بدء حياته الروحية حتى يتصلَّب عودُه ويتشدَّد، ثم يُدخِله مدرسة التجارب العُليا، فيمنع عنه الكرامات والعواطف التي منحها له سابقاً حتى يُجرِّده من كل شهوة أخرى غير العريس السمائي وتكون العلاقة الجديدة مع الرب خالية من كل العواطف والكرامات.

نشيد الأناشيد يمثِّل العواطف التي تتبادلُها النفس المبتدئة معٍ الله الحبيب، ولكن عندما تتقدَّم في الطريق الروحي لن تستهويها كثيراً هذه العواطف لأنَّها ستُسلَب منها لترتفع فوقها.

✠✠✠

احتمال الآلام برِضا وشكرٍ كفيلان أن يحُطِّما مملكة الشيطان

(مُلخَّص)

الذين يحتملون الآلام بتذمُّر أو حتى يستشهدون عن غير رضَا، هؤلاء يفقدون نصيبهم في السماء لأنَّهم تمَّموا مشيئة الشيطان في التجربة الآتية عليهم. أما الذين قبلوا الموت بشكرٍ ورِضا وفرح، هؤلاء قد جحدوا مشيئة الشيطان وحطَّموا مملكته.

✠✠✠

الاتحاد بالله

(مُلخَّص)

يظن البعض أن الاتحاد بالله عملية بسيطة وسهلة وتتم في لحظة، بعدها يكون الإنسان في حالة اتحاد مستمر هذا خطأ. الاتحاد بالله يلزم أن يكون في كل لحظة، وفي الوقت الذي فيه يترك الإنسان الله ويَسرَح بعقله في أمور باطلة، المسيح لن يثبت في قلبه. وإذا رجع إليه ليبحث عنه لن يجده "«الرَّب معكم ما دُمْتُم معه، وإنْ طَلَبتُموه يُوجَد لكم، وإن تركتموه يترككم» (٢أخبار١٥: ٢). لن يُوجَد الرب في داخل قلبك إذا تركته وخرجتَ خارجاً تبحث عن مسرَّات جسدية أو تسليات عقلية أو لعب أو شهوات عالمية.

إذا تمسكتَ بالرب في كل لحظة فالرب قريب، ويظهر ذلك إذا هاجمتك التجربة فإذا دعوتَه يُوجَد في الحال ولو أدَّى الأمر إلى عمل معجزة أو ظهور ملاك. أما إذا كنتَ لاهياً عنه وصرختَ إليه وقت التجربة، فلن يُوجَد لكَ، ثم تُلقي اللوم بعد ذلك على الله لأنك طلبتَه ولم تجده، والحقيقة أنكَ أنتَ الذي تركتَه أولاً.

المسيح إله حرٌّ غير مقيَّد حتى بِمواعيده إلاّ للذين تمسَّكوا بالمواعيد، أمَّا لشخصٍ غير مُهتمٍّ ولا مُتمسِّكٍ بمواعيد الرب، فهذا لا تفيده المواعيد شيئاً. المسيح يكون أميناً لإنسانٍ مُتمسِّك بِمواعيده ويخضع له بالحب هو يُغلَب مِن تحننه ويدخل إلى قلبه.

المسيح قوَّة خلاصية للنفس ولا يمكِن أن نُدخِل هذه القوة إلى قلبنا إلاّ إذا جاهدنا بالقوة لإدخالِها، «ملكوت السماوات يُغصَب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢). لا تظنّ أن المسيح يسكن قلبك دون أن تُجاهد وتتعب وتغصب ذاتك بجهادٍ مستمر طويل، ربما يطول إلى سنة أو إلى شهر أو أكثر أو أقل لستُ أعلم، ولكن لابدَّ من الجهاد والمثابرة المستمرة حتى يسكن الرب ويستريح في القلب. وعلامة ذلك أن يحسَّ الإنسان بحرارة مستمرة في القلب ويخفُّ الجهاد جداً. وإن كان يجاهد

أيضاً، إلاّ أن النعمة تحمله وتُسهِّل عليه جهاده وإن قلنا إنه في الابتداء يتعب ويجاهد، وهذا أيضاً يكون بمؤازرة النعمة.

يوجد مَنْ يسرَح في أمورٍ تافهة، يسرَحٍ في الأكل والشرب، يسرَح في ما سيعمله من العمل. أليس هذا أمراً مُحزناً للغاية أن يترك الإنسان الرب يسوع في الداخل ويخرج خارجاً للاهتمام بأمورٍ باطلة؟ هل تظنُّ بعد ذلك أن ينتظره المسيح في الداخل؟ أنتَ تصلِّي الساعة الثالثة ثم تعمل ثلاث ساعات أو أقل أو أكثر ثم تذهب لتصلِّي الساعة السادسة، هل تظنُّ أن الرب ما زال موجوداً في القلب ينتظرك طالما كنتَ في عملك مَهموماً بالعمل فقط، وقد تركتَ الالتصاق بالرب.

✠✠✠

عمل النعمة وجهاد الإنسان

(مُلخّص)

يظل الإنسان بعيداً عن طريق الله واتِّباع وصاياه ويَسخَر منها، فتقول له: "أحب زميلك الذي يكرهك"، فيسخر منك ومن وصايا الرب، ولا يعود ينفع فيه وعظ أو توجيه. وفجأة ينتبه بطريقة ما يُعدُّها له الرب ربما بمرض، ربما بظُلمٍ في العمل، ربما بكلمة في الإنجيل فيرَى نفسه أنه ضائع لا محالًة وأنه غير مسيحي بالمرّة، فلا مناص حينئذ مِن أن يحبَّ عدوَّه.

هو يجاهد في أن يحب عدوه ولكنه يفشل، لأن الإنسان بإرادته وقدرته لا يستطيع أن ينفِّذ الوصية. فيصبر على الجهاد عالماً أن هذا هو طريق الحياة أو الموت، ويجاهد مرّةً واثنين وثلاثة بصبْر وأمانة للوصية.

وفجأةً تنسكب المحبة نحو عدوِّه في قلبه ويجد نفسه أنه يعطف عليه ويحبه بلا جهاد، ويَرَى نفسه أنه مستعد لمقابلة الشر بالخيْر بطريقة مُدهشة عجيبة يعجب هو نفسه منها.

في الخطوة الأولى باغتت النعمة الإنسان وهو في عناد قلبه برحْمة الله، وربما من أجل صلوات إنسان يُصلِّى من أجله، فكشفت له النعمة خطورة موقفه وفي الخطوة الثالثة آزرته النعمة لما رأت أمانته وإخلاصه للوصية في جهاده المستمر فأعطته أن يحب عدوه بقوة إلَهية.

✠✠✠

الحب الإلهي

البعض مِنّا يظنّ في نفسه أنه عندما يحب الرب يسوع، أن هذا الحب هو شبه علاقة بين رجلٍ ورجل.

علاقتنا مع الرب يسوع تفوق في قوّتِها وأحاسيسها علاقة رجل مع امرأة أو علاقة عريس مع عروسه.

الرب يسوع عمل فينا ويعمل كلٍ يوم كعريس حبيب جداً لنفوسنا وهو يطلب حبنا كعاشق لنفوسنا جداً.

أن نعمل علاقة عِشق وحبٍّ مع الرب يسوع، ليس هناك ما يعوقها – من جهة الرب – بل هي حاضرة في نفس اللحظة التي تريدها وهي الآن وفي أي مكان فلو طلبتَه بالحب من كل القلب فسوف تجده في الحال معك وفي قلبك، وسوف يستعلن لك حبَّه الفائق في كل الحوادث التي تدور حولك.

✠✠✠

فضيلة الاتضاع

الاتضاع له اتجاهان: الأول سلبي مُفسِد، والثاني إيجابي وهو اتضاع المسيح.

١. **الاتضاع السلبي:**

وهو أن يحس الإنسان تجاه الآخرين أنه أحقر منهم وأخطأ منهم وأضعف منهم وأحطّ منهم. هذا يقود إلى صغر النفس، وهذا اتضاع مُفسِد غير مسيحي وغير إنجيلي.

الإنسان لا يتضع لآخر إلا إذا أحسَّ في نفسه أن هذا الآخر أحسن منه بالفعل وأطهر منه بالفعل. ولكن إذا كان الذي أمامه مثله تماماً أو أحقر منه، **فكيف يحسُّ بالاتضاع**؟ إذاً فسيكون مثل هذا الاتضاع مُزيَّفاً، لأن الحقيقة تكون خلاف ذلك، إذ يشعر الإنسان أن الذي أمامه شرير خاطئ ويُحاول أن يقنع نفسه أنه عكس ذلك!

٢. **الاتضاع الإيجابي:**

وهو أن يأخذ الإنسان كل ما للمسيح من اتضاع بالإيمان. واتضاع المسيح هو تخلِّيه عن قوته ومجده وتنازله عن كل ما له، «إذ كان في صورة الله لم يَحسب خِلسة أن يكون مُعادلاً لله. لكنه أَخْلَى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وَضَع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢: ٦-٨).

فأنا إن كنتُ أخذتُ المسيح بالإيمان، فأنا أخذتُ صفات المسيح وفكر المسيح، فكيف أنكر كل هذه المواهب؟ كذلك أخذتُ أيضاً اتضاع المسيح.

اتضاع المسيح هو، بالنسبة لله، أن يشعر الإنسان بالفرق الشاسع بين الجُبلَة وخالقها. هذا هو الاتضاع الإلهي الحقيقي، لذلك فهو نوع من العبادة لله وموجَّهة نحو الله.

الاتضاع الإيجابي الإلهي يجعلني أعامل أخي أن أكون متضعاً له من

أجل الله، ولا يتدخل في ذلك حالة الإنسان الذي أمامي سواء كان قديساً أو شريراً، واضعاً فى نفسي أن أكون متضعاً في كل وقت أمام الله.

الله أجرَى طقس غسل الأرجل وأمَرَنا أن نعمل ذلك بعضنا لبعض، وهذا دليل على أن الاتضاع أمر إلهي ووصية إلَهية، نحن ملتزمون بِها حتى يعالج الرب كبرياء الإنسان.

✠✠✠

سرُّ نجاح الكنيسة الأولى

(فبراير ١٩٦٧)

عاش المؤمنون في الكنيسة الأولى كنيسة الرسل في بساطة الإيمان العملي بالرب يسوع كفادٍ وإله. آمنوا بمجيئه الثاني وقرب زوال الأرض وما عليها، فأسرع كل واحدٍ بـــبَيع ما عنده من أملاك ووضع أثمانَها تحت أرجل الرسلِ، والبعض ترك زوجته، وأهملوا جداً في الأمور الأرضية واهتماماتِها، مُتوقِّعين في كل لحظة الانطلاق مع المسيح إلى السماء. في غمرة هذه المشاعر الروحية التي كان يعيش فيها المؤمنون غير مُبالين بحياتِهم الأرضية كان الروح القدس ينطق على أفواههم ويعمل بقوَّة على أيديهم بالرغم من ضعفهم وجَهالتهم.

فإن كُنَّا نسأل عن الفرق في السلوك بيننا وبينهم، نجد أنه بالنسبة لضعف الطبيعة البشرية ليس هناك أي فرق، فهم مثلنا تماماً في كل ضعفاتنا ولكن بالنسبة للحياة الأبدية فكان لهم هذه النظرة المُحدَّدة، نجد أنّهم نالوا ميراثهم الأبدي وهُم على الأرض وكانوا كالملائكة يُسبِّحون معاً بنفس واحدة بفرحٍ عظيم.

العيب كل العيب في حياتنا أننا ظَلَلْنا سنوات طويلة نخلط بين الحياة الأرضية والحياة الإلَهية، خلطنا بين المسيح وبين أكلنا وشُربنا وأعمالنا الأرضية ومشاكل الكنيسة وأهواء قلوبنا. لابد أن يكون هناك خط واضح في حياتنا بين المسيح والعالم بين الحياة الإلَهية والحياة الأرضية التي نمارسها كالخط الذي يفصل النور عن الظلمة.

كُنَّا نظن قبلاً أنه يُمكن أن نستمر في عبادة الله ونحن نُؤدِّى أعمالنا الجسدية. هذا خطأ. عبادتنا الروحية لابد أن نميِّزها على كل أعمالنا الجسدية. العمل الجسدي عمل، والصلاة صلاة.

لابد أن نُغَلِّب الروح على الجسد، والمسيح على العالم، ولا نستخدم الروحيات والإلهيات في خدمة أمورنا الجسدية.

ربما يسألني أحدٌ قائلاً: إني خرجتُ من العالم ورفضتُ أهلي وأحبائي وها أنا أصوم وأصلِّي لله كل يوم، ألا يكون هذا علامة واضحة وخط فاصل يُبيِّن أنني غلَّبتُ الروح على الجسد؟ أجيبك أنه ممكن جداً أن تفعل كل هذا ولكنك تكون ما زلتَ مُنحازاً للعالم والجسد دون الله.

يُوجَد اختبار يُوضِّح انْحيازك الكلِّي لله. هَبْ أنكَ تعمل أي عمل مَهما كان مُهمّاً وخطيراً كأن تطبخ أو تبني أو تكنس أو تزرع، وحدث لكَ رعشة إلَهية في كيانك بخصوص حياتك الأرضية وزوالِها، سواء كان بالنسبة لزوال العالم والعمل الذي تعمله وزوال جسدك، وصَغُر العالم الذي تعيش فيه حتى صار في عينيك لا شيء، وكبُر جداً العالم الآخر حتى غَطَّى كل أفكارك، وأسرعتَ وانطرحتَ أمام الله مُستجيباً لجَذْب السماء مُنحازاً بالأحرى إلى الحياة الإلَهية الأبدية دون الجسدية غير مُبال إن كان في ذلك ضياع كرامة أو زوال مجد أرضي أو فُقدان راحةً جسدية أو تعرُض لجوعٍ أو عطشٍ أو مرض. فإن كان عندك مثل هذه الاستجابة السريعة، فأنتَ بلا شك مُنحاز إلى الله بكلِّيتك ومُهيَّأ لكي يعمل فيك الروح القدس بكل قوَّة.

البعض مِنَّا خرج من العالم إلى الرهبنة وهو ما زال مربوطاً بروابط أرضية خطيرة جداً تُهدِّد حياته الروحية، كأن يكون له تعلُّق بمحبة أُمٍّ أو أبٍ أو حنين لبيت أو مدينة أو كنيسة مُعيَّنة أو خدمة أو تمسُّك بشهوة طعامٍ أو شراب كان يحبه في العالم. هذه كلها روابط شديدة تستطيع أن تجذب الإنسان إلى الأرض، فإن لم يقطع الراهب هذه الروابط فلن ينطلق مَهما جاهد في الصلوات والأصوام وانقطع في البريَّة عشرات السنوات.

علاقتنا بالأهل لابدّ أن تكون واضحة لنا، هل ما زال يصعد على قلبك ذِكر أبيك وأمك وإخوتك، أَمْ أن هذا الموضوع لا أثر له عليك بالمرة حتى ولو قالوا لك إن واحداً منهم قد مات.

علاقتنا بالكنيسة لابدّ أن تكون أيضاً واضحة لا يؤثِّر فيها ما عمله فينا الرؤساء من شرٍّ أو خيْر.

يسألني أحدكم: "كيف أشعر بحضرة الرب في الصلاة؟" أقول له: "مَوِّت حضرتَك وحضرة العالم، تجد نفسك طبيعياً في حضرة الرب بغير تكلّف"، أي مَوِّت ذاتك وشهواتك الجسدية، واقطع الروابط التي تربطك بالعالم، تجد نفسك في حضرة الرب بلا مانعٍ ولا عائق. فليس ممكناً أن تُوجد في حضرة الرب وما زالت حضرة ذاتك وحضرة العالم موجودتان.

كثيرون يحاولون عن طريق التداريب الروحية أن يُقنعوا أنفسهم بالوجود في حضرة الرب من غير أن يُغيِّروا حياتَهم، هذا خطأ وخداع.

عندما شَعَر أنبا أور بهذه الرعشة الإلَهية التي افتقدته وهو يعمل في الطين مع تلاميذه في الحَال تركوا العمل وانطلقوا إلى قلاليهم مُنحازين إلى جذب الروح ولم يتباطئوا أو يؤجِّلوا، فأثبتوا أنَّهم مُنحازون إلى الله دون ذواهم ورغبة أجسادهم.

ربما تسألني: ألم يأكلوا بعد ذلك وينامو ويعملوا؟ أقول: نعم، كانوا يأكلون ويشربون وينامون، ولكن في ساعة الاختبار أثبتوا أنَّهم في جانب الله دون الجسد.

عندما تكون مُعتكفاً في القلاية لا يظهر لك بوضوح نتيجة هذا الاختبار، لأنه لا يوجد في القلاية أعمال جسدية هامة، أما خارج القلاية في وسط العمل والخدمة فيُمكن بوضوح اكتشاف مَدَى انحيازك إمَّا للجسد والذات والعالم أو لله والحياة الأبدية.

✠✠✠

منابع الطقس الكنسي القبطي

(مُلخَّص)

٢٠ مارس ١٩٦٧

نسمع عن الرب يسوع أنه كان يُعلِّم في الهيكل ويتمشَّى في الهيكل وأنه دخل الهيكل وقَلَبَ موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام قائلاً: «بيتي بيت الصلاة يُدعَى» (مت٢١: ١٣). الرب يسوع كان يُحب الهيكل جداً وكان يُقدِّسه وكان يصلِّي فيه مع تلاميذه. وهذا لا ينفي أنه قال لَهم أنه لا يبقَى فيه حجرٌ على حجرٍ إلاّ ويُنقَض، بسبب سلوك اليهود الشرير. فالله لا يَهمُّه الهيكل في ذاته ولا الذبائح في ذاتِها ولا الصلاة في ذاتِها ولا عمل الوصايا في ذاتِها، ولكنه يَهمُّه القلب والنيَّة المعمول بِها العبادة والصلاة، يَهمُّه طاعة الإنسان في تتميم الوصايا مَهما كانت الوصايا بسيطة.

فالرب يسوع أظهر بسلوكه ما يجب أن يعمله الرجل اليهودي التقي تجاه الهيكل، وسلَّم هذا الشعور المقدَّس إلى تلاميذه، فكانت الكنيسة الأولى تُقدِّس الهيكل وتُصلِّي فيه بعد صعود الرب، وتُتمِّم فرائض الصلاة فيه من جهة مزامير وتسابيحَ وحضور صلاة رفع البخور في باكر وعشيَّة، لأنَّها لم تكن من صُنع الإنسان بل بأمر إلهي. أما الصلوات والطقوس الرمزية التي كانت تُشير إلى المسيح فقد استبدلوها بالمسيح نفسه، فصارت عبادتُهم الجديدة مُطعَّمة بشخص المسيح، يعبدون حسب الطقس المُسَلَّم من الله الذي أجراه المسيح بنفسه. ولكن الأمور النافلة من جهة تطهيرات وغسل أباريق التي تكلم عنها المسيح أنَّها وصايا آباء ولا تنفع، فهذه أبطلوها.

فكانت العبادة المعروفة في الهيكل من تسابيح وصلوات ورفع بخور باكر وعشيّة ومزامير وأصوام وأسهار هي أساس العبادة في الكنيسة الأولى، حتى أننا نُلاحظ أن اليهود كان عندهم في صلاة عشية وباكر

١٨ بَرَكَة (بَروكية)، تُقال على كل الأشياء التي يعيش فيها وبها الإنسان. كلمة "بَرَكَة" تَعني تقديس، فكانوا يُقدِّسون الأشياء كلها لله: والله **بارَك** الأهوية، **بارَك** المياه، **بارَك** الزروع، **بارَك** البيوت، **بارَك** الحيوانات، بارَك المَحاصيل.

وهذا ما نلاحظه في صلوات عشيّة وباكر في الكنيسة القبطية حتى أن الكاهن يبدأ هذه الأواشي بكلمة (**ϣλ̅λ ⲉⲩⲗⲟⲩⲉⲥⲟⲛ**) لشريكه الكاهن الآخر أو (**ϣλ̅λ ⲉⲩⲗⲟⲩⲉⲧⲉ**) إذا كان أكثر من كاهن آخر، ومعناها "بارك أنتَ" أو "باركوا أنتم"، أي أن مفهوم الصلاة كلها هو أن يبارك الكهنة على كل شيء ليتقدَّس للرب. أليس هذا هو نفس مفهوم العبادة الأولى في الهيكل.

يظن البعض أنه في أيام المسيح كان شعب إسرائيل في فتور روحي. كلا، كان الشعب حارّاً يسأل دائماً: «**كيف أَخلص**»؟ «**كيف أَرِثُ ملكوت الله**»؟ «**أية وصية هي العظمى**»؟ (أع١٦: ٣٠؛ مر١٠: ١٧؛ مر١٠: ١٧؛ مت٢٢: ٣٦). والإحصائيات المعروفة في ذلك الوقت عن وجود مجامع في أورشليم التي كان اليهود يصلُّون فيها كل عشيَّة غَيْر الهيكل كانت تبلغ حوالي ٤٠٠ مجمع. فإذا عرفنا أن تعداد أورشليم في ذلك الوقت كان حوالي ٦٠٠ ألف نسمة والهيكل نفسه كان يسع حوالي ١٢٠ ألف نسمة، نعلم مَدَى غيرة اليهود في ذلك الوقت في العبادة، والمسيح نفسه كان يذهب مع التلاميذ إلى مثل هذه المجامع ويتحدَّث فيها إلى الشعب.

تعالوا معي لنرَى ما كان يجَرى في مصر في فجر ظهور المسيحية على أيدي القديس مرقس الرسول. كان يُوجَد أولاً جالية يهودية تقيَّة جداً عارفة بالأسفار الإلَهية ومُتمسِّكة بالعبادة وتُجيد اللغتَين العبرية واليونانية، وكانت عندهم الأسفار مترجمة إلى اليونانية، وكان منهم جماعة الأسينيين المُتعبِّدين في البريّة حول بُحيرة مريوط (ميرا)، هؤلاء وصفهم فيلو المؤرخ اليهودي في ذلك الزمان ولم يشأ أن يُظهِر أنَّهم مسيحيون ولكنه طوَّبَهم

جداً بسبب حياتِهم وعبادتِهم. هؤلاء كانوا أولاً يهوداً ثم قبلوا الإيمان المسيحي على يد مرقس الرسول، فانتقلوا بعبادتِهم الإلَهية ودخلوا المسيحية على نمط يهود أورشليم الأتقياء، فنقلوا تراث العبادة الثمين معهم ولم يخترعوا شيئاً من ذواتِهم، أما ما كان رمزاً للمسيا فقد فَكُّوه وأبطلوه. فبدأت المسيحية في مصر على أساس طقس إلهي متين جداً وعلى أساس المزامير والتسابيح والأسفار الإلَهية. ولما كانت هذه الأسفار مترجمة في ذلك الزمان إلى اليونانية، أخذها منهم الأقباط المصريون واستلموها بسهولة وساروا على نَهج عبادتِهم بكل دقة.

✠✠✠

الألحان في العبادة

العريف الذي يقدِّم في الصلاة اللحن بروح الصلاة والعبادة الحقيقية هو في الواقع يقدِّم ذبيحة ثمر شفاه (عب١٣: ١٥)، ويُقدِّم ذاته مع اللحن بتقديمه آخر ما عنده من قوَّة ومعرفة وأحاسيس وتوسُّل. الشماس المُتضِع لا يُظهِر ذاته في الخورس على إخوته ولا يتعاجب بصوته، وبقدر ما يترك نفسه ينساب في اللحن مع اِخوته يشعر بفرحة عظيمة جداً، لأن الروح يستريح فيه ويصلِّى على لسانه.

فالألحان والتسابيح على هذه الصورة عندما تُقدَّم بروح الجماعة تُلاشي الذاتية، وهذا هو مفهوم الذبيحة، لأن الإنسان عندما يقف أمام الله يحتاج إلى ذبيحة تفديه من الموت. فكان الإنسان قديماً يُقدِّم الخروف فتنتقل خطية الإنسان من ذاته إلى الذبيحة التي ستموت ويتبرَّر هو، فجاء المسيح وأكمل هذه الفِدية، فمفروض أن يحتفظ المؤمن بعمل فدية المسيح بالاتضاع والعبادة الحقيقية القلبية وتقديم أحسن ما عنده.

✠✠✠

أثر التعاليم الأوريجانية في العبادة المسيحية الفردية

(مُلخَّص)

٢١ مارس ١٩٦٧

المسيحية ظهرت في العالم في صور مختلفة، فالصورة الأولى في أورشليم في صورة ترك كلّي لكل شيء واتِّباع الكنيسة، فكان الرجل يترك بيته وزوجته وأولاده ويتبع الرسل، ويُلقي بأمواله ومقتنياته عند أرجل الرسل، ويأتي للكنيسة للعبادة والصلاة مُعتَمِداً على أن الكنيسة ستتكفَّل باحتياجاته الجسدية والروحية مُنتظِراً ومُتوقِّعاً بيقين شديد مجيء الرب يسوع. **تصوَّر أن يهودياً يترك أمواله ومقتنياته!!**(كان مشهوراً عن اليهود تمسُّكهم الشديد بالمال)، هذا دليل أكيد على التغيير الكامل. فكانت الكنيسة تنْمو وتزيد في العدد وفي الغيرة، وكانوا يأكلون ويشربون معاً بفرح وبساطة قلب. **في الواقع كانت هذه الحياة حياة رهبانية محضة.**

لما زاد العدد جداً اضطرت الكنيسة أن تمنع الناس عن ترك الأهل والأموال، وقالت لَهم: اِلزموا بيوتكم واستبقوا أموالكم واعبدوا الرب بفرحٍ واجعلوا التَرْكَ هو ترك القلب من جهة الأهل والمقتنيات.

هذه البذرة المقدسة لم تُمتْ، ولو أنّها اختفت قليلاً، إلاّ أنّها ظهرت في عصر الشهداء بعد حوالي ١٥٠ سنة في صورة شهادة للمسيح في جماعات كثيرة بالمئات والألوف في جميع أنحاء العالم. فكان أقوَى مظهر للمسيحية العملية الحقَّة التي فيها يفرح المسيحي جداً أن يترك ليس أهله ومقتنياته فقط بل وجسده أيضاً لِيُقتَل بأشنع الطرق لكي ينطلق إلى المسيح.

انتهي عصر الشهادة بالدم. وإذا بنفس البذرة تنبت وتظهر بصورة أخرى رائعة للمسيحية الحقَّة وهي **الحياة الرهبانية** في الأسقيط بصورة

غامرة. فنجد آلافاً من الرهبان في الأسقيط في نهاية القرن الرابع. وفي ظرف سنوات قليلة، حوالي ٢٥ سنة، كانت الرهبنة قد وصلت إلى ربوع أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا بصورة مُبدِعة. وكان الآباء يتفنَّنون في أن يبذلوا أجسادهم بالجوع والعطش والفقر الشديد والنسك حُبّاً في المسيح، حتى اعتُبرت الرهبنة صورة أخرى من صور الاستشهاد لأن المُستشهد يستشهِد مرّةً واحدة، أما الراهب المُجاهد ضد الجسد والشيطان فهو يستشهد كل يوم، أي يموت موتاً بطيئاً.

هذه هي صور المسيحية الثلاثة القوية التي تجلَّت فيها الشهادة الحقيقية للمسيح. ولكننا نسمع عن ظهور مدرسة جديدة للاهوت تسمى مدرسة الإسكندرية، وهذه المدرسة كانت تُعلِّم وتُفسِّر الكتب المقدسة وتُلقِّن المسيحية في **صورة معرفة**، وكانت هذه بداية الخراب في المسيحية والانحراف عن مفهوم المسيحية البسيط العملي.

المسيحية البسيطة العملية تعتمد على تنفيذ وصية الإنجيل بغيْر هدف سوَى طاعة الله الذي قال الوصية، فكان المسيحي ينال نعمة وفرحة في تتميم الوصية، لأن المسيح نفسه يُظهِر له ذاته «الذي عنده وصاياي ويحْفظُها فهو الذي يحُبُّني، والذي يحُبُّني يحُبّه أَبي، وأُنا أُحِبّه، وأُظْهِرُ له ذاتي» (يو١٤: ٢١). فكانت الكنيسة الأولى في حالة روحية عالية جداً وكذلك الشهداء والرهبنة الأولى بسبب تتميم الوصايا ببساطة وإيمان.

أتت مدرسة الإسكندرية لتُفسِّر الوصايا **عقلياً**، وكان أوريجانوس هو الشخص الخطير في هذا المضمار.

أوريجانوس تَربَّى في المدرسة الوثنية الإسكندرية مع أفلوطين [أو أفلاطون الجديد في القرن الثاني]، وكان الأخير ينادى بتعاليم أفلاطون الوثني بصورة مُحوَّرة جديدة.

نادَى أفلوطين بتعاليم روحية مُلخَّصها أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى الله **عن طريق العقل** إنما في صورة مراحل عملية يسعى بِها بجهده الشخصي، وهذا يُؤهِّله في النهاية للوصول إلى الله عقلياً والاتحاد به.

كان هذا المنهج الفلسفي الوثني يتضمَّن ٣ مراحل :

١- مرحلة التطهير من الخطية جسدياً وعقلياً.

٢- مرحلة التأمل.

٣- مرحلة الاتحاد بالله.

طبعاً بالنسبة للعقل فهذه التعاليم كانت تُبهِر أي إنسان جداً، وهي في الواقع لذيذة وجميلة وتستهوي جداً العقلانيين، وقد تأثَّر بِها كثيرون من اللاهوتيين والقديسين أيضاً. فأوريجانوس تأثَّر بهذا المنهج الوثني فنقله لمدرسة الإسكندرية التي كان يرأسها ولكنَّه مَسَحَه بوضعه في قالب مسيحي بإضافة كلمة "النعمة" و"المسيح" وبعض آيات من الكتاب المقدس.

هذا المنهج يعتمد على قدرة الإنسان على الوصول إلى الله **كأن الله مُثبَّتٌ في نقطة ونحن نصل إليه! مع أن الله هو الذي أتى إلينا، أما نحن فلا نستطيع بقدرتنا أن نصل إليه. هو أتى إلى العالم ليُخلِّص الخطاة وهو الذي دعانا إليه بابنه يسوع المسيح.**

هذا المنهج العقلاني ليس للبنين بل هو للخارجين، فهُم يجترئون على الوصول إلى الله دون دعوة (عن طريق **غيْر الإيمان بالمسيح). نحن لا نستطيع أن نقترب إلى الله الآب إلاّ عن طريق المسيح.**

تسألني: وهل هم يَصِلُون إلى الله؟ أقول لك: نعم يَصِلُون، لأن العقل هِبَة إلَهية وله إمكانيات إلَهية في الوصول إلى الله، فهُم يستخدمون العقل للوصول ويَصِلُون بالفعل ويرون أموراً إلَهية ويتعزَّون، ولكن بكل أسف يرتدُّون ثانيةً إلى حيث كانوا أولاً بتعب شديد بسبب الجهد الواقع على النفس، ولا يستطيعون أن يَثْبُتوا في المجال الإلهي لأن هذا لا يَتمُّ إلاّ بالمسيح.

المنهج الأوريجاني في صورته الظاهرية يظهر كأنه مثل المنهج الآبائي البسيط، فهُم يصومون ويُصلّون وينفِّذون الوصايا تماماً، ولكنهم ينفِّذون

الوصايا للوصول إلى هدفٍ. هذا الهدف هو التأمل في الإلَهيات وإشباع العقل في معرفة أمور خَفية عالية ثم أخيراً الاتحاد بالله.

أمَّا **المنهج الآبائي** فَهُو **يَعمل الوصية** ليس لهدف إلا فقط لأن الرب أمَرَ بالوصية، ولا يزيد عليها. هو **يُصَلِّي كل حين** لأن الرب أمَرَ بالصلاة كل حين، **هو يصوم** لأن الرب أمَرَ بالصوم، فقط ولا يزيد على ذلك شيئاً.

في **المنهج الأوريجاني** يصوم الإنسان ويُصَلِّي ويتنسَّك بهدف الوصول إلى الله. أمَّا **المنهج الآبائي** فيقول: **أنتَ ابن الله بالإيمان بالمسيح** لذلك فأنتَ تصوم وتصلِّي وتتنسَّك حُبّاً في المسيح الذي أمَرَنا أن نصوم ونُصَلِّي ونتنسَّك، فنحن نعمل وصاياه لأننا نُحبّه كما قال هو: «الذي عنده وصاياي ويَحْفظُها فهو الذي يُحبُّني، والذي يُحبُّني يُحبُّه أبي، وأُنا أُحِبُّه، وأُظْهِرُ له ذاتي» (يو١٤: ٢١).

المنهج الأوريجاني يَسعَى لتثبيت الذات وتأليهها، و**المنهج الآبائي** يُلاشي الذات لأن تتميم الوصايا طاعةً لله فقط مِن شأنه أن يجعل المسيح يحلّ مكان الذات «إن أحبَّني أحدٌ يحفَظ كلامي، ويُحبُّه أبي، وإليه نأتي وعنده نَصنعُ منـــزلاً» (يو١٤: ٢٣). فالذي يعمل وصايا المسيح من غيْر أي هدف سِوَى طاعة الله، هذا يَدلُّ على أن هذا الإنسان يجحد ذاته ويطلب أن يحلّ المسيح محلّ ذاته.

الذي يسلك **بالمنهج الآبائي** ممكن جداً أن يعطيه الله كل العطايا الروحية التي يسعَى إليها الذي يسلك بالمنهج العقلى ولكن في صورة هِبَة. فالذي يسلك بالوصايا طاعةً للرب بأمانة، ممكن جداً أن يمنحه الرب فترات تأمل مقدَّسة كَهِبَة من غير أن يسعَى هو إليها بمجهوده الشخصي، وهكذا الاتحاد بالله يأخذه كَهِبَة وبقية الفضائل. فَهو يحصل مثلاً على الاتضاع كَهِبَة مَجانية من الله، وهكذا.

المنهج الأوريجاني مثلاً يقول: أُسلُك بالاتضاع الذي يُوَصِّلك إلى الصوم والنسك، ومن هنا تستطيع أن تدخل مرحلة التأمُّل في الإلَهيات.

أمَّا المنهج الآبائي فيقول: صُمْ طاعةً لله فقط فيمنحك الله التواضع كَهبَة من عنده مَجَّاناً لا ثمناً لصومك، لأنك مَهما صُمتَ وأذَبْتَ جسدَك بالجوع والعطش فَهذا لا يمكن أن يكون ثمناً لِهبَة روحية.

بكل أسَفٍ يُوجَد آباء عظام روحانيون سلكوا في حياتِهم بسلوك روحي إنجيلي صحيح ولكنهم عندما أرادوا أن يكتبوا كتباً روحية اضطروا أن يرجعوا إلى هذا المنهج العقلي، فانحرفوا إذ اعتمدوا في كتاباتِهم على **"الدرجات" و"المراحل" للوصول إلى الله** مثل مار إسحق ويوحنا التبايسي ويوحنا السُّلَّمي مع أنه ظاهر في حياتِهم الشخصية أنَّهم لم يسلكوا بِهذا المنهجِ العقلي بل تَمَّموا وصايا الإنجيل بكل بساطة حُبّاً في الله ونالوا المَواهب الإلَهية دون أن يسعوا إليها.

أما الذي نقل هذا المنهج إلى الإسقيط فهو **أوغريس (إيفاجريوس)**، وكان ذا عقلية جبَّارة، استطاع أن يُوقِّع هذه المراحل في صورة رهبانية عملية، فخُدِع كثيرون، واستهواهم هذا المنهج الدقيق، فَتلوَّثت الحياة الرهبانية البسيطة من تلك الساعة، **إلاّ أن الآباء الشيوخ المعاصرين** حاصروه، فاضطر لترك الإسقيط فشجبوا تعاليمه وحرقوا قلايته قائلين أن فيها شيطاناً.

ليست المسيحية تلذُّذات عقلية أو تعزيات وقتية أو مشاعر مفاجئة يحسُّها الإنسان، كما تظهر الآن فى طريقة جميع الطوائف البروتستانتية وجمعيات خلاص النفوس في عظاتم ومفاهيمهم عن الخلاص.

المسيحية تتميم للوصايا طاعةً لله الذي يمنح مواهبه الروحية لأولاده كما يريد وكما يشاء هو، وليس نحن، وفي الوقت الذي يراه هو مناسباً.

✠✠✠

طقس رفع بخور عشية وباكر

(مُلخَّص)

مارس ١٩٦٧

كانت الصلاة تُقدَّم في الهيكل اليهودي عشيَّة وباكر، وهي عبارة عن تبريكات يقولُها الكاهن لتقديس كل شيء في الخليقة، وكان عددها ١٨ بَرُوكية.

في نظرهم أن الشيء إذا بُورك فَهو يتقدَّس للذى باركه، فإذا بارَكْنا على الهواء صار مقدَّساً لنا، وإذا باركنا على الزروع والمياه صارت مقدَّسة لنا، وهكذا.

ثم يقولون أخيراً: "مبارَك الرب الذي أعطانا التوراة"، أي إذا باركوا على الله صار لَهم إلها مُخصَّصاً. "«ولأجلِهِم أُقدِّس أنا ذاتي ليكونوا هُمْ أيضاً مُقدَّسين في الحقِّ» (يو١٧: ١٩).

يُلاحَظ أنه في صلاة رفع بخور عشيَّة وباكر، يقول الكاهن الخديم في أولِها للكاهن الشريك الموجود: **ϣλ̅ⲏλ ⲉⲩⲗⲟⲅⲉⲥⲟⲛ** أي "بارك أنتَ"، وإذا كان هناك مجموعة من الكهنة: **ϣλ̅ⲏλ ⲉⲩⲗⲟⲅⲉⲧⲉ** أي "باركوا أنتم"، وهو نفس المفهوم الذي كان في الطقس اليهودي.

ويُلاحَظ أنَّهم كانوا يشكرون أولاً ثم يباركون فيصير موضوع الشكر مقدَّساً لَهم، وهذا هو نفس الطقس الذي أجراه المسيح في سرِّ الإفخارستيا [**شَكَرَ ثُم بارَكَ**]، أي أن المسيح استخدم الصلاة وقراءة الباروكية الخاصة بالخبز بحسب الطقس اليهودي فصار الخبز جسده. أليس هذا عجباً!!! ومنه أخذت الكنيسة ترتيب سرِّ الإفخارستيا.

✠✠✠

حضور القداس

الذبيحة الإلَهية عندنا مُنحصِرة في وقت القداس فقط، وقلَّما يُوجَد مَنْ ينفعل بِها في حياته اليومية، أي يظلُّ في شركة مع الرب ومع اِخوته طول النهار. ومع ذلك قلَّما يُوجَد مَنْ ينفعل بالذبيحة وقت القداس، بل بالنادر مَنْ يحسُّ فينا بحضرة الرب يملأ الْهيكل والمُخلِّص بنفسه هو الذي يقول: "خذوا جسدي.. خذوا دمي".

لو أحسسنا أن الرب نفسه هو الذي يعطينا جسده ودمه، فأيَّ فرح يكون لنا وقت القداس. ولكن قلَّما يحدُث ذلك، فلذلك نحضر القداس كواجب وطقس فتضيع علينا بركاته.

الذبيحة الإلَهية هي الطريق العملي في ربط أعضاء المسيح بالحب. أقوى طريق للشركة العملية بعضنا مع بعض بالحب هو اشتراكنا كل يوم بِفرحٍ في الذبيحة الإلَهية وفي مائدة الأغابي التي بعد القداس. هكذا كان يَعيش آباؤنا الأولون في الكنيسة الأولى أيام الرسل، إذ كانوا يكسرون الخبز معاً بفرحٍ وبساطة قلبٍ في البيوت.

الكاهن في القداس وقت المزامير لابدَّ أن يقول مزاميره بصوت شبه مسموع كإعلان عن الصلاة، وكذلك الشماس.

الكاهن والشماس والعريف يُقدِّمون للْمُصلِّين شخص المسيح بصلواتِهم وروحِهم، فَكَم يكون حرصُهم ويقظتهم وغيرتُهم وحرارتُهم في الصلاة.

✠✠✠

الاشتراك في سرِّ التناول

لا يجوز للمُصلِّين الحاضرين القداس الإلهي أن يمتنعوا عن التقدُّم إلى التناول مِن السرّ المقدَّس، والذي يمتنع يُفرَز ويُعاقَب لأنه يُسبِّب سَجَساً (تشكُّكاً) في الكنيسة.

سرّ التناول أُعِدَّ للخاطئين وليس للأبرار، فليس هناك أي عُذر لِمَنْ

يَشعُر في نفسه أنه غير مستحق.

الذي يمنع عن سرِّ التناول هو الأب الروحي، وهذا يُقرِّره كَنوع من التأديب للمؤمن، كأن يكون متكبِّراً أو مُعانداً أو متهاوناً..الخ.

يجوز للإنسان أن يمتنع عن سرِّ التناول إذا كان في قلبه غضب أو حقد أو دينونة تجُاه أخيه ولم يتمكَّن من الاعتراف أمام الأب الروحي في حالة غيابه.

الاحتلام الليلي لا يمنع من التناول إذا ضرب الراهب ٥٠ مطانية، وهذا قانون الكنيسة.

ملاحظة: يُلاحَظ أن الشماس يقف دائماً عن يمين الكاهن في الْهيكل وخارج الْهيكل.

✠✠✠

تحذير بخصوص النُظُم والترتيبات الكنسية

مارس ١٩٦٧

أُحذِّركم باسم المسيح أن لا يحُاول أحد منكم أن يخترع شيئاً جديداً في الطقس أو يُغيِّر كلمة بدلاً من كلمة يراها أنَّها أدقُّ أو أَحسَن، لأن ذلك مِن عمل الكنيسة. ولا تنظروا إلى ما عملتُه أنا في نظام صلاة الأنتيفونا (مزامير الساعة التاسعة) كَأنني مخُترِع. إن ذلك كلَّفني كثيراً جداً من البحث والتدقيق مع الصلاة الحارَّة والتوسُّل إلى الله حتى وصلتُ إلى ما أنتم ترونه. فإن كان ولابدَّ من تغيير شيء في الطقس فيكون ذلك في عدم وجودي وتكون أنتَ أباً مسئولاً مع البحث الدقيق والصلاة الحارَّة.

كل شيء مكتوب في الخولاجي نُصلِّيه ولا نُغيِّر فيه، وكل شيء مكتوب في الأجبية والأبصلمودية نُصلِّيه ولا نُغيِّر فيه، حتى إذا تنبَّهت الكنيسة إلى شيء وغيَّرته نُغيِّر نحن معها.

✠✠✠

تأملات في العهد القديم

(مُلخَّص)

الرؤيا التي ظهرت في سفر الرؤيا أن ابن الإنسان مُتَمَنطِق بمِنطقة من ذهب على صدره (رؤ١: ١٣)، هذه إشارة إلى أن الربَ يسوع في خدمته الآن يعمل كرئيس كهنة، لأن هذه المِنطقة التي على الصدر كان يلبسها رئيس الكهنة وقت الخدمة في العهد القديم، وكذلك الآن يلبس رئيس الكهنة البلِّين (طوله ١٢ ياردة) الذي يربطه على صدره ويلف نفسه به.

رئيس الكهنة كان يمتحنه مجلس السنهدريم كل سنة قبل العيد في تقديم ذبائح الكفَّارة، لأن الطقس كان صعباً جداً.

مجلس السنهدريم كان مُكوَّناً من كهنة وعلمانيين، وهم المُتعلِّمون الشريعة ويُعتبَرون العُلماء في إسرائيل.

الكهنة الخدام في الهيكل كانوا ١٢ فرقة، ولكن كان لَهم احتياطي ١٢ فرقة أخرى (وهذه توافق الرؤيا في سفر الرؤيا: ٢٤ قسيساً).

الكاهن هو الشخص المدعوُّ من الله لكي يُقدِّس الشعب لله، وقد أخذ هذا السلطان من الله.

إذا رشم الكاهن الخبز والخمر صارا في الحال جسد ودم عمانوئيل، وهذا بسلطان المسيح نفسه الذي اختار الكاهن لِهذه الخدمة.

✠✠✠

عمل أب الاعتراف أو المرشِد

(مُلخَّص)

٢٣ / ٣ / ١٩٦٧

يجب أن نعرف أن عمل المرشِد أو أب الاعتراف هو **أن يُرشِدني إلى النور الذي فيَّ**. إن لم أجد صدى لكلام المُرشِد في داخلي، فلا يكون الإرشاد صحيحاً ولا يكون أب الاعتراف مُسترشِداً بروح الله.

نحن جميعنا مولودون من الروح القدس ولنا مسحة الروح القدس التي تُعلِّمنا كل شيء. كل واحد فينا فيه النور، فيه المسيح، فيه الحياة الأبدية. والحياة هي نور الناس، فلا يُمكن أن يكون النور الذي في المرشِد شيئاً آخر غير النور الذي فيَّ. يجب أن أُصادِق بكل قلبي على النور الذي في المُرشِد. يجب أن أُحسَّ أن الكلام الذي يقوله لي المُرشِد هو هو بعينه الكلام الذي في داخلي وهو قد أظهَره لي بوضوح.

إذا لم أُحسَّ في داخلي بصدق الكلام الذي يقوله المُرشِد، فالمُرشِد يتكلم من ذاته وليس من الله.

المُرشِد الذي يُرغِم الإنسان على اتّباع تعاليمه بالرغم من عدم إحساس الإنسان بصدَى هذه التعاليم في قلبه، فهو يجترئ على نفس الإنسان ويريد أن يُشكِّلها ويُصوِّرها حسب مزاجه.

حتى مُهمَّة الكتب الروحية والإنجيل نفسه بالنسبة للإنسان الروحي هي إظهار النور الذي في داخله لكي يسير عليه الإنسان سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام (يو١٢: ٣٥).

"المسيح نور العالم" (يو٨: ١٢)، و"النفس سراج الله" (ارجع ١صم٣: ٣)، «إثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو١٥: ٤). فالنور موجود داخلنا، نحن في حاجة إلى مَنْ يرشِدنا إلى النور الذي في داخلنا. الخطية تُعمينا وتفصلنا عن النور الذي في داخلنا.

المسيح موجود فينا بالرغم من خطايانا، "الرب مع جميعكم" كما يقول القداس. والخطية تجعلنا بأيدينا نحجِب (نُغمِّي) عيوننا عن المسيح الذي فينا.

جوهر الخطية سَحَقَه المسيح، فلم تعُد الخطية لها سلطان علينا إلا بقدر ما نُمَلِّكها نحن بإرادتنا على أنفسنا، لأن المسيح النور الحقيقي قد حلَّ في داخل نفوسنا. فالذي يخاف من الخطية ويستسلم لها بإرادته كمَنْ يضع يديه على عينيه فينحجب عنه نور المسيح ثم يحاول أن يبحث عنه فلا يجده، ويرفع نظره إلى السماء ويصلِّي بدموع ويقول: لماذا تركتني يا رب؟ أين أنتَ يا يسوع؟ **مع أن المسيح في الداخل ينتظر رجوعه إليه.** وهل يُمكن أن يترك خليقته التي صوَّرها وفداها بدمه؟

قال الرب يسوع: «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية» (يو٩: ٤١). «لدينونةٍ أتيتُ أنا إلى العالم حتى يُبصِر الذين لا يُبصِرون ويعمَى الذين يُبصِرون» (يو٩: ٣٩).

المسيح هنا كَشَفَ لنا هذا السرَّ العجيب، فإن الذي يستطيع أن يَرَى نور المسيح في داخله هو الذي سبق أن أحسَّ بالفعل بعَمَاه الروحي، فطلب أن يَرَى المسيح فرآه، كالأعمَى الذي أخذ يصرخ لكي يفتح له عينيه فنال البصر والبصيرة ورأى يسوع وآمَنَ به إلهاً، بينما الذين كانوا يتبعون إذ كانوا يحسُّون في ذواتِهم أنَّهم مُبصِرون لذلك لم يطلبوا شيئاً، وبالتالي فلم ينالوا نعمة الرؤيا. لذلك، فإن الذين يحسُّون بخطاياهم ويشعرون حقاً بالعمَى الروحي وأنَّهم في حاجة شديدة إلى المخلِّص يسوع الذي هو النور الحقيقي، هؤلاء يظهر لَهم يسوع في داخلهم وينيرهم ويعطيهم بصيرة روحية وحياة أبدية؛ وأمَّا الذين يشعرون في ذواتِهم أنَّهم مُبصِرون ويظنُّون أنَّهم أبرار فهؤلاء لن يكتشفوا المسيح في داخلهم كَنور إلهي يُرشِدهم لأنَّهم ليسوا في حاجةٍ إليه. فالذي يكتشف خطاياه، يُواجه الله في الحال - كما قال مار إسحق السرياني - أي يُشرق عليه نور المسيح في الحال.

كثيرون ينشغلون بخطاياهم ويَهذُّون فيها كل يوم ويُفنِّدون تفاصيلها، هذا خطأ وله مضارٌ كثيرة على النفس، لأن ذِكر تفاصيل الخطية المستمر يَثبُت في العقل الباطن ويتحوَّل إلى أفكار متردِّدة تُقلِق الإنسان وتُضيِّع عليه سلامه وتقوده إلى اليأس.

إن كلمات داود النبي فى الآية التي تقول: «خطيتي أمامي دائماً» (مز٥١: ٣) تفيد أنني أجْمع جميع خطاياي التي اعترفتُ بها أمام الكاهن وأطرحُها أمامي وأشعر كل حين أني رجلٌ خاطئ بالفعل، **ولكن من غير أن أهذَّ (أي أتفحَّص) في تفاصيل الخطايا**. المهم جداً أن أطرحها خلف المسيح أي **أن أجعل المسيح دائما بيني وبين خطاياي**، حينئذٍ أرَى كل خطاياي وخطايا العالم كله تذوب وتتلاشى بدم المسيح. **إياك أن تجعل خطاياك فاصلاً بينك وبين المسيح لئلا تيأس وتفقد النور الحقيقي**.

المهم أن يُقِرَّ الإنسان بخطاياه أمام الكاهن الذي يصلي لله طالباً له الحِلّ. **هذا الحِلّ يأخذه من المسيح وليس من الكاهن الذى يطلب من الله الغفران للمعترف ولنفسه أيضاً**، فلا يقلق ولا يضطرب ولا يسعَى باهتمام زائد وراء المُرشِد الروحي المُمتاز لكي يُقِرَّ بخطاياه لأن ذلك عسيرٌ جداً في هذه الأيام. وبكل أسف فإن الاهتمام الزائد في البحث عن المرشد الروحي الممتاز جعل الناس يفقدون سرَّ الاعتراف الذي فيه يُقرُّون بخطاياهم **لنوال الحِلّ ومغفرة الخطايا من المسيح**، وهذا لا يلزمه أن يكون الكاهن على جانب عظيم من الروحانيات.

يجب أن نعلم أن لنا حرباً ليس مع الشيطان فقط بل مع الله أيضاً. لنا صراع عظيم مع المسيح نفسه، هو صراع الحُبِّ والتجديد، ويجب أن نغلب كما غلبَ يعقوب أب الآباء (تك٣٢: ٢٤). الله يُسَرُّ جداً أن نغلبه، هو يُغلَب لنا من تحنُّنه، ويقول في نشيد الأنشاد: «حَوِّلي عينيك عني لأنَّهما غلبتاني» (نش٦: ٥). فعلاقتنا بالمسيح فيها جهاد وفيها صراع حتى نغلب ونحظَى بالشركة معه.

نحن نعلم أنه يُوجَد في طبيعتنا أمورٌ شريرة لا تتناسب مع طبيعة

المسيح، ولا يُمكن أن يَثبت فينا المسيح إلا إذا تغيَّرت هذه الأمور وتَنقَّت، لذلك فالأمر مُحتاج إلى صراعٍ من جانبنا لكي نتغيَّر ونتجدَّد حتى نكون على صورة المسيح الطاهِرة الإلهية.

إياكَ أن تظنَّ أن الشيطان يستطيع أن يفعل فيك شيئاً بغير إرادة الرب. أقصَى شيء يفعله الشيطان هو أن يزأر حولنا لكي يُخيفنا؛ فإذا خِفْنا نحن وسقطنا أمامه، فإنه يلتهمنا، أما هو من ذاته فلا يستطيعٍ أن يغلبنا إلا إذا انغلبنا نحن له بإرادتنا، فَهو «كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو» (١بط٥: ٨).

✠✠✠

البكاء على الخطايا

سؤال: كيف أبكي على خطاياي كل حين كما يقول البستان؟

جواب: هذا الأمر خطير ولا يُمكن أن نضعه على مستوى الجميع، إنه يُطرَح فقط على مستوى الاعتراف والإرشاد الفردي.

فأحياناً يكون الإنسان في حالة روحية ونفسية رهيفة لا ينفعه البكاء على خطاياه، بل على العكس يَضرُّه ويسدُّ باب الرجاء في وجهه ويُيَئِّسه، وخصوصاً إذا كانت الأعصاب ضعيفة، فلا يتحمَّل الإنسان ضغطة الحزن. ففي هذه الحالة ينصحه أب الاعتراف بإلقاء الخطايا كلها خلف المسيح، وألاّ يتأمَّل الإنسان إلا في شخص المسيح الذي فدانا وغفر لنا كل هذه الخطايا، فيفرح ويتهلَّل بالخلاص العجيب الذي قدَّمه لنا. فيجب على المرشد أن يُشجِّعه ويُدْخِل السرور الروحي إلى نفسه، ويُهَوِّن عليه، ويُشدِّد إيمانه بالرب يسوع ودائماً يُظهِر له رحْمتَه العظيمة وعمله الكفَّاري على الصليب من أجل الخطاة، وبذلك يستطيع بنعمة الله أن يقوده من الظلمة إلى النور، ومن اليأس إلى رجاء الإيمان،ويخلِّص نفسه من الهلاك.

- **بينما في حالةٍ أخرى،** نجد نفساً مستهينة بالخطية وما تُسبِّبه دائماً من الحزن لقلب الرب يسوع، أو تكون النفس قادرة على تحمُّل الحزن الشديد من غير أن ينهار الجسد أو تضعف الأعصاب، فيرى أب الاعتراف أن تذكُّر الخطايا السالفة والبكاء عليها لنوال رحْمة إلَهنا ممكن جداً أن يَدفع مثل هذه النفس إلى الأمام في الطريق الروحي فينصحها بذلك.

سؤال: [عن تصرُّف الأنبا صراباموں مع تاييس التائبة]:

أليس في تصرُّف الأنبا صراباموں مع تاييس المرأة الزانية التي تابت، أليس فيه صرامة وشدَّة زائدة، إذ يقول لها أن لا ترفع يدَيْها في الصلاة

لأنَّهما نجستان ولا تنطق بشفتيها اسم الله القدوس في صلاتِها؟! ثم بعد ثلاث سنوات من حَبسها نفسها في حجرة مُتعبِّدة على هذه الصورة من الصرامة، يذهب الأنبا صرابامون إلى الأنبا أنطونيوس ليسأله إن كان الله قد قَبِل توبة هذه المرأة أم لا؟!

الجواب:

كرامة اسم الله القدوس مأخوذة من الناموس اليهودي وكيف كان يُشدَّد جداً على تقديسه وخِشْيَته.

خطية الزنا تُنجِّس الإنسان وتُشوِّه نقاوة تفكيره وتحتاج إلى جهاد كثير للتخلُّص من آثارها. مَنْ يزني، يُخطئ إلى جسده. القديسة مريم القبطية ظلَّت بعد توبتها سبع عشرة سنة تُحارَب بألم الزنا.

ليس من حقنا كروحيين أن نُسمِّي تصرفات القديسين بأنَّها صرامة، لأنّهم كانوا يفعلون ذلك مُساقين بالروح القدس، لذلك لا يجب أن ننظر إلى أعمالِهم أو أقوالِهم بِعَيْن النقد. روح النقد يُضيِّع علينا فوائد روحية كثيرة نستطيع أن نحصل عليها من تصرفات القديسين لو أخذنا الأمور **ببساطة الإيمان** لا بطريق الفحص العقلي المُجرَّد.

الدليل على سلامة التصرف هو النتيجة. أنظر إلى النتيجة لقد استحقت تاييس إكليلاً أعظم من إكليل أنطونيوس نفسه، أليس هذا بالحقيقة عَجَباً!!

وعلى أية حال فإنَّه حتى عِلم النقد الحديث **Criticism** يُمكنه أن يقودنا إلى نفس النتيجة، فإننا نستطيع أن نحكم على الشيء بأنه صحيح لكونه حُفِظ ونُقِل لنا كما هو على عِلاّته. فمثلاً، في بستان الرهبان هناك كلمات مَدسوسة على القديسين ولم يُحاول أحد أن يُغيِّرها، هذه نفسها هي التي تُثبت صحة وسلامة الأقوال الأخرى حتى أن أكبر النُقَّاد الألمان قرَّروا صحة بستان الرهبان وأنَّه أعظم دليل على صدق وصايا الإنجيل وإمكانية تنفيذه عملياً.

حركة التكريس العَلماني للخُدَّام (غير المُكرَّسين للكهنوت) في الكنيسة

أغسطس ١٩٦٨

من الواجب أن يكون بيت التكريس (الذي أقيم عام ١٩٥٨ فى حدائق القبة ثم انتقل إلى حلوان سنة ١٩٥٩) أن يكون سنداً للكنيسة ومُعاوناً لها بصفته مركزاً للخُدّام العَلمانيين (أي الذين ليسوا من الكهنة) في الكنيسة التقليدية. نحن نُكرِّم الكهنوت ونخضع له ونُعاونه في خدمة النفوس.

أنا أرَى أنه بدون **خدمة الخدام العَلمانيين** على هذه الصورة سوف تنهار خدمة الكهنوت وسوف تنهار كرامتها في نظر الأجيال القادمة ويقوم عليهم الشعب، لأن الكهنوت ابتدأ من الآن أن لا يقوم بواجباته.

في الكنيسة الأولى كان العَلمانيون هم الذين يقومون بالخدمة، بينما الأسقف (الأب والرئيس) هو الذي يُرتِّبهم ويرعاهم، والكهنة هم خُدَّام الأسرار. فلمَّا تقوَّت الرهبنة ابتلعت الخدمة والخُدام العلمانيين. ولما ضعُفَت الرهبنة ضعُفَت الكنيسة، وأصبح العَلمانيون لا يقومون بعملهم ولا يعرفون مسئوليتهم في الخدمة.

✠✠✠

الكرازة لكل العالم

(مُلخَّص)

أغسطس ١٩٦٨

كانت وصية الرب يسوع لتلاميذه قبل أن يفارقهم ويصعد إلى السماء كما ذكرها القديس متى البشير هي:

+ **اذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم،**

+ **وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به،**

+ **«وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»** (مت ٢٨: ٢٠).

ونحن إذا تأمَّلنا في هذه الوصية المثلَّثة، نجد أن التلاميذ لم يُنفِّذوا إلا الجزء اليسير جداً منها، لأنّهم لم يستطيعوا أن يستوعبوها كما قصدها المسيح، فلا هم استطاعوا أن يُبشِّروا جميع الأمم (بسبب ظروف صعوبة الوصول إلى أقاصي الأرض في ذلك الوقت) ولا استطاعوا أن يُعلِّموهم بكل ما أوصاهم به المسيح.

فإلى الآن ما زال ثُلث العالم لم يسمعٍ عن المسيح نهائياً، والثُلث الآخر سمع مُجرَّد اسْمه ولا يعرف عنه شيئاً، والثُلث الباقي هو المسيحيون ولكن غالبيتهم لا يعرفونه المعرفة الحقيقية.

أما وصايا المسيح فيقول يوحنا الرسول عنها: «**وأشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع إنْ كُتِبَت واحدة واحدة فلستُ أظن أن العالم نفسه يَسَع الكتب المكتوبة**" (يو٢١: ٢٥). إذاً، لم يكن في مقدور التلاميذ أن يُعْلِمونا بكل ما أوصاهم به المسيح.

إذاً، لابد أن الوصية لم تكن للتلاميذ فقط، بل للكنيسة كلها من جيل إلى جيل. والدليل على ذلك قول المسيح لَهم: "**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت٢٨: ٢٠)، أي إلى حين مجيئه. فالكنيسة وكل مسيحي مسئول عن تنفيذ وصية المسيح هذه.

والواقع أن التلاميذ في كرازتِهم لم يخرجوا كثيراً عن حدود أورشليم وما حولَها، وكان السبب في ذلك هو الاعتقاد السائد بينهم آنذاك بأن مجيء الرب ثانية قد اقترب، فكانوا دائماً في انتظاره. ولكن المسيح لن يأتي إلا إذا كملَت بشارة جميع الأمم حسب قوله لَهم (مت٢٤: ١٤).

وقد كان انتشار الإيمان يتم عن طريق الاضطهاد الذي شتَّتهم، فجالوا مُبشِّرين بالكلمة (أع٨: ٤)، ثم وصل الإيمان إلى بلاد الدولة الرومانية التي كان هناك تبادل تُجاري معها مثل الهند، ومع ذلك لم يكن أثر الإيمان قوياً واضحاً عندهم.

وظلت حركة البشارة ضعيفة ومحصورة إلى أن جاء القرن السادس عشر، وبدأ الكاثوليك في إرسال إرسالياتِهم التبشيرية، ولكن النهضة التبشيرية الفعلية هي التي كانت بعد ذلك بواسطة البروتستانت التي فيها ترجموا الإنجيل إلى أغلب لغات العالم وأرسلوا المُبشِّرين إلى كافة أرجاء المسكونة. ولكن للأسف ظهرت من الدول التي أتى منها هؤلاء المبشِّرين أغراض تُجارية وسياسية، فباءت هذه النهضة بالفشل إلا في القليلين جداً من هؤلاء المُرسَلين الذين كانت سير حياتِهم تنطق بصدق كرازتِهم، لذلك أثَّرت في الناس وجذبوا كثيرين إلى المسيح. ومع ذلك فما زال العالم في آخر إحصائية عن تِعداد المسيحيين فيه يُظهر العجز في التبشير كما قلتُ لكم في البداية. وهكذا صارت المسئولية مُلقاة على عاتق كل مسيحي.

ولكنك تقول: ماذا أفعل وأنا ضعيف، لا أعرف أن أتكلم أو أعظ أو أخدِم أو أكتُب؟ كل هذا لا يَهمُّ. يُعوِزك شيء واحد: محبَّة المسيح من كل القلب. فالحبُّ يُجدِّد ويُغيِّر القلوب، والعالم لا يُعوزه أكثر من التهاب المحبَّة التي تحرق الواحد مِنَّا ولا تُبقي منه إلا الرماد فيصير فدية وذبيحة عن العالم. إن طقس المُحرقة في العهد القديم لم يكن يُطهِّر النجس والأبرص بلحمها ودمِها، ولكن برمادها المُتبقِّي بعد حرقها الذي كانوا يرشُّونه على النجِس فيتطهَّر. ومحبَّة المسيح إذا ملأت القلب لابدَّ أن تجعل

من الإنسان شريكاً للمسيح في آلامه من أجل الخطاة بل وشريكاً في ذبيحته.

كانت الوثنية تعُمُّ العالم أيام الكنيسة الأولى، وكان يلزم العالم عملاً جباراً جداً لكي يُؤمِن بالمسيح، كان كمريض في حالة هُزال شديد جداً وهو على شفا الموت، ويلزمه عملية نقل دم سريعة. وهذا ما تم بواسطة دماء الشهداء التي جمعها المسيح وجدَّد بها دماء العالم.

ما معنى هذا؟ هل لابد من دماء تُسفَك لكي يتجدَّد العالم من جديد؟ كلا، بل الحاجة إلى ذبائح روحية من النفوس تُقدَّم. أليست تقدمة حياتنا كرهبان مائتين عن العالم هي بِمثابة استشهاد وفِدْية عن العالم؟!

هل تتعجَّبون أن الإنسان يكون فدية عن الآخرين؟! ألم يَقُلْ الله لإبراهيم: «إنْ وجَدْتُ في سدوم عشرة أبرار في المدينة فإني أصفح عن المكان كله» (تك١٨: ٢٦-٣٢)؟! إنني لا أستطيع أن أُدرِك هذا السرَّ! وما هي النسبة التي يمكِن أن يفدِي بها إنسان إخوته وبني جنسه؟ لأنه ذَكَرَ أيضاً في سفر حزقيال أنَّ واحداً يصنع الحق يمكِنه جداً أنْ يفدِي المدينة بأسرها (٢٢: ٣٠)!! لقد أدرك بولس هذا السرَّ، فقال إنه يودُّ لو يكون هو نفسه محروماً من المسيح مِن أجل اِخوته أنسبائه حسب الجسد الذين هم الإسرائيليون (رو٩: ٣).

دعوني أتجرَّأ وأقول إنَّ المسيح كان واحداً، ولكنه فدَى العالم كله بموته، ولكنكم تقولون لي إنه الله، وأنا أُجيبكم، ولكنه قال عن نفسه إنه ابن الإنسان، وهو قصد أن يدعو نفسه هكذا لكي نتمثَّل به في فِدْيته عن البشر لكي يُعطي كل إنسان إمكانية افتداء أخيه في استحقاقات ذبيحة المسيح وفِديته.

ولكن ليس أمراً هيناً أن يصير الإنسان فِدية عن الآخرين. فالمسيح لكي يصِير فِدية، حملَ خطايا العالم كله، صار خطية من أجلنا لكي نصير نحن برَّ الله فيه. ويتهيَّأ لي أنَّ أيوب البار لم تُصِبْه هذه الآلام العظيمة إلا بسبب أنَّه أراد أن يصِير فِديةً عن أولاده إذ يقول: «وكان لما دارت أيام

الوليمة أن أيوب أرسل فقَدَّسَهم وبكَّر في الغد، وأَصْعَدَ محرقات على عددهم كلهم لأن أيوب قال: ربما أخطأ بَنيَّ وجَدَّفوا على الله في قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (أي١: ٥).

الفِدية تُعني، إذاً، تحمُّل أخطاء الآخرين وقبول الآلام والأحزان والموت عنهم. وهذا هو عمل الراهب.

حركة الرهبنة في بداياتها الفردية كانعزال عن العالم قبل مجيء آبائها العظام الأوائل أساءت إلى ذاتِها وإلى العالم وإلى حركة التبشير والكرازة كثيراً، لأن الرجل كان يخرُج من العالم على أساس أنَّ العالم قد وُضِع في الشرير وأنَّ مَصيره هو الهلاك وأنه لا خلاص للذين في العالم. ولكن القديس أنبا أنطونيوس والقديس أنبا مقار صحَّحا هذه الفكرة بالزيارة التي قام بها كل واحد منهما لعائشين في العالم، وخرجا بنتيجة أن في العالم مؤمنين متزوِّجين يعيشون في العالم يفوقوهما كمالاً وقداسة كرهبان. ولكن ليست الرهبنة هكذا، فالراهب فِدية عن العالم، يحمِل العالم بالحبِّ في قلبه، ويشترك مع العالم في آلام وأحزان الخطية بالحبِّ الملتهب للمسيح. وليست الأصوام والنسك والتقشُّفات والتعليم والوعظ والكتابة وتسليم الجسد للموت هي التي بها يَفدِي ويخلِّص العالم، لأن بولس الرسول يقول: « إنْ كان لي كل الإيمان حتى أنقُلَ الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً... وإنْ أطْعَمتُ كل أموالي وإنْ سَلَّمتُ جسدي حتى أحترَق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً... وقد صرتُ نحاساً يَطِنُّ أو صِنْجاً يرنُّ... المحبة لا تسقط أبداً» (١كو١٣: ١-٨).

أنا أمامَكم مِثال، فقد عِشْتُ في الطريقَين: **الطريق الأول** طريق الحبِّ والهيام في المسيح والموت الكامل عن العالم لأُقدِّم نفسي ذبيحة عنه، **والطريق الثاني** طريق الخِدمة وتأليف الكتب لمنفعة الآخرين وخلاصهم. ولكني أشهد لكم أنه شتَّان ما بين الطريقَين، وأنا لابدَّ راجع إلى الطريق الأول لأنه أفضل جداً.

روح الإنجيل روح فِدية

(مُلخَّص)

المسيح احتمل آلام الصليب وعاره ليس لأنه كان يُعلِّم أن هذه الآلام إنَّما هي مِن أجل الآخرين لخلاصهم، فالحبُّ الذي في قلبه من نحو الخليقة جَعَلَه يقبَل الآلام المُريعة والهُزء والعار، وهذا هو معنى الفِدية.

القديسة تريزا للطفل يسوع كان فيها روح فِدية من أجل الآخرين، لذلك كانت تَفرَح في آلامِها المريرة بصورة مُذهِلة.

الذي فيه المسيح، يكون قد قَبِلَ روح الإنجيل، الذي هو روح الفِدية. هذا يقبل ويرضَى أن يتألم من أجل الآخرين ولا سِيَّما الخطاة. لن تستطيع أن تتحمَّل الآلام والتجارب إذا كانت من أجل نفسك فقط، أمَّا إذا كانت بروح الفدية فهذا طريق احتمال طويل، إنه طريق الصليب حتى الموت، ولن يتراجع الإنسان عنه، لأن الحبَّ هو الذي يدفعه للاحتِمال والصَبْر والشكر.

إذا حلَّ روح الإنجيل في إنسان، فهو روح بشارة وكِرازة وخلاص لنفوس جميع الناس، فهو يجعل الإنسان لا يَكُف عن الصلاة ليلاً ونَهاراً من أجل جميع فئات الناس سواء الأحباء أو الأعداء، المؤمنين أو غير المؤمنين، الرؤساء أو المرؤوسين الخ. ولا تَهدأ النفس حتى تُقدِّم بالصلاة تلك النفوس للمسيح لكي يُباركها ويُؤازرها بروحه حتى يجعلها تَسعَى للخلاص.

إنني أحسّ يا آبائي أننا لم نقبل بعد روح الإنجيل، هذا الروح الذي يُلهِب نفوسنا للصلاة من أجل جميع الناس، وهذا أمرٌ محزن جداً ودليل على أن الإنجيل لم يَدخُل بعد في داخل حياتنا، ما زال الإنجيل كلمات نُردِّدها ونَتلذَّذ بها وليست وصايا تُعاش. هل إذا سألني إنسان أن أُصلِّي من أجله، أُصلِّي من أجله بنفس الاهتمام الذي يُظهِره هذا الإنسان في سؤاله عن نفسه؟ كلا. إذاً، فإن كنتُ لا أحسُّ بتعَب الآخرين وقيمة خلاص نفوسِهم، فروح الإنجيل لم يستقرَّ بعد في قلوبهم، وأنا بكل تأكيد ما زلتُ غريباً عن المسيح وعن أبناء الملكوت.

حياة الإيمان

أنت بالإيمان قَبلتَ المسيح فيك، المسيح المصلوب على الصليب، أخذتَ فيك دم المسيح، الدم المسفوك من أجل خطاياك، هذا الدم الإلهي صار في دمك. وبذلك نُؤمن بكل يقين أن قوة المغفرة موجودة فينا طالما أننا نُؤمن أن المسيح المصلوب موجود دائماً فينا.

الذي قَبِلَ المسيح المصلوب فيه، فلابد بالضرورة أن يكون سُلوكه الظاهري هو سلوك المسيح المصلوب، المسيح الذي «**صُلِب من ضعف**» (٢كو١٣: ٤)، والإنسان الذي اتحد بالمسيح المصلوب، كيف يظهر في تصرفاته وكلامه أنه مُعتمِد على السلاح أو السلطان أو الشجاعة. الرب يسوع قال لبيلاطس: «لم يكن لك عليَّ سُلطان البتَّة لو لم تكن قد أُعطِيتَ من فوق» (يو١٩: ١١)، فهل نحن نُقابِل عدوَّنا ونحن واثقون أنه لا يمكن لِهذا العدو أن يفعل فينا شيئاً ما لم يكن قد سبق الله وأعطاه هذا السلطان؟ أمَّا نحن في ذواتنا فضعفاء وشاعرون أننا ضعفاء، لا حَوْلَ لنا ولا قُوَّة ولا سِلاح ولا سُلطان، فلو يشاء الله هلاكنا بيد عَدونا فسنهلك، ولو لم يشأ ذلك فلن يستطيع عَدونا مَهما أُوتي من قُوَّة وسُلطان أن يمسَّنا أو يضرَّنا أو يُؤذينا.

الذي يعيش حياة الإيمان يتَّكِل في كل شيء على الله وحده وليس على أية قُوَّة عالمية، وهو مستعد دائماً للموت في أية لحظة من أجل الله متى شاء ذلك، ولن يُحاول أن يظهر أمام عدوه بغير ذلك بل يُظهِر له قوة اتكاله على الله الذي يعبُدُه.

قامتنا في المسيح وقوة إيماننا تَظهَران بوضوح بطريقة لاإرادية في المواقف الصعبة، مِثل مُقابَلة الأعراب المتغربين في الصحاري، ولاسيَّما الذين نَظنُّهم أعداء. يقول مثل فرنسي: "تستطيع أن تعرف أخلاق الإنسان إن أنتَ أسْكَرتَه، أو إذا وضعتَه في عمل شاق". نحن في هذه الأوقات الحرجة ننسَى كل تعليم وكل واجب وكل وصية إنجيلية، وتظهر نفوسنا على حقيقتها. فإن كُنَّا قد تعرَّفنا بالفعل على المسيح

المصلوب فينا، فسوف يَظهَر ذلك بوضوح في كلامنا وسُلوكنا، وخصوصاً مع الذين يأتون إلينا بقصد إزعاجنا ومضايقتنا.

وبقدر موتنا عن ذواتنا، بقدر ما يظهر فينا المسيح المصلوب.

✠✠✠

الناموس الأدبي

(مُلخَّص)

نَستخلِص من حوادث الكتاب المقدس على مَمر العصور والأزمان أنه ما من خطية ضد الناموس الأدبي إلا وكان لها عقوبة واضحة، إلا أن هذه العقوبة بسبب كونها في الغالب لا تحدث في نفس الزمن الذي ارتُكِبت فيه هذه الخطيئة، لذلك لا يَظهَر بوضوح أمام القارئ أن هذه العقوبة حدثت عن الخطية المُرتكَبة. وبولس الرسول يُوضِّح لنا أنواعاً من الخطية ضد الله، وقع فيها بنو إسرائيل حتى لا نتعرَّض لِمَا تعرَّضوا له من عقوبات:

- "لكن بأكثرهم لم يُسرّ الله لأنَّهم طُرحوا في القفر، وهذه الأمور حَدَثت مِثالاً لنا حتى لا نكون نحن مُشتهين شروراً كما اشتهي أولئك، فلا تكونوا عَبَدَةَ أوثانٍ كما كان أُناسٌ منهم، ولا نَزْنِ كما زَنا أناسٌ منهم، فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً، ولا نُجرِّب المسيح كما جرَّب أُناس منهم، فأهلكتهم الحيات، ولا تتذمَّروا كما تذمَّر أيضاً أُناس منهم، فأهلكهم المُهلِك. فهذه الأمور جميعاً أصابتهم مِثالاً وكُتِبَتْ لإنذارنا نحن الذين انتهتْ إلينا أواخرُ الدهور" (١كو١٠: ٥-١١).

يُلاحَظ أن جميع الخطايا التي يأمُر الناموس بالتكفير عنها بالذبائح هي خطايا عُملَتْ **عن سَهْو**، أما الخطايا التي عُمِلَتْ **عن إصرار وإرادة فليس لها تكفير وعقوبتها الموت.**

✠✠✠

المسيح جاء ليُكمِل الناموس والأنبياء

المسيح جاء ليُكمِّل الناموس، جاء بشخصه لكي يُكمِّله، لأن الناموس كان ينقصه شيءٌ جوهريٌ، كان ينقصه **شخص المسيح**.

والنبوات كلها كانت تدور حول شخص المسيح، فجاء المسيح بشخصه لكي يُكمِّل النبوات. هو المسيَّا المُنتظَر الذي بِغَيْرِه يصير الناموس عَقيماً لا قُوَّةَ له والنبوات لا معنى لها.

المسيح **ألغَى من الناموس كل ما كان يتصل بالأرض والأرضيَّات** وهكذا ألغَى تَخَريجات وتعاليم الشيوخ التي استخرَجوها من وصايا الناموس **لأجل مَنفعة أرضيَّة**، أمّا خِلاف ذلك فقد سَلَك به وأكمله أي أنَّ كل ما كان يمتُّ إلى الروح في الناموس أبْقاه وكرَّمه. فإذا وَجَدَ في الناموس وَصيّةً تَسمَح بالطلاق ألغاها وأفصح لَهم عن سبب وضعها قديماً: «**من أجل قساوة قلوبكم**» (مت١٩: ٨)، وإن كانت هناك في العهد القديم وَصيَّة تُعطي الأمل بخَيْرٍ أرضي في حالة إطاعة وصايا الرب، إلاَّ أن هذه أيضاً ألغاها الرب واعِداً تابعيه بضيقاتٍ كثيرة واضطهادات على فم تلاميذه ورسله (أع١٤: ٢٢).

✠✠✠

"أمَّا الفريسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم"

ونحن أيضاً نخشى أن نرفض مشورة الله من جهة أنفسنا.

مشورة الله بخصوص خلاص نفوسنا، لا يَكُفُّ الرب أن يُوجِّهها إلينا في كل وقت وكل ساعة «هَنَذا واقفٌ على الباب أَقرع» (رؤ٣: ٢٠)، فهو مُداومٌ على القَرْع على باب حياتنا حتى ننتبه إلى قَرْعه وإلى شخصه ونفتح له باب القلب، حينئذٍ يدخل إلينا ويتعشى معنا ونحن معه (رؤ٣: ٢٠)، أي يشاركنا أولاً آلامنا، ثم بعد ذلك نُشاركه نحن عطاياه ومواهبه.

مشورة الله لنا يُرسِلها على أي لسان وبأية وسيلة، ربما بكلمة من الإنجيل، وربما بكلمة من واعظ، وربما بكلمة من حبيب، وربما بكلمة من عَدوٍّ. والأُذُن المُتيقِّظة تستطيع أن تلتقط هذه المشورة الإلَهية وتحسَّ بِها، وتتيقَّن أنَّها لخلاصها في تلك الآونة.

الذي يحسُّ بمشورة الله ولكن لم يَقُمْ في الحال بتتميمها، كأن يحسَّ بأنه مُطالَب بالصلاة مثلاً في وقتٍ ما أو مُطالَب بصومٍ أو مُطالَب بخدمةٍ أو بتوبةٍ عن شيء، ولكنه يهمل الاستجابة، فهذا يفقد الله في حياته ويفقد صوتَ قَرْع المسيح على باب قلبه.

ربما تكون مشورة الله لكَ أن لا تتماشَّى مع راحة جسدك أو صحتك، ومع ذلك فنحن نثق، وبالرغم من أنَّها دائماً تَظهَر أولاً وكأنَّها كذلك، إلا أن الرب يُنجِّي أخيراً المُتكلين عليه ويُنقِذ من موتٍ مُحقَّق.

✠✠✠

إنجيل عشيَّة الأحد الثاني من شهر مسرى

أغسطس ١٩٦٨

"طوبى للبطن الذي حمَلَكَ وللثديَين اللذَين رَضعتَهما،

فقال الرب: «**بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه**» (لو ١١: ٢٨).

يُلاحَظ هنا نوعان من التطويب:

الأول: طوبى للبطن والثديَيْن، وهذا تطويب جسدي أرضي ينتهي بموت الجسد.

الثاني: طوبى للذين **يحفظون كلام الله**، وكلام الله معروف أنه روح وحياة، فهو تطويب روحاني يدوم إلى الأبد.

المسيحِ يُوجِّهنا هذه الليلة إلى التطويب الروحاني لأن الجسد وحده لا ينفع شيئا، فأسرار الكنيسة لو أخذها المؤمن على أنَّها أمور محسوسة ظاهرة ينال بِها بركة وتعزية جسدية وفرحاً جسدياً، فهو حتى الآن لم يعرف المسيحية ولم يبلغ بعد إلى بركة التطويب الروحاني. العطية الروحية والعزاء الروحاني يفوقان كل عقل وكل لذَّة جسدية، لابد أن نُؤمن أننا ننال العطايا الروحية دون شرط الإحساس بِها بالجسد، لأن «الإيمان هو الثقة بِما يُرجَى والإيقان بأمورٍ لا تُرَى» (عب ١١: ١).

– ففي **سرِّ المعمودية** ليست الأمور المَحسوسة فيه هي السرُّ بأن تُغطَّس في الماء ثلاث مرات وتُدهَن بالزيت. لا، لا، لا. هذه أمور ظاهرية القصد منها أن يُظهِر المؤمن طاعته وخضوعه لأمر الله، أمَّا السرُّ في ذاته فهو فوق تصوُّر الإنسان وإحساسه، فهو ينال بالإيمان أموراً خطيرة وعظيمة جداً جداً. كثيرون يتوقَّحون ويُحاولون بعقلهم القاصر أن يَشرَحوا السرَّ والأمور الروحية المَخفية في السرِّ ولكن هيهات، فكيف يَشرَحون ولَادة المُؤمن الجديدة في المسيح يسوع؟ وغيرها من الأسرار

وهي أمور تَتم بالفعل ولكن من وراء العقل والإحساس.

- في **سرِّ الإفخارستيا** كثيرون يجادلون ويقولون: نحن نأكل جسد المسيح ونشرب دمه ونُحِسُّه أنه جسد وأنه دم، ويريدون أن يُوهموا أنفسهم أنَّهم يتقبَّلون السرَّ على المستوي المادي، هذا خطأ، «الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو ٦: ٦٣).

سرُّ الإفخارستيا كبقية الأسرار يؤخذ على المستوى الروحي وليس الجسدى، إنه هو في ذاته جسد المسيح ودمه تماماً تماماً، ولكن ليس محسوساً باللسان والعين، الجسد والدم حقيقيان وباليونانية **ἀλήθεια** أي هما "حقٌّ"، ومعناهما دائم باق لا يتغيَّر ولا يَفسَد، فالخبز والخمر صارا جسد المسيح ودمه الدائمَينْ البَاقيَينْ اللذين لا يتغيَّران ولا يَفسَدان.

- لكن كيف تقول إنَّهما، أي جسد ودم المسيح، نَزَلا إلى بطنكَ التي سيأكلها الدود وتَفسَد؟! كيف يستقرُّ عدم الفاسد في الفاسد الذي سَيَبْلَى؟!

الجسد والدم الكريمان قد دَخَلا فيكَ ليس للجسد الفاسد بل للإنسان الجديد أي المخلوق بحسب الله وهو الذي يتغيَّر ويتجدَّد وينمو بسرِّ الإفخارستيا، والجسد والدم هما "**حقٌّ**" له، لأنه إنسان جديد على صورة المسيح، وهو أيضاً حقٌّ ولن يفنَى ولن يَفسَد ولن يَضمحِل.

هَبْ أن أحداً بعد أن تناول من سرِّ الإفخارستيا ابتهَجَت نفسه وأخذ يُخاطِب بطنه قائلاً: افرحي يا بطني فإنه فيك الآن المسيح بجسده ودمه، فهل هذا القول حقٌّ؟ كلا. نُخاطِب هذا الأخ قائلين: إن بطنك هذه يا أخي سوف يأكلها الدود وتنتنُّ، أمَّا جسد المسيح ودمه فهما حقٌّ **ἀλήθεια** لا يفنيان ولا يَفسَدان وقد تقبَّلهما إنسانك الجديد الذي في داخلك، تقبَّلهما بطنك الروحاني الذي لا يفسد بالموت.

- فهل معنى هذا أن هذا معناه عدم صيرورة الخبز والخمر جسد المسيح ودمه الأقدسين (كما يقول البروتستانت)؟ حاشا، ولكننا نقول إن

التحوُّل قد حدث بالفعل بالإيمان، كقول الرب، ولكن نقبله بالإيمان ليس على مستوى الجسد بل على مستوى الروح. لذلك فالشخص الروحاني الحقيقي عندما يتقدَّم إلى سرِّ الإفخارستيا يتقبَّله بهيبةٍ ووقارٍ وبإيمان ثابت قوي أنه أمام جسد المسيحِ ودمه بالفعل، وأنه بهذا السرِّ يزداد اتحاداً بالمسيح بالفعل ويزداد ثباتاً في المسيح بالفعل، ويقترب جداً من صورة المسيح الكاملة، ومن فِكر المسيح، ومن محبَّة المسيح، وإن كان الآن هو لا يحسُّ بالكاملِ لأنه ما زال بالجسد، ولكن نُؤمن أن كل هذا قد صار له، وسوف يُستعلَن عند مجيء الرب، فيكون فرحه روحانياً أساسه الإيمان بوعود الرب، غير مُنشغل بالصورة المَحسوسة للجسد والدم الموجودَين على المذبح.

كلمة **Conceive** تحتمِل مَعنيَين: "يُدرك"، و"يحمِل". فالذين يقبلون كلمة الله ويحفظونَها في قلوبِهم أي **يُدركونَها** إدراكاً روحياً، هؤلاء **يحملون** بالكلمة، فعلى المستوى السرِّي تحدُث زيجة روحية بين النفس وكلمة الله «خَطَبْتُكم لرجلٍ واحد لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو ١١: ٢). وكل هذا على مستوى الإنسان الجديد، أي روحياً.

فالذين يحفظون كلمة الله ويُدرِكونَها بقلوبِهم ويلتصقون بِها، هؤلاء مُستحقون أعظم التطويب، لأنَّهم بالحقيقة يصيرون على صورة ابن الله، فيتجدَّدون ويصيرون لائقين للملكوت. هنا يتم قول يوحنا الرسول: "والكلمة صار جسداً" (يو ١: ١٤)، فالإلَهي اتحد بالبَشَري أي حَدثَت الزيجة الروحانية بين كلمة الله ونفس الإنسان وذلك بحِفظِه كلمة الله.

✠✠✠

سؤال: ما معنى "الخلود"؟

جواب: عندما يرتفع من إحساس الإنسان الماضي والمستقبل، «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحَيَوْن» (يو٥: ٢٥).

لو كان رجاؤنا على مسيح الزمان الذي شفي المرضَى وأقام الموتى وفتَّح أَعْـــيُن العميان، لَكُنَّا نحسُّ في ذواتنا أن هذا الرجاء ليس لنا، لأننا مفصولون عَنه بحكْم الزمان، ولكن لو أحسستَ بالمسيح "**الآن**" واستُعلِن لكَ شخصياً في ذاتك حينئذٍ لن تطلب شيئاً آخرَ معه ولن يَهمَّك ما مضَى ولن يجَذبك المستقبل بشيء، لأنك مع المسيح **الآن**. هذا هو الخلود وهذا هو مفهوم الملكوت.

شَذَرات عن سفر الرؤيا

(مُلخَّص)

يظن البعض أن الأحداث المَذكورة في سفر الرؤيا حَوادِث مادِّية سوف تحدُث للعالم، وهذا خطأ.

سفر الرؤيا هو سِفْرٌ رؤيَويٌّ apocalyptic وليس سفراً نَبوياً، فالرسول يوحنا استُعلِنَت له أحداثٌ واقعة عندما التحم مع ملكوت الله.

الحوادث المذكورة لو أخذناها على المستوى المادِّى أنه ستحدُث دَمامِل ونيران وقنابل وإبادة للجنس البشرى..الخ، فإن هذا يقلب مفهوم الإنجيل والصليب.

الحوادث المذكورة في هذا السفر يجب أن تُؤخَذ لا على المستوَى المادِّى، بَلْ تُؤخَذ على المستوَى الروحي. فإذا فهمنا مثلاً ضربة «الدمامل» المذكورة (رؤ١٦: ٢)، على أنَّها الشكوك التي تصيب الناس من جرَّاء ضعف الإيمان؛ وكذلك النيران التي أصابت ثُلث سكان الأرض (رؤ٩: ١٨)، فنفهمها على أنَّها مثلاً الضلالات التي تعرَّض لها العالم مثل "الشيوعية" و"الوجودية" وغيرها؛ وقِسْ على ذلك كل الحوادث المذكورة في سفر الرؤيا، نجد أنَّها ستَنسَجِم مع مفهوم السفر. لأنه ماذا يهمُّ الإنسان المسيحي المؤمن إذا ضُرِبَ الناس بالدمامل في أجسادهم أو مات ثُلث الناس، مع أن المسيح يأمرنا ويقول لنا: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد» (مت١٠: ٢٨) إذ أنَّهم لا يستطيعون أن يعملوا أكثر من ذلك.

يُلاحَظ في إحدى الضربات أنَّها **لا تُصيب الحيوان والنبات،** فأيَّ شيء يُصيب الإنسان ولا يُصيب الحيوان والنبات إلا إذا كان روحياً أو نفسانياً.

يُلاحَظ أن كل أحداث سفر الرؤيا قد حَدثَت في العالم إذا فُسِّرَت على المعنى الروحي.

مفهوم الدينونة في العهدَيْن القديم والجديد

من المعروف أن مفهوم الدينونة في العهد القديم غَيْره في العهد الجديد، الأول كان بصورة **انتقام محسوس من الشعوب الشرِّيرة والأُمَّة الخاطئة والإنسان المُنافِق الشرِّير**، أمَّا في العهد الجديد فلا يُوجَد هذا الغضب المادِّى على الخطاة.

في أقوال المسيح نجد تارةً يقول: «**لم آتِ لأَدينَ العالم**» (يو١٢: ٤٧)، وتارةً يقول: «**لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن**» (يو٥: ٢٢) ، ومرةً أخرى يقول: «**لدينونةٍ أتيتُ أنا إلى هذا العالم**» (يو٩: ٣٩)، فهل هذا تضادٌّ **paradox**؟

لا يُوجَد تضادٌّ في أقوال الرب، فالرب في الحالة الأولى يتكلَّم عن الدينونة **بمفهومِها الذي كانوا يعرفونه من العهد القديم**، لم يأتِ المسيح **لدينونة الانتقام والإبادة بسبب الخطية**، ما جاء ليدين العالم بهذه الصورة، **بل ليُخلِّصه من الخطية**. أمَّا الدينونة التي يقصدها في الحالة الثانية **فهي تأخذ مفهومها من مفهوم النور، فقبل أن يَهَبَ النور الحِسِّي للأعمَى قال: "أنا نور العالم"**، وبالرغم من أنه أثبتَ ذلك القول بإعطائه النور لعينيِّ الأعمَى أمام اليهود إلا أنَّهم قالوا عنه إنه رجلٌ خاطئ، ففي الحال وقعوا تحت الدينونة لأنَّهم رفضوا النور الحقيقي الذي أمامهم: «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نُبصر فخطيتُكم باقية» (يو٩: ٤١).

قال لَهم: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو١٠: ٣٨)، فأعمال المسيح التي عملها بينهم هي إظهارٌ للنور الحقيقي، فلما رفضوه وقعوا تحت الدينونة، «أحبَّ الناس الظُلمة أكثر من النور لآن أعمالهم كانت شريرة» (يو٣: ١٩).

فالمسيح أدانَ العالم بأقواله وأعماله لأنه أظهر الحق من الباطل.

وأما دينونة المسيح العتيدة أن تكون في الدهر الآتي فليس فيها انتقام

أو غضب بل هي بِهذا المفهوم عينه، **فالحقُّ سوف يُستعلَن كالنور للجَميع فيرَى الجَميع خطاياهم فينوحوا بحزنٍ شديد ويدينون أنفسهم.**

أمَّا الذي يجتاز هذه الدينونة بإرادته هنا في هذا العالم على ضوء نور كلام المسيح (الإنجيل)، فيرَى في نفسه الحقَّ من الباطل ويدينها بشدَّة، هذا ينجو من الدينونة العتيدة، لأن دم المسيح يُخلِّصه، والخلاص لا يَكمُل **إلاّ إذا دان الإنسان نفسه وحَكَمَ عليها بأنَّها تستحق الموت:** « لأننا لو كنا حَكَمنا على أنفسنا لما حُكِمَ علينا» (١كو١١: ٣١).

✠✠✠

علم النفس، والروح

٢ / ٨ / ١٩٦٨

توجد خصومة شديدة جداً بين علم النفس وبين الروح. فعِلم النفس لا يطِيق المسيحية ولا المسيح، لأن عِلم النفس يحُاول أن يُعالج مشاكل الإنسان النفسية على أساس أن النفس حيوانية، أمَّا المسيحية فتقول إن نفس الإنسان روحانية وليست حيوانية.

عِلم النفس إذا رأى إنساناً غير متزوج، مَهما كان السبب روحانياً سامياً، يقول عنه إنه إنسان غير سَوِيٍّ. وفي نظره أن الإنسان الطبيعي هو الذي يَنْسَل كالحيوان تماماً غير ناظرٍ إلى أي معنى آخر من مَعانِي الأُبوَّة الروحية أو الإنتاج المعنوي في الخليقة، وكذلك إذا رأى إنساناً صائماً يعتبره غير سَوِيٍّ.. الخ. وعلى هذا القياس فإنه يضادُّ جميع وصايا المسيح التي ترفع الإنسان من المستوى الحيواني الترابي إلى المُستوَى الروحي.

ليس من المفيد أن يتعمَّق الباحث الروحي في عِلم النفس، لأنه لا يفيده شيئاً. جيدٌ أن يعرف بدايات عِلم النفس وأصوله ولكن أن يتعمَّق فيه فهذه خسارة عظيمة، لأنه سيصطدم بِعثراتٍ كثيرة جداً تُزعِج نفسه الروحية وتخدِش المسيح والإنجيل.

علم النفس لا يجب أن يُسمَّى عِلماً لأنه لم يستقر على شيء محدَّد حتى الآن، وكل الباحثين فيه يتهمون العلماء الذين قبلَهم بأنَّهم أخطأوا في حُكْمهم، وهكذا فهو ليس فيه حقائق ثابتة بل كلها استنتاجات مُتغيِّرة.

الألم في عِلم النفس

الألم في مفهوم عِلم النفس مَرفوض باعتبار أن نفس الإنسان حيوانية، فلو طبَّقنا على الحمار مثلاً نجد أنك إذا شَكَكْته بدبوس فإنه كَرَدٍّ فعل مُعاكِس يَرفُس من أجل الخلاص من هذا الألم الطارئ كغريزة عنده

وذلك حتى يعيش، وهكذا كل حيوان له غريزة الهروب من الألم حتى يمكن أن يعيش. أمَّا الإنسان فهو ليس كذلك:

فإننا نَرَى مَثلاً، أنه يمكنك أن تتكلم معي بكلمة واحدة تضايقني، فأَحزن وأَكتئب، وأَتأثَّر بها إلى سنواتٍ طويلة، وربما أَمْرَض، مع أنَّها كلمة واحدة مُحزِنة وليست ألماً جسدياً ظاهرياً كألم الحمار، ومع ذلك فنحن نتصرَّف تجاه أمورٍ مثل هذه ما لا يُمكن أن يتصرف الحمار.

الإنسان يمكن أن يموت له حبيب فيحزن ويستمر في الحزن ويظل يُفكِّر في حبيبه الراحل ويعمل فيه المرثيات والذكريات من سنة إلى أخرى، ولكن الحمار لا يفعل هكذا.

أحياناً يرجع الموظف إلى بيته محمولاً وفي حالة إعياء شديد جداً وتسأل: ما الذي حَدَثَ له؟ هل حَدَثَت له حادثة في جسده؟ يقولون: لا. هل كان مريضاً واشتدَّ عليه المرض؟ لا. ويكون الذي حَدَثَ له أن رئيس العمل أهانه فحزن حُزناً شديداً، فانْهار جسده ومَرِض و لم يستطع حتى مُجرَّد الوقوف.

من الأمثلة السابقة يتضح لنا أن الألم في النفس البشرية ليس مثل الألم في الحيوان، فالألم ليس يقبله الإنسان ثم يرفضه كَرَدٍّ فعل مُعاكس وحسب، كالحيوان، ثم ينسَى ما كان فيه، ولكن الألم في النفس البشرية يُؤثِّر في كيانه الجسدي والعصبي والنفسي.

والخاتمة التي نريد أن نصِل إليها الآن (ولو أُتيح لي فرصة الكلام، فلي كلام كثير جداً في هذا الموضوع)، هي:

إن الألم للإنسان هو وسيلة وطريق لرفع النفس البشرية من مستوَى الحياة الأرضية الترابية إلى الحياة الأبدية.

وهذه الرهافة والحساسية للألم عند الإنسان تُشِير إلى أن الألم يُحدِث تغييرات جوهرية سِرِّية داخل النفس تزيد حساسية النفس إلى الأمور الروحانية التي فوق مستوَى الجسد والمادة وكل ما هو منظور، فالشخص

الذي اجتاز آلاماً كثيرة واستوعب معنى هذه الآلام وفهمها جيداً، هذا يُقال عنه إنه أكثر معرفةً وأكثر حساسيةً وأكثر ترَقُّباً للحياة الأخرى، وأكثر تَرفُّعاً عن الحياة الجسدية. وهذا هو مفهوم الصليب. فالمسيح لكي يرفعنا إلى المستوى الإلهي احتمل الصليب وقال: «أن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلْيُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت١٦: ٢٤).

✠✠✠

شَذَرات عن الوجودية الإلحادية

(مُلخَّص)

تقول الوجودية الإلحادية إن الإنسان كائنٌ حرٌّ يكتسب وجوده من ذاته، وحُرِّيته دليل على أنه كائن بذاته، ومن ذلك استخلصوا أنه لا يوجد إله للخليقة وأن الإنسان هو إله الخليقة.

نردُّ على ذلك:

الإنسان ليس حُراً في أن يعمل الخير، ولا حُراً في أن يعمل الشرَّ.

أُعطِيَ للإنسان حرية الاختيار ولم يُعطَ له حرية العمل أن يختار بين الله والعالم بين الخير والشرّ بين الحقِّ والباطل، ولكن أن يعمل الخير والحقَّ فهذا ليس له فيه حرية، فإذا عمِل الشرَّ فهو لا يعمله بحُرِّيته بل وهو مُستعبَدٌ لشهواته، وإذا عملَ الخير فهو لا يعمله من ذاته بل بوحي من وصية إلَهية أو قانون يحضُّ على ذلك. والقانون الموجود في العالم هو تقليد للوصية وأساسها الإلْهام.

المطلوب من الإنسان أن ينحاز أو يختار الله وليس العالم، الحقَّ وليس الباطِل، وهذا ما سوف يُحاسَب عليه الإنسان. أمَّا أن يعمل الحقَّ في ذاته، فهو ليس كُفؤاً لذلك، ولا يملك ذلك إلا بقوَّة أعلى منه تُوهَب له، وهذا دليل على أنه ليس حراً في سلوكه.

الله هو فقط الكائن الحرُّ الحقيقي الذي يملك أن يعمل الحق من ذاته بغير دوافع، بحُرية إرادته أي أنه ليس هناك انقسام في ذاته.

نحن كمسيحيين ننال الحرية الحقيقية عندما نتحد بالمسيح، فبقدر ثباتنا في المسيح ننال الحرية.

✠✠✠

البتولية والزواج

سؤال: هل البتولية أفضل من الزواج؟

جواب: هذا يُؤخَذ على مستوى الفرد وليس على المستوى الجماعي، أي أننا لا نستطيع أن نقول إن البتولية للجميع أفضل من الزواج، ولكن نقول لكل فرد على حِدَة: "أنت يا فلان البتولية لك أفضل، وأنت يا فلان الزواج لك أفضل"، الأول بأمانته لموهبة البتولية التي فيها يصير قديساً عظيماً والثاني بأمانته لله ولزوجته ولأولاده أن يكونوا جميعاً لله بهذا يصير قديساً ويرث مع القديسين. الأول إذا اتكَل على بتوليته ولم يكن أميناً لله ساهراً على نفسه يسقُط من رتبته ويصير المُتزوِّج الأمين لله في بيته ووسط أولاده أعظم منه.

فإن كان لك موهبة البتولية وزُغْتَ عنها وتزوَّجتَ، فأنتَ لن تأخذ أجرك بالكامل ولن تستريح، أمَّا إن كنتَ غير قادر على البتولية وتزوَّجتَ وأرضيتَ الرب في زواجك وربَّيتَ الأولاد في مخافة الله «ستَخْلُص بولادة الأولاد» (١تي٢: ١٥) ، فهذا أفضل من أن تتبتَّل ولا تسلك باستقامة قلب، فالمُتزوِّج الأمين في بيته لله أفضَل جداً من المتبتِّل المُستهتِر المُتهاوِن، فليست البتولية من الناحية العامة لها أفضلية على الجميع بلا تمييز.

بولس الرسول يقول: «فأَريد أن تكونوا بلا هَمٍّ» (١كو٧: ٣٢)، هذا أيضاً على المستوى الفردي، لأنه فَرْد، وكل مَنْ يُحسُّ في نفسه أنَّ له هذه الموهبة في نفسه، فليكن "**مثلي**" حسب قول الرسول بولس. وقال الرسول: «المتزوِّجَة تهتمُّ في ما للعالم... والعذراء... تهتمُّ في ما للرب» (١كو٧: ٣٤)، هذا من ناحية الاهتمامات في حياة العالم، وطبعاً معروف أن المتزوِّجة تَهتمُّ وتتعب من أجل زوجها ومن أجل أولادها وبيتها، أمَّا العذراء فهي مُتفرِّغة للفرح والمسرَّة بالرب. ولكن ليس هذا معناه أن العذراء التي لا تسلك باستقامة تصير أفضَل من المتزوِّجة التي

تربِّى أولادها بمخافة الله وهي ستخلُص بولادة الأولاد (١تي٢: ١٥) إن ثبتوا في المحبة والإيمان.

- يقول سفر الرؤيا عن ال ١٤٤ ألفاً البتوليين أنَّهم حُسِبوا للمجد، طبعاً هذا عن البتوليين الذين لَهم موهبة البتولية وساروا بحسب مُقتَضاها بأمانة، هؤلاء حُسبوا أهلاً لِهذا المجَد، وهذا ليس معناه أن جميع البتوليين في العالم لَهم حق المَجد.

من أجل كل ما ذكرناه نجد أن المسيح وضع البتولية لا كوصية وأمر، بل قال: « **من استطاع** أن يقْبَل فلْيَقبل، ليس الجميع يقبلون هذا الكلام» (مت١٩: ١١)، أي حسب استطاعة كل فرد.

✠✠✠

كلمة روحية بمناسبة قيام الحرب بين العرب وإسرائيل

يونيو ١٩٦٧

يا آبائي، استعدوا من الآن لمقابلة ساعة الموت التي ربما تأتي بغتةً في هذه الظروف العصيبة. وساعة الموت لنا لا نستطيع أن نستعد لها عندما تأتي، ولا يكفي أن نقابلها بالصلاة فقط! ساعة الموت لابدَّ أن نستعد لها من الآن، والاستعداد يكون بالتغيير الكلِّي من الداخل، لابدَّ من تغيير شامل حتى نكون على استعداد لمقابلة الرب يسوع ولا نخزَى.

الذي لا يستطيع أن يرى يسوع على الأرض (بالروح)، لا يستطيع أن يراه بعد الموت «وأُظهِر له ذاتي» (يو١٤: ٢١)، بل سوف يرى ظلمة ورُعبة وقبولَ دينونة مخيف.

من الآن فَلْيسارع كلٌّ مِنَّا أن يطرح من قلبه كل مَيْل إلى العالم أو الأقرباء أو أية شهوة جسدية لئلا نكون غرباء عن المسيح ولن تنفعنا كثرة صلواتنا.

لنَكُن مُستعدين لمقابلة الموت بأي صورة من الصور ربما يكون موت الجوع ربما يكون موت القتل جماعة أو فرادَى، فلْنَكُن مُستعدين. وكما يقول الآباء لنا إن عيد الراهب هو حُزنه وبكاؤه على خطاياه، كذلك أيضاً فالواجب أن يكون عيدنا المُنتظَر هو يوم موتنا. هذا هو العيد الحقيقي والفرح الروحاني أن نُؤخَذ جميعنا فجأةً إلى الرب ونكون معه كل حين، فَلْنتيقظ جميعاً ونسهر على أنفسنا.

يجب أن نُداوم الصلاة من أجل المُتحارِبين العرب واليهود معاً، فمن جهة العرب فهم إخوتنا وأصدقاؤنا. وفي هذه الساعة هم يسقُطون قَتلَى وجَرحَى، ومن جهة أعداء الوطن اليهود ها هم أيضاً يسقُطون قتلَى وجرحَى، ونحن نطلب لَهم رجوعاً عن عُدوانِهم وغِيِّهم.

كذلك نطلب من الله أن يُحوِّل نتيجة هذه الحرب في النهاية إلى خير روحي عام للطرفين وللعالم كله حتى تؤول أخيراً لمجد الله.

سؤال: هل لنا كرهبان أن نتكلم عن الأحداث الجارية الآن في العالم؟

جواب: المفروض أننا روحيون، والشخص الروحي إذا تقابل مع حادثة زمنية، فالمفروض أنه يُحوِّلُها إلى حَدَث روحي إلهيٍّ. وهذا ما حدث تماماً مع المسيح الذي تجسَّد وظهر زمنيّاً، فحوَّل الزمن إلى خلود، والحوادث الزمنية العادية حوَّلها بشخصه إلى أحداث روحية إلَهية خالدة، فمَثلاً إذا تكلم مع السامرية عن الماء والعطش، فإنه حَوَّل ذلك إلى مفهومات روحية عالية خالدة، وإذا تكلم عن الطعام الجسدي مع التلاميذ فإنه حَوَّل ذلك إلى الطعام الخالد الذي هو عمل مشيئة الآب، وإذا حَضَرَ عُرْسَ قانا الجليل فإنه حوَّله إلى بركة روحية إلَهية، وأعلن كَشْفاً عجيباً لحُبِّه للبشرية، وإظهاراً لسرِّ الفداء والصليب، أمَّا إذا أراد أن يُطعِم الجموع فقد صار هذا معجزة خالدة تُظهِر قوة لاهوته وكثرة عطفه ورغبته في رفع الإنسان من المستوى الجسدي المَحدود إلى عدم محدودية حُبِّه وقدرته على كل شيء.

هذا هو الأمر الحادث مع جميع القديسين إذ أنَّهم في كل عمل كانوا يعملونه، ولو كان تافهاً حقيراً، أو حادثة زمنية بسيطة، كانوا يُرَوْحِنونَها ويُصيِّرون عملهم إلَهياً خالداً بالروح القدس الساكن فيهم.

فنحن إن كُنَّا مُلتَزمين بإقحام نفوسنا في هذه الأيام بالدخول في مجال المعركة الجارية، فيجب أن نلتصق بالحقّ ونتحسَّس مشيئة الله ولا نتحيَّز لأحد.

✠✠✠

ملاحظات على كتب التفاسير

سبتمبر ١٩٦٨

بكل أسف فإن كل كتب التفاسير الموجودة حالياً والتي تُفَسِّر الإنجيل، فإن طريقة تفسيرها لا تُشبِع النفس ولا تُوفي بالغرض لأنَّها كلها تقريباً تلتزم بتفسير كل آية على حِدة. ففي قراءتِها يتوه العقل في هذه المعلومات التي تُعتَبَر من جانب واحد بحسب تَصَوُّر واعتقاد مفسِّرها، وأحياناً ينحرف المُفَسِّر ويُعطِي معنى آخر غير المقصود، وأحياناً يتكلم كلاماً ساذجاً بسيطاً كان يناسب الوقت الذي كُتِبَ فيه التفسير.

ليس مناسباً أن يلتزم الباحث الروحي بقراءة التفاسير حتى لا تُحُدِّد معرفته، وتُضيِّق أُفق استيعابه للإنجيل.

من الموافق والمناسب جداً أن تقرأ كُتباً تُلقى ضوءاً على شخصية الرب يسوع نفسه، فتكون علاقتك وثيقة به شخصياً وتتعرَّف عليه، وعلى محبته، واتضاعه، وقدرته على كل شيء، والخلاص الذي أكمله، حتى إذا قرأتَ الإنجيل يُسهِّل عليك بنعمة الله بهذه المعرفة [التي تخصَّص لها بعض الكتاب المشهورين، مثل "حياة يسوع" تأليف **Farer** الأسقف الإنجليزي وترجمه جورج عقداوى، و"حياة يسوع" ترجمة حبيب سعيد]، يسهُل عليك أن تقترب من فكر المسيح وتستنير في معرفة ظروف كل حادثة من حوادث الكتاب المقدس فتُحسَّ بقصد الرب يسوع واتِّجاهاته في كل معجزة.

من العجيب أننا عندما نقرأ الأناجيل نستفيد أكثر حين قراءتنا لرسائل بولس الرسول أيضاً التي هي عبارة عن توجيهات روحية هادفة ومبادئ روحية قويَّة واضحة، وبدونها نجد في الأناجيل مُجرَّد قصص ومعجزات بسيطة ليس فيها وصايا مُوجَّهة واضحة أو مبادئ روحية ظاهرة.

ولكن إذا رجعنا إلى أعماق رسائل بولس الرسول نجد أنه قد وضع كل رسائله ومبادئه الروحية الخطيرة على أساس أقوال الرب يسوع

وأعماله مُعتمِداً أساساً على الأناجيل، لذلك يلزم جداً لنا مثل هذه الاستنارة في قراءتنا للأناجيل لكي نصل بنعمة الله إلى الكَنْز المُخبَّأ فيها فنغتني نحن ونُغني الآخرين.

وأنتَ ترَى معي كيف ألقيتُ ضوءاً بسيطاً جداً على قصة معجزة عُرْس قانا الجليل في كتاب السيدة العذراء "ثيئوتوكوس"، فتكشَّفت لنا مبادئ خلاصية خطيرة جداً في شفاعة العذراء عن كل الناس ومحبَّة الرب يسوع للنفوس اللاهِيَة عنه على مُتكآت هذا العالم.

في تفسير الإنجيل يَلزم فقط إلقاء أضواء على المبادئ الإيمانية الهامَّة، ويُترَك للقارئ بعد ذلك أن يتمتَّع بحسب ما يأخذ من الروح، فمثلاً في إنجيل القديس يوحنا يلزم إلقاء الضوء على موضوع "الكلمة" أو "اللوغوس" ولماذا أُختِير هذا التعبير؟ وموضوع "الدينونة"، وقد تكلَّم عنه الرب يسوع كثيراً وجاء في معنَيَيْن مُتعارضَين (اِرجع إلى فصل "مفهوم الدينونة في العهدَيْن القديم والجديد" في هذا الكتاب). كما يَلزم أيضاً شرحه وتوضيحه، وقِسْ على ذلك المبادئ التي تكلم عنها الرب. أمَّا طريقة شرح آية آية فهذه تُحدِّد القارئ وتُلزِمه باتِّجاه واحد وهو الذي يَراه المُفسِّر، ولكن الإنجيل كُتِبَ لكل المستويات.

✠✠✠

الروح القدس وإلْهامه فكر المسيح للكنيسة

سؤال:

- معروف أن الآباء الأوائل في الكنيسة تتلْمذوا على يد الفلاسفة اليونانيين الوثنيين، ولابدّ أنَّ بعضهم أثَّروا على التفكير المسيحي بانطباعات الفلسفة اليونانية القديمة، فكيف نفصل ونُفرِّق هذه التعاليم الغريبة من التعاليم المسيحية الصحيحة؟

جواب: هذا سؤال رائع.

الروح القدس هو مصدر قوَّة فِكْر الكنيسة، الروح القدس يعمل طوال هذه الأجيال ليحُوِّل فكر الكنيسة إلى فكر المسيح فهو يستخدم طرقاً كثيرة ليُجدِّد فِكْرها ويُقرِّبه إلى فِكْر المسيح.

نُلاحظ أنه يُوجَد تيار فِكري غريب يَسرِي في الكنيسة من العصور الأولَى هو التفكير الأفلاطوني الأوريجاني الأُوغريسي بجوار التفكير الآبائي البسيط، ومن العجيب أن تَرَى أن التفكير الأول هو في الكتب فقط أمَّا التفكير الثاني الآبائي البسيط فهو الذي تسير عليه الكنيسة في كل هذه العصور في أشخاص الأتقياء من الكهنة والرهبان والعَلمانيين.

الروح القدس ساهِر على كلمته ليُجرِيها ويُنقِّيها من شوائب الفكر البشرى عَبْر الأجيال بطول أناة كثيرة.

«**بأُمَّةٍ غبيَّة أُغيظكم، يقول الرب**» (رو١٠: ١٩)، هذه إحدَى الوسائل الهامَّة التي يستخدمُها الله لتجديد فكر الكنيسة، فكُلما يرى الروح أن فكر الكنيسة تحجَّر، وتَوقَّف كلُّ نمو روحي فيها، فإنَّه يُثِير عليها من الخارج أفكاراً غريبة فيها مَساس بكرامة الله والمسيح، أو فلسفات إلحادية تُقاوم المسيحية بشدَّة، ولكن لا تخلو هذه الفلسفات من قِيَمٍ أخلاقية عالية موجودة في عُمق المسيحية، فتثور أولاً ثورة رجال الدين والمسئولين ضد هذه البدع والفلسفات ثم ينتهي الأمر عندما تنفتح

عيون المسئولين إلى هذه القِيَم العالية، فيتبنُّون الخير والصلاح الموجود في هذه البدعِ التي هي في الواقع كانت من صُلب المسيحية، ثم بعد ذلك قليلاً قليلاً تنهار هذه البدع وتنتهي.

هذا ما حَدَثَ في الكنيسة الكاثوليكية عند ظهور البروتستانتية، فقد قامت البروتستانتية في مواجهة أحلَك عصور الكنيسة الكاثوليكية وكانت ظُلمة مُريعة، والاستبداد البابوي كان على أَشدِّه، حيث كانت تُحرَق أجساد المقاومين أحياءً. فقامت البروتستانتية تُنادى بالإنجيل وتعاليم الإنجيل، وبالتعمُّق في كثير من مبادئ المسيحية الهامَّة، فثارت الكنيسة الكاثوليكية جداً وصالَت وجالَت، ولكن انتهي الأمر إلى أن تبنَّت الكاثوليكية على مدى الأجيال كل المبادئ المسيحية الهامَّة الموجودة في البروتستانتية التي هي أصلاً من صُلب المسيحية. وبذلك انتهت شوكة البروتستانتية بعد أن تحقَّقت مبادئ البروتستانتية في الكاثوليكية. وكذلك أيضاً في الأُرثوذكسية فقد حققت أيضا نتائج باهِرة جداً لأنَّها أيقَظَت الوَعي الكنسي إلى التعمُّق في الإنجيل الذي هو أساس المسيحية.

قِسْ على ذلك، الشيوعية والوجودية وبقية الفلسفات الإلحادية والعلوم الإنسانية أو علوم الإنسان **Anthropology** التي ظهرت في عصرنا الحديث، كلها ظهرت بسماح وبفعل وقوَّة الروح القدس لإغاظة الكنيسة المُتكاسِلة اللاهِيَة المُتغطرسة لأنَّها لم تكن تريد أن تتجدَّد في فكرها، فظهرت هذه التعاليم المَقاومة تُنادى بحرية الإنسان وبالسلام العالمي، وبقيمة الفرد في البشرية، واعترفت بتأثير الفرد في الجماعة وبتأثير الجماعة في الفرد، وبأنَّ الإنسان يجب أن يقبل أن يكون سيد الخليقة وإلهاً فيها، وهذا كان أصلاً من صُلب المسيحية، وهي بعينها الأمور التي أتى المسيح نفسه إلى العالم ليُعطِيها لنا. ولكننا نَرَى أنَّه بالرغم من أنَّ هؤلاء المُلحِدِين كانوا يريدون أن يمنحوا هذه الحقائق للبشرية بغير الله والمسيح، وهذا طبعاً خطأ وغير ممكن، بينما هي مُعطاة في المسيحية مجَّاناً بالمسيح؛ ابتدأت الكنيسة فى البداية ثَورَتِها ضد هؤلاء الفلاسفة وشَتَمَتهم

وأهانَتهم، ولكن لما تَبصَّر عُلماء الكنيسة وفُهماؤها في الأمر اكتشفوا حقائق هامَّة جداً أنَّها مَوجودة أصلاً في المسيحية ولكن الكنيسة كانت تحتقرها وتَسْتَغلِطُها، فابتدأت الكنيسة تتبنَّى هذه المبادئ الهامَّة، وقليلاً قليلاً ضَعُفَتْ شوكة هذه البِدَع الإلحادية.

أليس من العار على الكنيسة أن يُنادِى المُلحِدون الذين لا يُؤمنون بالله ينادون بحريِّة الإنسان وحريِّة الدُوَل والشعوب، بينما الكنيسة نفسها تَستعبد الأفراد (بالحِلِّ والرَّبط)، وتَستعبد الشعوب بالكرازة [قصة دير كاثولَيكي في وسط أفريقيا أقام حَفلَة للوطنيين، فوزَّع تماثيل للسيدة العذراء على الحاضرين الذين أحضروا هدايا من الفواكه والأغذية للرهبان، وكأن الكاثوليكية أعادَت عبادة الأصنام مرةً أخرى لهؤلاء المساكين الذين قدَّموا غذاء أجسادهم لكي ينالوا تعاويذ في بيوتِهم لحمايتهم بَدَلَ أن يُقدِّموا لَهم مساعدات مادِّية عملية تَنفعهم في حياتِهم البدائية حتى يشعروا فعلاً بمعاملات المسيح وأولاده معهم].

ثم لاحظ أن تِجارة الرقيق كانت موجودة في العالم حتى سنة ١٦٠٠ ميلادية تقريباً بالرغم من وجود المسيحية، ولم تستطع الكنيسة أن تضع قانوناً تُحَرِّم فيه استعباد الإنسان لأخيه الإنسان.

وهكذا قليلاً قليلاً يُوجِّه الروح القدس فِكر الكنيسة وينخُس ضميرها وعلى مدَى واسع بشتَّى الطُرُق حتى تقترب من فكر الإنجيل والمسيح، ولكن ليس بالقَسْر والإلزام.

فلا تَخَفْ، يا أخي الحبيب، فإنَّ الروح القدس ساهِر على الكنيسة لِيُنقِّيها من شوائب الفِكر والتيارات الغريبة.

ملاحظة: في كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الطبعة الجديدة (الثانية عام ١٩٦٨)، التزمتُ من أول الكتاب إلى آخره أن أُوضِّح الخط الأفلاطوني الأوريجاني الأوغريسي الذي تسلَّل إلى التعليم المسيحي المستقيم الذي دخل في اللاهوت والنسك والعبادة.

الفكر الآبائي الشعبي في تدبير الكنيسة القبطية

رد على سؤال:

الفكر الآبائي الشعبي هو الذي يُهيمِن على الكنيسة القبطية منذ الأجيال الأولى وحتى الآن، والكنيسة بما فيها من رؤساء أساقفة وأساقفة وكهنة خاضعة بحكم هذا المَبدأ تحت سلطان أراخنة الشعب الأتقياء العارفين بالأصول الإنجيلية والطقس الصحيح، لذلك نجد أنه مَهما حاد الرؤساء ومَهما أخطأ الكهنة ومَهما تعثَّرت الكنيسة في بعض الأوقات، فإنَّ الفكر الآبائي الشعبِي في الكنيسة القبطية هو "كالأخطبوط" يستطيع أن يُحاصِر ويلتهم أي خطأ أو انحراف في الكنيسة مَهما كان سلطان المسئول عن الانحراف، وهذا هو السرُّ في بقاء الكنيسة القبطية حيَّة حتى الآن، ليس فقط بسبب طقوسها، فقد كانت هناك كنائس كثيرة مشهورة بدِقَّتها في طقوسها، ومع ذلك انحلَّت واندثرت (مثل كنيسة القسطنطينية، وكنيسة شمال أفريقيا، وكنيسة النوبة)، وهذا يُوضِّح عمل الروح القدس في الشعب في الكنيسة القبطية.

كنيستنا ظاهرياً يحكمها الإكليروس، ولكن بحسب الواقع فالعَلمانيون (أي المؤمنون غير المكرسين لخدمة الكهنوت ويُلقَّبون في التاريخ الكنسي بـــ "المُقدَّمون في الشعب" و"الأراخنة") هم القوَّامون على الإكليروس، لأنَّهم هم الذين ينتخبونَهم، فَهُم المسئولون عنهم، فتنتقل هذه المسئولية أيضاً بعد تَولِّي الأساقفة مراكزهم، ويَظلُّ العَلمانيون في شعور دائم أنَّهم مسئولون عن الأساقفة. فلو حدث أن أسقفاً انحرف وسَلَّح نفسه بِعلمانيين يتبعون أفكاره ويَحمونه، فَهذا أيضاً بعد أن تنتهي أيامه وأيام مَنْ معه تبحث عنه وعن أفكاره فلا تجد لها أيَّ أثر وكأنه لم يكن. وتُوجَد حادثة في تاريخ الكنيسة تُظهِر قوَّة تأثير الفكر الشعبِي الآبائي: [البابا كيرلس الثالث بن لقلق الذي كان يبيع الرتب الكهنوتية، فطلب منه الشعب والأراخنة والأساقفة - ومِن بينهم الأسقف الأنبا بولس البوشِي

وكان قديساً - أن يُوقِف هذه التصرفات فلم يَسْتَجب وأهان الشعب جداً ولم يسمع له، فشَكَوْه للسلطان، فأحضره السلطان وأقام عليه دعاوي الشعب ولم يتركه إلاَّ بعد أن أخذ عليه تَعهُّداً أنه لا يسلك بجبروت ولا يقاوم الشعب]. فانظر كيف بلغ سلطان الشعب وقوَّة صلابته ضدَّ بطريرك كان في مُنتهي القوة والعناد.

فاطمئنوا! فإنَّ أي أثر خاطئ يُؤثِّر به أي رئيس في الكنيسة، فإن الكنيسة بما فيها **من شخص الروح القدس العامل دائماً في أولادها الأتقياء** تستطيع أن تمتص أي انحراف ولا يبقَى في الكنيسة إلاّ المستوَى الروحي العملي الواقعي الإنجيلي.

أُنظروا كم من لاهوتيين مُتثقَّفين يذهبون إلى الخارج ويأتون بأفكار غريبة عن روح كنيستنا ويحضرون لكي يُبشِّروا بِهذه الأفكار ويظلُّون يُنادون ويُشوِّقون ويتكلمون بِها وربما يتأثَّر البعض سريعاً، ولكن تبحث عن هذه الأفكار في واقع حياة الناس فلا تجد لها أي أثر.

كنيستنا ليست فيها "**أوتوقراطية**" (أي حُكم الفرد المُتطرِّف)، بل **ثيئوقراطية** (أي حُكم الله). **الله هو الذي يحكم في الكنيسة وليس الفرد.** قد يكون هناك فرد يتسلَّط ويقول: **أنا قرَّرتُ وأنا حَكمتُ**، ولكنه لا يدرى أن الله وراءه، هو الذي يتسلَّط ويَحكُم حتى وإن ترك هذا الرئيس مُؤقَّتاً يُمارس طُغيانه، «مَنْ ذا الذي يقول فيكون، والرب لم يأمرْ» (مراثي إرميا٣: ٣٧).

الله يمارس حُكْمَه في الكنيسة على مَمَر العصور من خلال الفكر العام الشعبِي الذي هو دائماً بحَسَب روح الإنجيل وبحسب فكر الآباء القديسين.

✠✠✠

عيد الغطاس المجيد

يناير ١٩٦٧

الكنيسة تُوجِّه أنظارنا في كل مرة تُجرى فيها الطقس إلى ضرورة إيمانية لازمة لنا، فالطقس ضرورة إيمانية وليس مجرد واجب. ما هي أهمية مَعمودية يوحنا؟ ويوحنا هو بجملته نبي الله المُرسَل أمام الله ليُعِدَّ الطريق. جاء يوحنا ليُعمِّد لكي يُظهِر المسيح. إن لم يكن يوحنا قد جاء وعمَّد، ما كان ممكناً أن يُعرَف المسيح.

منذ البدء أُعلِن بالنبوة أنَّ يوحنا سيتقدَّم الرب بروح إيليا، هذا كان ضرورة حتمية، وكأنَّما المسيح مُحتاج إلى يوحنا. النُبوَّة ذكرَتْ ذلك سابقاً، وكذلك زكريا وأيضاً يوحنا: «كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكَمَة (الجبل الصغير) ينخفض، ويصير المُعْوَجُّ مُستقيماً والعراقيب سهلاً» (اش٤٠: ٤) ، ونبوة ملاخي: «فيردَّ قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا أَضرب الأرض بلَعْن» (مل ٤:٦). لا تَخَف يا ملاخي لقد جاء يوحنا! «صوتُ صارخٍ في البرية: أعِدُّوا طريقَ الرب اِصنعوا سُبُلَه مُستَقيمة» (مر١: ٣).

هذا الأمر عجيب حقاً أن نسمع أن يوحنا كان ضرورة لكي يَظهر المسيح، المسيح نورٌ « بنورك نَرَى نوراً» (مز٣٦: ٩)، وقَبْلَ المسيح كان الشعب في ظُلمة، ومتى كان للظلمة أن تُلاحِقَ النور، هل يمكن للذى عاش في الظلمة أن يُلاحِق النور؟ هلمَّ نَنْزِل على مُستوَى عملي لنفهم، فالشعب كان عائشاً في ظلمة برغم الكهنة والهيكل، كان المسيح آتياً والشعب لا يستطيع أن يُدرِكه، لابد أن يَتهيَّأ الشعب ويستعد لمجيء المسيح، الآكام (التلال المرتفعة عن الأرض) تنخفِض، أي الأشخاص المُتكبِّرون يتَّضِعون، والوطأ يَرتفِع أي الأذلاَّء وصغار النفوس يرتفعون، لابد أن يأخذوا نفخة فيتشدَّدون حتى يُظهَر لَهم المسيح. والمُعوجَّات أي ذوو القلوب المُلتوِّية لابدَّ أن تتطهَّر قلوبُهم، والعراقيب أي المُعثِرون لابد أن يرفعوا العثرة لئلا يصطدم بِهم المسيح حجر الصدمة، كيف يكون

هذ ؟

هل نحسب تجديداً؟ لا، اِرفَع الخطية من الوسط فيرَوا النور والرجاء، معمودية مُتوسطة بدائية فيها تُنخَس القلوب لتعترف بخطيئتها، وإذا اعترفت النفوس بخطيئتها يُمكِن أن ترَى النور.

جئتُ أُعمِّد بمعمودية خاصة، معمودية التوبة والاعتراف بالخطايا ونوال المغفرة، وبهذا يتأهَّل ويُعَدُّ القلب البشرى لقبول النور.

الذي عاش في خطيئة كيف يتعرَّف على الله؟ كان يوحنا يصرخ: "أعدُّوا طريق الرب"، "يا أولاد الأفاعى كيف تهربون من الغضب الآتي؟"، "لا يَحلّ لك أن تأخذ امرأة أخيك" مع أن الذي يُكلِّمه كان مَلِكاً، كان يوحنا المُؤنِّب والمُوبِّخ الشديد قبل أن يأتي المسيح. والعجيب أن الشعب استوعب يوحنا ومعموديته، جاء الناس منخوسين بقلوبِهم، جميلٌ جداً ومَنظرٌ مُبدِع أن نرى الشعب كُله يخرُج إلى يوحنا للتوبة، وهنا نرَى جمال السيمفونية الرائع، لقد أُعلِن مجيء الحَمَل، عندما خَرَج الشعب للاعتراف بخطيئته، في الحال أُعلِن المسيح أنَّه حمل الله الذي يرفع خطية العالم، فإذا اعترفتَ بخطيئتك يظهَر لك الحمل. اُنظروا التوافق الإلهي العجيب، عندما خرج الشعب للتوبة وجدوا المسيح أمامهم، ويوحنا يُعلِن لَهم أن هذا هو حَمَلَ الله الذي يرفع خطيئتكم وخطية العالم كله.

يوحنا عَمَّد بمعمودية سُميت معمودية التوبة لمغفرة الخطايا. لو تتبَّعنا هل ذُكِر في العهد القديم عن المعمودية، نَتحيَّر، لأننا لا نجد لها أي ذِكْر أو إشارة، ولكن يمكن أن نتحسَّس كالأعمَى بعض لمحات.

– في سفر التكوين نقرأ: «وكانت الأرض خَرِبَةً وخالية وعلى وجه الغَمْر ظُلمة وروح الله يرفُّ على وجه المياه» (تك١: ٢) ، ثم بعد ذلك ظَهَر النور ثم الحياة، عجيبٌ جداً جداً، أنا أتكلم كلاماً سرِّياً لا يُدرِكه إلا الذي يتعمَّق هذه الأسرار: ظُلمة، نور، حياة.

– الشعب في العهد القديم في سفر الخروج "**اعتمد**" **تحت السحابة في البحر الأحْمر**، «**كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر**» (١كو١٠: ١؛ خروج ١٤: ٢٠)

معمودية بالجُملة، لأنه ما كان يُمكن في ذلك الوقت الخلاص الفردي. البحر الأحْمر كان يمثِّل **الموت**، **وفرعون مات فيه**، وأَمَّا بالنسبة للشعب فكان البحر الأحْمر يمثِّل **الموت والحياة**: هو **موت** بالنسبة لفرعون، **وحياة** بالنسبة لشعب الله.

أما معمودية نَهر الأردن فكانت تمثُـــِّل معمودية من نوع واحد، حياة فقط.

في الطقس اليهودي كان الكاهن يَرحَض جسده (أي يستحم) بالماء قبل الخدمة لئلا يموت، وكانت هذه أول إشارة إلى أهمية المعمودية وخطورتِها. وفي دير السريان كانت تُوجَد مَرْحَضة (إناء الحميم) نحاس كانت تُستَخدَم في الجيل الماضي للكهنة يَرحَضون فيها أرجلهم وأيديَهم قبل الخدمة [ذَكَر لي ذلك راهب شيخ في دير البراموس ثم قرأتُ عَنها في مَخطوطة بعد ذلك].

أرأيتَ هذا التسلسل العجيب!!

مِن أين أتت معمودية يوحنا؟ معمودية يوحنا أتت وصارت ضرورة بعد أن توقَّفت ذبائح العهد القديم منذ مُدَدٍ طويلة، هنا أَوْجَد الله هذا المَخرَج للشعب حتى يعرفوا المسيح ويَقبلوه، ما كانت تُوجَد ذبيحة ليُقِرَّ عليها الخاطئ بخطيئته! فكان لابد من أن تُوجَدَ له طريقة ليعترف بِها بخطيئته، هنا أَمَرَ الرب يوحنا أن يجُري معمودية التوبة للناس.

قصة يوحنا معروفة: أنه وهو ابن سنتين خطفه ملاك الرب من على المذبَح من يد أبيه زكريا الكاهن، الذي رَسمه كاهناً وهو طفل، عندما أراد جنود هيرودس أن يقبضوا عليه ويقتلوه (حين كانوا يقتلون أطفال بيت لحم أيام ميلاد المسيح)، فأتى ملاك الرب وخطفه من يد أبيه بعد أن

ألبسه أبوه جبة الكهنوت ونقله ملاك الرب إلى البريَّة، وهناك كَبُر إلى سِن الثلاثين، حينئذٍ أُرسِل مِن الله إلى الناس لمعمودية التوبة.

المعمودية على هذه الصورة بغَير فادي أو مخُلِّص معناها **موت**، كان الاعتراف بالخطايا يُوقِع المُعترِف في حُكم الموت، وبسبب عدم وجود الذبيحة التي تحمِل الموت يصير المُعترِف تحت حُكم الموت، مِثل واحد يعترف للقاضي أنه قَتَل فيحكم القاضي في الحال بالإدانة والموت، هنا معمودية يوحنا تُوقِع حُكم الموت على المُعترِف إلى أن يأتي مَنْ يَفدِي.

هنا يتدخَّل عنصر بديع جداً من عناصر الإنقاذ الإلهي التي تأتي في أوقاتِها المُبدِعة في رَوِيَّة، اِسْمع قوله: «غير عالم أن لُطفَ الله إنَّما يقتادُك إلى التوبة» (رو٢: ٤)، واسْمع كلمة: «**نعمة الله المُخَلِّصة لجميع الناس**» (تي٢: ١١). هل حُكم الحياة كان أَسبَق أم حُكم الموت؟ حُكم الموت مُتخلِّف وأضعف من حُكم الحياة، كما تطرح ٥ من ٦ ويتخلَّف باقي ١. كذلك **الحياة أَسْبَق وأعْمَق من الموت**. فبالرغم من أننا أخطأنا، ولكن ما زالت لنا حصيلة من الحياة، وبالرغم من أنني آخذ صورة الشيطان عندما أُخطئ **إلا أن صورة الله التي أخذتُها في الخليقة أولاً ما زالت أعمَق وأَقوَى**. ولذلك نسْمع عن "نعْمَة الله المُخلِّصة" لنا جميعاً.

الله هو الذي حَكَم بالموت وهو الذي يستطيع أن يُوقِف حُكم الموت، هذا ما حَدَث في معمودية يوحنا، أَرسله الله لكي كلُّ مَنْ يُقِرُّ ويعترف بخطيئته وينطق بها جهاراً أنه خاطئ، حينئذٍ يُحكَم عليه بالموت مع وقف التنفيذ. **هنا يتفوَّق الله على حُكم القانون لأن الله لا يخضع للقانون و«كلمة الله لا تُقيَّد»** (٢تي ٢: ٩)، بمعنى أن تستمر حياة المُعترِف بخطيئته وهو في حُكم الموت، وهنا في هذه اللحظة العجيبة لابد من ظهور الحَمَل المسيحَ.

مَعمودية يوحنا قِسمان:

الأول: الاعتراف بالخطايا وقبول حُكم الموت.

الثاني: العفو المؤقت والاستمرار في الحياة.

أما معمودية المسيح بحدِّ ذاتِها فتَشْمل معمودية يوحنا ضِمناً، لأنَّها اعتماد من الماء والروح، والماء يمثِّل موتاً وحياة، والبروتستانت يقولون لا داعي للمياه، ولكن بدون هذه لا يُمكن أن تتم المعمودية.

جاء المسيح الذي حمل فعلاً على نفسه خطية الإنسان، لذلك فمعمودية المسيح لا تحتمل إلا مَعنىً واحداً **هو قبول الحياة الأبدية**، هي حياة في حياة وإن كنتُ أعتمد لموت المسيح **أي آخذ المسيح المائت المُقام**، أي أنَّها موتٌ وحياةٌ، ولكن المسيح يُعطِي الحياة فقط، لذلك نَعم أنا أجوز الموت حَتماً لأن المسيح مات، ولكني سأقوم معه كما قام.

معمودية يوحنا لم تنتهِ، يوحنا ما زال يُعِدُّ طريق الله، **لا يزال يصرخ في النفوس لكي تتوب لكي** يظهر لها المسيح، نحن نمارِس كل يوم معمودية يوحنا.

النقطة الأخيرة من تأمُّلنا في معمودية المسيح: بأَيِّ حقٍّ وبأيِّ معنى يأتي الفادي ليعتمد من يوحنا؟ قال له المسيح: «اِسْمَحْ الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نُكمِّل كل برٍّ، حينئذ سَمَحَ له» (مت٣: ١٥). كان لابد أن يوحنا يُعمِّد لتظهَر أنتَ يا يسوع، وأما أنتَ فلأيِّ سبب تَعتمِد وأنتَ القدوس؟ الجواب: "لكي نكمِّل نحن كُلَّ برٍّ". هنا إذاً يُوجَد أكثر من برٍّ، بأكثر من معنى، بأكثر من قيمة روحية، وسوف أُركِّز على قيمتَين:

أ - **كان لابد للبشرية أن تعتمد**، أن تعتمِد اعتماداً صحيحاً مَضبوطاً، «من آمَنَ واعْتَمَدَ خَلُصَ. ومَنْ لم يؤْمِن يُدَنْ» (مر١٦: ١٦)، وقد رأى الرب بنظرته على ممر الأجيال الإهْمال الشديد في إجراء سِرِّ المعمودية على المُعَمَّدين سواء من جانب الكهنة أو الطوائف التي تجهل سِرِّ المعمودية أو الذين يموت أولادهم من غير عماد طقسي مضبوط، كان لابد أن يعتمِد المسيح في الأردن عن كل ذي جسد تحت يد يوحنا الكاهن ابن الكاهن لكي يتقبَّل، باتضاع، العملِ الذي يستحقُّه كل مَنْ كان يشتهي أن يصير مُؤمِناً ولم يعتمِد عِماداً مضبوطاً، هكذا تعمَّد

المسيح لنا جميعاً، ونحن تعمَّدنا في المسيح.

ب - بأيِّ حقٍّ يا يوحنا تضع يدك على الهَامة المُقَدَّسة الإلَهية؟ وكيف تنحني الرأس الإلهي تحت يد إنسان؟ أليس هذا هو صورة مُبدِعة للموت الذي ماته المسيح؟! هذه هي صورة الإماتة العُظمَى التي جازها المسيح، هذه دعوة لنا لنَجتاز هذه الإماتة، دعوة أن نُكمِّل هذا البِرَّ، "**نُكمِّل**" (هنا في صيغة الجمع) **في شخص المسيح**، هذا البِرُّ التواضعي العجيب، والتواضع موت.

إن كان الإله قد تذلَّل تحت يد إنسان، فلِمنْ ينبغي أن أتذلَّل أنا حتى أَصير مثل إلهي؟ هل إلى الحيوان؟! أنا مُنذهِل، حتى ولا هذا يأتي بالنسبة، فعندما نُقارن الإنسان بالحيوان نجد أن لا ملامَةَ على الحيوان، لأن الحيوان لم يُخطئ أَمَّا الإنسان فأخطأ!! ومع ذلك أنا مُتعجِّب كيف لا يَحْنِ كل واحدٍ مِنَّا رأسه لأخيه؟

يوحنا نفسه لم يُوافِق من نفسه على أن يضع يدَه على رأس المسيح، ولكن هذا تمَّ بناءً على أمر إلهي، متَى نصير مثل المسيح؟ أنا مُنْزعِج، لماذا نَتَألَّه؟ متَى نتَّضع لأخينا؟ متَى نُباشِر فعل الإماتة؟ أندهش أنه في الحياة الرهبانية لا أخاً أو أباً يَحْنِي رأسَه لأخيه! فبأيِّ حقٍّ يَحْني الإله رأسه؟

يا آبائي وإخوتي، أنا أُخاطِب أرواحكم، إن لم يكن من خلال موت المسيحِ هذا، فانظروا الميلاد والعماد وسوف لا ترَوْنَ وليمة ولا حياة ولا ملكوتاً، وهكذا وضعت الكنيسة في طقسها أن تُعطيكم قُوَّة إيمانية من سنةٍ إلى سنة.

سألَني أخٌ: أَعْطِني مشورة لأحيا بها في العالم، فقلتُ له: اذهب ومُتْ، اذهب وباشِر كيف تُميت نفسك.

لا يُمكن أن يرى الإنسان الله ويعيش «لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر٣٣: ٢٠)، أي لا يستطيع الإنسان أن يرى الله ويظل عائشاً، إن مُتَّ تستطيع أن ترَى الله، مِثل أيوب الذي كان يصرخ إلى الله بِشتَّى أنواع الاحتجاجات، ولكن لما قال أخيراً أنه بغير جِلْدِه وعظامه سوف

يرَى الله حينئذٍ تحنَّن عليه الله ورفع عنه البَلِيَّة وأراه ذاتَه، أي عندما وصل ووضع في نفسه حُكم الموت وآمَنَ أنه بغير الجسد سوف يحيا ويتمسَّك بالله، حينئذٍ رأى الله.

ولذلك فالذي يحبه الرب يُؤدِّبه بأن يختفي عنه بالتَخْلية، لن نرَى عيداً ولن نرَى حياة أبدية إلا من خلال هذه الرؤية، من خلال الفقر والموت، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد.

✠✠✠

ظهور المسيح أَلْغَى الأفلاطونية في علم اللاهوت

عيد الغطاس ١٩٦٧

المسيح جاء لِيُعلِن ما لم يكن مُعلَناً ويُظهِر ما لم يكن ظاهِراً للإنسان، وبالتالي لم يترك للعقل فرصة أن يتصوَّر غيرَ المنظور، أو أن يرسم لنفسه صورة عن اللاهوت من تشبيهه الخاص أو من تَصوُّره، إذ أن اللاهوت بكماله حَلَّ بِكُل الملء جسدياً في المسيح، وكَقول التسبحة "**الأبدي صار زَمنيّاً، وغيرَ الملموس صار مَلموساً، والذي لا يُحَدُّ صار مَمْسوكاً** **aqϫeⲁⲓ** (**أي تَخَثَّر أو صار غليظاً**). هنا ألغى المسيح كُلَّ الأفلاطونية القديمة[١] واللاهوت المُنحَجب، وسَهَّل على العقل أن يستسلم **للإيمان لأن الإيمان صار مَلموساً**، وهنا علم اللاهوت القبطي واضح في تسبحة يوم الخميس في الأبصلمودية.

✠✠✠

(١) الأفلاطونية نسبة إلى الفيلسوف اليوناني القديم "أفلاطون **Plato**" (عاش ما بين ٤٢٧ ق.م، ٣٤٧ ق.م). وتدور فلسفته حول السعي الدائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة التي تستخدم العقل وسيلة لها وتجعل الوصول إلى الحقيقة أسمى غاياتها، واللاهوت عنده يعني مجرَّد تصوُّر عقلاني للإله المحتجب غير المنظور.

عيد القيامة المجيد

٣٠ أبريل ١٩٦٧

لا نستطيع أن نُؤمن ونُحسَّ بالقيامة المجيدة التي للرب يسوع، إن لم نقبلْ أولاً روح القيامة، فَمَثَلاً مريم المجدلية التي رأت المسيح القائم من بين الأموات ولكن لم تستطع أن تعرفه أولاً إلى أن أعطاها المسيح قوَّة سِرِّية في حديثه معها، فقالت في الحال: "ربوني" أي يا مُعَلِّم. ومثال آخر هو تلميذا عِمْواس (يُقال إن الأول كان "كليوباس" والثاني "لوقا" لأنه كَتَب بالتفصيل عن هذه الحادثة). كان المسيح القائم من بين الأموات يسير معهما ويتكلم، ومع ذلك لم يعرفاه. أخذ يُفسِّر لَهما موسى والكتب والنبوات التي تشير إليه، فلمَّا قَبِلا الكلمة وصدَّقاها أعطاهُما قوَّة القيامة «فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما». (لوقا ٢٤: ٣١). واستطاعا أن يَرَيا المسيح ويعرفاه.

لا نستطيع أن نُحسَّ بالمسيح المُقام إلا إذا قَبِلْنا أولاً قوَّة القيامة في ذواتنا. وقوَّة القيامة أخذناها في المعمودية ولكنها مُتوقِّفة لعدم تصديقنا لكلمة الله والنُبوَّة. عندما نَقبل الكلمة ونُصدِّقها تعمل فينا قوَّة القيامة، فنُؤمن به إيماناً أكيداً، هذا الإيمان يعلو على النظر المحسوس «طوبى للذين آمنوا و لم يَرَوْا» (يوحنا ٢٠: ٢٩).

✠✠✠

تكلمنا كثيراً فيما سبق عن القيامة، ولكن ما زال ينقصنا أشياء كثيرة عن القيامة وستظل تنقصنا حتى يوم القيامة.

من الأشياء المُدهِشة أنكم تسمعون أن المسيح يقوم والتلاميذ لا يُصدِّقون! افتحوا عيونكم وقلوبكم، إن فَهِمْتُم هذا الكلام الآن، يُزهِر غداً. من المُدهِش حقاً أن مريم تُبشِّرهم ويأتي بطرس ويوحنا إلى القبْر ويَظهَر المسيح أيضاً وحده، ولكن تلميذَي عمواس في آخر النهار يقابلان يسوع وهما يتطارحان الأمر معاً قائلين: «بعض النساء منا حيَّرنَنا إذ كُنَّ

ـ كَرِ عنـ ـقبر» (لوقا٢٤ : ٢٢).

• يَعَبِ المسيح هذا الكلام أبداً، فقال لَهما: «أيُّها الغبيان والبطيئا ـقلوب في الإيمان بجَميع ما تكلم به الأنبياء، أمَا كان ينبغي أن يتألم ـمسيح بِهذا ويدخل إلى مجَده» (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٦).

كَرَّر المسيح هذه العبارة للتلاميذ، «ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدِّقوا الذين نظروه قد قام» (مر ١٦: ١٤) ، هذا الأمر يخصُّنا.

قيامة المسيح من الأموات لها فعلان:

أ – فِعْل زمني تاريخي منظور ومُحقَّق.

ب – فعل روحي سِرِّي غير منظور وغير مُحقَّق.

والمسيح أكمل الفِعلَين، فارتضَى أن تكون قيامته حَدَثاً تاريخياً منظوراً ومُحقَّقاً:

+ سَبَق فحَدَّده زمنياً: في ثالث يوم يقوم (مت ١٦: ٢١، ١٧: ٢٣، ١٩:٢٠؛ لو٩: ٢٢، ١٣: ٣٢، ١٨: ٣٣، ٢٤ :٧، ٤٦).

+ وأكمَله بظهور حقيقي مَلموس «اُنظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو جسُّوني وانظُروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لوقا٢٤: ٣٩).

أ. **فعل القيامة الزمني:** هو من الأفعال النادرة التي حدَّدها المسيح بالزمن. ظلَّ المسيح طول كرازته يقول: «ينبغي أن يتألم كثيراً و يُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة و يُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مرقس ٨: ٣١)، لم يُحدِّد الميلاد، ولكن حدَّد القيامة بالضبط، الإنجيل كُلُّه غير مُحدَّد، ولكن القيامة تربطنا وتُحقِّق لنا الإنجيل.

هذا الفعل الزمني مُفيد جداً لا بخصوص الإيمان، لأن الإيمان يلزم أن يتحقَّق بدون فِعْل زمني، لذلك نَرَى المسيح يُوبِّخ توما وتلميذَيَّ عمواس

بشدَّة: «فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده.» (لوقا ٢٥،٢٤). أي أما كان ينبغي أن تؤمنا من أنفسكما وبدون بُرهان تاريخي مَلموس أن المسيح يقوم؟! ولكن بخصوص تحقيق حياة المسيح التي لا يُمكن تحقيقها تاريخياً, إلا أن القيامة أثبتتها كافة مُعجزات المسيح، كما أَثْبتَّت ميلاده البتولي من عذراء، كما أكَّدت وعد مجَيئه الثاني.

لذلك نجَد أن المسيح يَظهَر لمريم أولاً ثم للرسل ثم لخَمسمائة أخ، ويأكل معهم ويتحدَّث معهم ويستمر يَظهَر لَهم مدة أربعين يوماً، وذلك لكي يتأكَّد للجميع تحقيق أساس تجسُّده، وموته الإعجازي، ومجيئه الثاني للمُجازاة أي لكي يُدخِل كافة أفعال المسيح الفائقة للزمن والحواس إلى داخل الزمن والحواس، أي إلى دائرة المعقول والمُحَقَّق. **لذلك أصبحت القيامة التي حقَّقها المسيح كآخر مُعجزة هي الباب الوحيد والمفتاح الوحيد الذي ندخل به إلى كافة أسراره وبالأخص سِرَّىْ التجسد والفداء ثم سِرَّ مَجيئه الثاني للدينونة.**

فإذا لم يكن المسيح قد قام، فهو لم يمتْ من أجل خطايانا «أنتم بعدُ في خطاياكم» (١كورنثوس١٥: ١٧)، وإذا لم يكن المسيح قد قام فهو لن يأتي ثانية، وبالتالي «إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا» (١كورنثوس١٥: ١٨)، «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم. إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا» (١كورنثوس١٥: ١٧،١٨). فقيامة المسيح الزمنية فِعْلٌ حَتمِي للإيمان بِكل ما هو غير زمنيٍّ وما يفوق العقل (المعجزات).

ب. أمَّا الفعل الثاني فهو فعل روحي غير منظور وغير مُحقَّق زمنياً، وهو الذي نتقبَّله نحن الآن بالإيمان ونعيش فيه ومن أجله. فنحن الآن ننظر بالإيمان إلى فوق حيث المسيح جالس عن يمين العَظَمَة في الأعالي، فالقيامة هي مَصدر نور إيماننا أي نعيش فيها. كما أننا نجاهِد كل يوم على أساس أن تُستعلَن لنا القيامة في حياتنا، لكي نعيش فوق مُستوَى هذا

الدهر ومطالبه، لأن هذا هو مَضمون القيامة وقوَّتِها أي برجاء آخر غير رجاء هذا العالم، «وأما أنتم فترونني أني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩)، أي نعيش من أجلها.

العلاقة بين الفِعلَين:

القيامة كفعل زمني تُحقِّق لنا الماضي: العهد القديم وكافة حوادثه، والعهد الجديد بكافة حوادثه. القيامة كفعل روحي تُعطينا هذه الحوادث عينها لنعيش بها ونعيش من أجلها، هذه وعود.

والمفروض أننا نُحقِّق القيامة كفعل زمني، أن نتأكَّد منها عقلياً وحِسِّياً من مصدرَين:

أولاً: **من الكتب** (أي أسفار النبوات وسفر المزامير)، وهكذا فَعَل المسيح مع تلميذي عمواس (لوقا٢٤: ١٣-٣٢).

ثانياً: **من شهادة الذين رأَوا القيامة ولمسوها.**

كذلك نُحقِّق القيامة روحياً:

أولاً: **باتصالنا بالمسيح رأساً كعلاقة شخصية** تقوم على المحبة والأمانة والطاعة «أُظهِرُ له ذاتي» (يوحنا١٤: ٢١).

ثانياً: **بتَجرُّدنا الداخلي، وتغرُّبنا عن شهوة العالم**، وانفكاكنا من الرُبُط التي تربطنا بالناس الممسوكين من هذا العالم، وحينئذٍ تسرِي فينا قُوَّة القيامة أي الانتقال من الموت إلى الحياة.

والدرس الذي ألقاه المسيح على تلميذَيِّ عمواس يَختَصُّ بهذين الفعلَين معاً، فالتلميذان بصفتهما تلميذين عاينا الرب ورأياه وسَمعا تعاليمه ومعجزاته وتصريحاته بالقيامة التي سوف يكمِّلها بعد موته بثلاثة أيام، ولكنهما كانا بطيئَي الإيمان فعلاً، إذ لم يتَعدَّ إيمانُهما قيامة المسيح العتيدة أن تكون في نِهاية الزمن كإيمان مرثا ومريم أي لم يستطع إيمانُهما أن يحمل فِعل القيامة الزمنية، وذلك لأن إيمانَهما لم يستطع قبلاً أن يحتمِل

إمكانية تألُّم المسيح وصَلْبه، فكان التلاميذ في الواقع ينتظرون استعلان ملكوت المسيح **في الحال** بدون موته، وإلا ينحصر الإيمان بعد ذلك في مجيئه الثاني، على أن يصعد المسيح بمجدٍ مثل إيليا تمهيداً لمجيئه الثاني، وهذا واضح جداً من تعليق التلميذَيْن على أخبار القيامة التي بَلَغَتْهم، «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيَّرننا إذ كُنَّ باكراً عند القبر. ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي. ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضا النساء وأما هو فلم يَرَوْه.» (لوقا٢٤: ٢١-٢٤).

ومن هذا الاعتراف وَضَحَ أن التلاميذ ظلُّوا حتى بعد إعلان القيامة وتحقيقها الفعلي غير مُؤمنين!! والأكثر من ذلك تصريح توما الرسول، «فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب، فقال لَهم: إن لم أُبصِر في يَدَيه أثرَ المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جَنْبه، لا أؤمن» (يو ٢٠: ٢٥).

والتلاميذ بالإجْماع لم يستطِع إيمانُهم قبول فِعْل قيامة الرب بصورته الزمنية، «أخيراً ظَهَر للأحد عشر وهم مُتكئون ووَبَّخَ عدم إيمانِهم وقساوة قلوبِهم لأنَّهم لم يُصدِّقوا الذين نظروه قد قام» (يوحنا٢٠: ٢٥).

أمَّا سبب توبيخ المسيح لَهم بسبب عدم إيمانِهم:

أولاً: فَلِكَوْن حياته ومُعجزاته وأعماله كانت تكفي للإيمان بقيامته، فالعهد القديم كان يكفي للإيمان بتجسُّد المسيح وتألُّمه وموته للفداء. وحياة المسيح وأعماله تكفي للإيمان بِقيامته، وقيامته تكفي للإيمان بمَجيئه الثاني.

ثانياً: لأنَّهم لم يُصدِّقوا الذين نظروه قد قام، حتى توما لم يُصدِّق شهادة عشرة تلاميذ.

أسباب عدم إيمان التلاميذ بالقيامة في البَدء:

١ — عدم استطاعتهم الجمع بين نُصرة القيامة وسحق الصليب.

٢ — تَصوُّر القيامة كحالة روحية غير عادية غير جسدية يصحبها قوَّة ومجَد وسُلطان ودينونة (في المجيء الثاني).

٣ — الانْحصار في الحوادث، وعدم الالتفات إلى الكلمات التي قالها الأنبياء والتي أَوضَحَها المسيح لَهم بخصوص موته وقيامته، وعدم التمسُّك بها وتَصديقها في الحال.

٤ — عدم القدرة على تَصوُّر انتهار الموت وغَلَبَته، فيقوم الجسد كما هو، كما أوضَحَ المسيح لتوما: «قال له يسوع لأنك رأَيْتَني يا توما آمنتَ، طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوْا» (يو٢٠: ٢٩).

لذلك فإنَّ دَرْسَ المسيح كان مُنصَبّاً على هذه العقبات، سواء لتلْميذَي عمواس أو لتوما أو للتلاميذ المُجتَمِعين، فشَرَح لَهم الكتب (أسفار الأنبياء والمزامير)، وأراهم يدَيه وجَنبه، ولمسوه، وأكل معهم. وكان من نتيجة درس المسيح وشرحه النبوات لَهم، أن قَبلوا القيامة لا كَفِعْل زَمنيٍّ يحتاج إلى ظهور الجسد ولَمسه ولكن كحقيقة حيَّة خالدة يمكن التبشير بها للعالم أَجْمَع دونما حاجة إلى مشاهدة القيامة. فَفِعْل القيامة الروحي الذي هو بحدِّ ذاته قوَّة داخلية ونور وحياة أبدية وخلاص هو مُتوقِّف بالدرجة الأولى على الإيمان بالقيامة كَفِعْل زمني تم وحَدَثَ، وذلك بتصديق الكتب (أسفار الأنبياء والمزامير) ووعد الرب.

وطالما أنتَ تُؤمِن أن كلمة الله حقيقة أصبحت القيامة كَفِعل زَمَنيٍّ حقيقة أيضاً، لذلك تكون أنتَ غير مُحتاج أن تَرَى المسيح القائم من الأموات ولا أن تطلب أن تراه وتلمسه. لقد وبَّخ المسيح توما والتلاميذ على عدم إيمانهم (يوحنا٢٠: ٢٩= ٢٤).

+ **وها نحن لنا شُهود كثيرون رأَوا المسيح المُقام**. وبولس الرسول نفسه وضع نفسه كَشاهِد «لي أنا أصغر الرسل ظَهَر لي» (١كورنثوس١٥: ٩).

+ ووعود كثيرة من قِبَل الرب تُقرِّر قيامته الزمنية المُحدَّدة.

لا يكفيك أن تُؤمن بقوَّة القيامة كحدث زمنيٍّ فقط لكي تأخذ قوَّة القيامة السرِّية. دليل ضَعْف إيمان التلاميذ أنه بعد أيامٍ من قيامة الرب رجع بطرس وبعض التلاميذ إلى صيد السمك!! ولكنَّ المسيح ظَهَر لَهم وقال لِبطرس: «اِرعَ غنمي» (يوحنا ٢١: ١٧).

الحَدَث الزمَني لا يكفي. لابدَّ من الحَدَث فوق الزمني لِتَقبُّل القيامة كَفِعل إلَهي. التلاميذ نظروا للقيامة كَعمل غير مُختَصٍّ بهم بل مُختَصٌّ بالمسيح فقط أي أن المسيح سيأتي في مُلْكه ويملُك وأن ذَلك أمرٌ خارج مسئوليتهم أي أنهم سيمَلُكون معه فقط كما قال لَهم: «سَتجلسون معي في مَجدي» (متى ١٩: ٢٨). إن تَفهُّمهم للقيامة كَفِعل غَيْر مُختَصٍّ بهم هذا حَرَمَهُم من قوَّة القيامة. وكانوا يعتقدون كذلك أن القيامة تختصُّ بتحوُّل في الحياة يحدث لَهُم . فباختصار، ذهبت عنهم قوَّة القيامة لما أَبعدوها عنهم كَفِعل إلهي إلى أن قال لَهم المسيح: «اِذهبوا وتَلمِذوا جميع الأُمَم» (متى٢٨: ١٩). لقد قال لمريم أن تُخبر التلاميذ: «أن يذهبوا إلى الجليل (موطن الخدمة) وهناك يَرَونَني» (مت ٢٨: ١٠).

وكما كان المسيح يتألم، هكذا الكنيسة، وكَما تألم وهو الإله هكذا نحن. الكنيسة مُتألمة في المسيح ولذلك فهي تتألم مِثله ومعه.

يا إخوة تيقَّظوا معي، القيامة فِعل إلهي, ولن يعمل فينا هذا السِرُّ الإلهي إلاّ إذا فهمنا أن القيامة فِعلٌ نتقبَّله الآن، ولا ننتظره.

في وضعها الروحي، القيامة سارية فينا الآن:

المسيح، وهو الإله الذي فيه تكمُن قوَّة القيامة، تألَّم وجُلِد وشُتم وضُرِب! نحن مَدعوون أن نستثمر القيامة تحت الآلام، أن نستثمر مجد القيامة تحت ثِقَل خزي وفضيحة الآلام. حينئذ تُثمِر فينا القيامة، إلى أن نتقبَّل حقيقة القيامة كَفِعل إلهي سِرِّي بنفس الآلام التي تجرِي على إخوتنا الذين في العالم (بطرس الأولى٥: ٩).

المسيح التصق بالآلام، جعلها شيئاً قريباً إلى نفسه أقرب من قُربها لجميع بني البَشَر. المسيح كان مُنفعِلاً للآلام حتى أنه مات قبل اللصَّين على الصليب، لم يَدرأ عنه ألماً ولم يستَعفِ من أي ألم، لقد كان يستمتِع بوضع العراقيل في طريقه! [مِثال: عندما مات لعازر، انتظر المسيح ٤ أيام حتى تصعبَّت المسئولية. ومِثال آخر: عندما قالوا له إن هيرودس يريد قتلك، لم يترك المكان بل أكمل خدمته ولم يهرب، وقال: « قولوا لهذا الثعلب: إني أعمل اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أُكمِّل» (لوقا ١٣: ٣٢)، كان يقصد أنه سيواصل تكميل خدمته في ذلك المكان.

في بداية رهبنتي كانت عندي نفس الروحِ بدون أن أعلم أنَّها كانت طريقة المسيح، كنت أستمتع بوضع العراقيل أمامي وتألَّمتُ بسبب ذلك كثيراً وكنتُ أُحسُّ بخُطورتِها، ولكني بِها عرفتُ المسيح، ولكن ما كنتُ أعرف لماذا أنا أعمل هكذا؟ ولكن المسيح كان يُقيمُني دائماً.

طوبَى للإنسان الذي يتقبَّل فِعْلَ القيامة لكي يكون أقلَّ الكل، ويضع أمام نفسه العراقيل ولا يَستعفي من العراقيل الموضوعة أمامه [مثال: مضايقات الإخوة لك في المَجمع (وزملائك وأي إنسان) هي فعل قيامة لك وليست فعل صَلْب، لا يمكنك أن تحمل الصليب بدون قوَّة القيامة السرِّية].

أساس قبول قوَّة القيامة السرِّية: يلزم أن تكون مُستعداً أن تَحيا حياة المسيح بآلامها.

✠✠✠

عيد الميلاد المجيد

يناير ١٩٦٨

يقول إشعياء النبي: «حقاً أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل» (إش٤٥: ١٥).

هذه الآية ليس فقط استرعت نظري أو فكري، بل استرعت حياتي، في الحقيقة أنا وجدتُ أيضاً هذا، ولكني مُتعجِّب إن كان إشعياء النبي قد رأى الرب رؤيا العَيْن وقال: "ويلٌ لي إنِّي هلكتُ لأني إنسان نَجَس الشفتَين... لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود" (إش ٦: ٥). وبعد ذَلك يقول: "أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل". رأيتُه أنا أيضاً هكذا، رأيتُه أنه مُحتَجَب جداً بالرغم من أني فُقتُ إشعياء النبي لأني رأيتُ الرب يسوع، رأيتُه بإيمان قلبي، ولكن بالرغم من ذلك أُقرِّر أنه إله مُحتَجَب.

سمعتم الملائكة تُهلِّل في السماء برؤيا واضحة لرعاةٍ ليسوا نُسَّاكاً ولا مُتوَحِّدين ولا قديسين ولا كهنة، بل رعاة مُتبَدِّين (أي يعيشون في البادية أي الصحراء) يحرسون حراسات الليل في قرية بيت لحم أو على مُرتَفَع بجوار بيت لحم، ومع الملاك المُبَشِّر ظَهَر فجأةً جمهورٌ من الجند السمائي يُسبِّح بِصوتٍ واضح مَسْموع سجَّلته البشرية بطريقة عجيبة مُعجزيَّة كما نُسجِّل الآن على الاسطوانة والأشرطة: «المجدُ لله في الأعالِي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة» (لو٢: ١٤). أقول: بالرغم من ذلك كُلِّه، ظلَّ يسوع إلهاً مُحتَجَباً.

نما يسوع وكَبُرَ، واسْمحوا لي أن أتجاوز بيت لحم، إذ يجب أن أنحصِر الآن في بيت عَبْرة حيث كان يوحنا يُعمِّد وأقف مع يسوع على نَهر الأردن لأرَى، ليس ملائكة ولا رئيس ملائكة، ولكن إذ السماء انشقَّت والروح القدس ينحدِر بشكل جسميٍّ بهيئة حمامة، وصوت ليس صوت ملائكة، بل صوت من المَجد الأسْنى، صوت الآب نفسه يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ» (مت٣: ١٧) أو «بِكَ سُرِرتُ»" (لو٣:

٢٢) كما سَجَّلها لنا القديس مرقس الرسول. وأيضاً أتجاوز العماد وأصعد على جبل التجلّي وأرَى مرةً أخرى السماءَ تصير أرضاً والأرض تصير سماءً، والتلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا شهود رؤيا يُسجِّلون لنا كيف تجلَّى الرب، ليس كَنَبيٍّ ولكن أعظَم من نَبي، وجهُهُ يلمع كالشمس وحتى ثيابه صارت كالنور، وبالرغم من ذلك أُقرِّ لكم أن يسوع ظلَّ وسيظل إلهاً مُحتَجباً.

في هذه الليلة، وفي مثل هذه الليلة، يُعيِّد جميع الطوائف بعيد الميلاد، ولو أُعطيَ للإنسان بصيرة ليُدرِك مقدار التهليل العظيم الذي على الأرض كلها في هذه الليلة، كنائس كَنائس، على وزن "قبائل وشعوب وألسنة" (رؤ ٧: ٩). كنائس تُهلِّل وتُمجِّد وشعوب وأُمَم وألسنة من كل صنف تُهلِّل وتُمجِّد، ومع ذلك أقول: "بالحقيقة أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل". لأنه في الواقع بالرغم من التهليل الذي تُهلِّله البشرية، وبالرغم من صوت الملائكة الذي سُمِعَ، وبالرغم من صوت الآب الذي سُمِعَ ثلاث مرات (في العماد، وفي التَجلِّي، والمرة الثالثة قبل الصليب، سُمع صوت يقول: «مَجَّدتُ وأُمجِّد أيضاً» (يو١٢: ٢٨) عندما قال يسوع: «مَجِّد ابنك» (يو١٢: ٢٨)، والسماء تنطق بمنطِق الإنسان وعلى مَسْمَع البشر، ولكن بالرغم من ذلك كله فقد ظلَّ إلها مُحتَجَباً.

لم تستجب البشرية استجابة حقيقية لصوت السماء ولا لتَجلِّي الرب، ولا استجابت لصوت الرب نفسه الذي قال في التَجلِّي: «له اسْمعوا» (مت ١٧: ٥)، وفي الأردن لما قال له: «بكَ سُرِرتُ» (لو٣: ٢٢). وبالرغم من هذه الإعلانات الباهرة ،وبالرغم من أنَ المسيح نفسه يقول عن يوحنا المعمدان إن «يوحنا شَهد له» (يو١: ١٥)، ومع ذلك نجد يوحنا يُرسِل إلى يسوع تلاميذه مُتَسائلاً: «أنتَ هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (مت١١: ٣)، والتلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا الذين رأوا التَجلِّي على الجَبَل وكل ما هو مُتَجلِّي في المسيح، نجد أن بطرس يُنكِر، ويوحنا مِن بعيد واقف، ولولا وجود العذراء لكان قد هرب.

إن البشرية لم تَستَجب الاستجابة الكافية.

ولكن ما هذا التهليل في عيد الميلاد؟ هذه تَهاليل كاذبة، تَهاليل ظاهرية غير حقيقية. لو بحثنا عن هؤلاء المُهلِّلين نجد كل واحد منهم أتى وبطنه ملآنة، ودَفْياناً، وجيبه فيه فلوس، أو واحد دَرَجَته وحالته طيبة إن كان موظفاً أو كاهناً، إن كان خادِماً أو غير خادِم أو حتى أفقر فقير، اِبحثْ عن أفقر إنسان في أية كنيسة يوم العيد واسأله: هل بطنك مليانة؟ يقول لك: نَعَم، نشكر الله. اِبْحثوا عن الجوعانين سوف لا نجدهم في الكنيسة، عن العريانين سوف لا نجدهم في الكنيسة، التعابَى والمَهمومين سوف لا نجدهم في الكنيسة، والذين خانَهم الزمان، وظَلَمهم أخوهم الإنسان، سوف نجدهم تعبانين يَئنُّون غير قادرين على التهليل.

في الواقع وُلِدَ المسيح في بيت لحم وهلَّلت السماء، ونحن نُعيِّد لميلاد المسيح على الأرض الآن في كل مكان ونُهلِّل له، ولكن في الحقيقة ظلَّ المسيح «إله مُحتَجَب» (إش٤٥: ١٥). ففي كل المُهلِّلين على الأرض لا نستطيع أن نلمس المسيح مَولوداً، لأن التهاليل كلها ظاهرية من قلوب أكلت وشبعت ومن فضلة الأكل والشَبَع هلَّلت. وأنا أسأل: هل يُوجَد قلبٌ مكسور يُهلِّل؟ إن وُجِدَ، فهذا يكون شاهدَ عيان أو يكون قد استُعلِن له إله إسرائيل.

في الواقع نحن لا نستطيع أن نقول عن تسابيحنا في هذه الليلة أنَّها تسابيح حقيقية إلا إذا كُنَّا نستطيع أن نُقدِّمَها ونحن في أشدِّ العوز وفي أشدِّ الضيقات.

سألَني أحد الرهبان: يا أبي، أنتَ تقول في إحدى كتاباتك إن الإنسان يكون مَضنوكاً بضيقاتٍ كثيرة وعَوز، ما معنى العَوز؟ فضحكتُ في نفسي، نحن لم نَنْضَنك بالعَوز، العَوز هو أن تجوع وتعطش ولا تَجد أكلاً ولا ملابسَ تُغطيك أو تُدفِئك، كان هذا الأب يريد مِني أن أشطب كلمة العَوز لأنَّها غير مَفهومة عنده أو مَبلوعة في فمه.

في الواقع لا أستطيع أن أقول إن تسابيحنا في هذه الليلة تسابيح

حقيقية، فكل واحد سبَّح على المنجلية لا أستطيع أن أقول إنه قد سبَّح إلا إذا كان قد دخل في الضيقة وذاق العَوز والضَنك والألم ثم يُهلِّل ثم يشكر ثم يُسبِّح، لِهؤلاء أستطيع أن أقول إن إله إسرائيل ليس مُحتَجَباً ولكنه مُعلَن له، أمَّا الذين يُسبِّحون على أصوات الموسيقى وعلى أصوات كل آلات الموسيقى في الخوارس المُنسَّقة في كافة كنائس العالم لا أستطيع إن أقول أن هذا تسبيح أو تَهليل أو صَدَى أو رَجْع لأصوات الملائكة التي علمتنا تسبحة الميلاد. كل كنيسة في هذا الوقت تُسبِّح وتقول "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المَسرَّة"، ولكن ما هذا التمجيد لله وهذا الشعور بالسلام على أرض الشقاء وهذا الإحساس بالفرح في القلوب الحزينة والمُتألِّمة؟

هذه التَسبحة تكون حقيقية وتكون صادقة حينما نستطيع أن نُردِّدها في أحزاننا وآلامنا وضيقاتنا وأعوازنا، ولكن إن كُنَّا شبعنا بالطعام وامتلأنا واستدفأنا فَمِنَ العسير على نفسي وعلى المسيح المولود في بيت لحم أن يقول إن هذه تسبحة.

في الواقع إن الأرض كلها لا زالت مُحتجبة عن حقيقة الميلاد، وحقيقة الميلاد ما زالت مُحتجبة عن الأرض كلها، لأنني في الحقيقة، كما قلتُ لكم، من خبرتي شعرتُ في حياتي وآمنتُ بآية إشعياء النبي إنه "بالحقيقة إله مُحتَجَب"، لأني تعلمتُ في سِنِي حياتي كلها أن أُسبِّح الله من أعماق قلبي، وبدلال (دالة) كنتُ أُسبِّح، ولما دخلتُ في الضيقات تَعثَّر لساني وخرج التسبيح مُتعثِّراً من لساني إنْ خَرَج، مَشوباً بالبكاء مُتأثِّراً بآلامي، لا أقول آلام من إنسان ومَهما كان الإنسان، ولكن تجارب النفس التي يسوقها الروح القدس على الإنسان لكي يتشدَّد ويتقوَّى، هذا ما أقصدُه من تَجارِبي، ومنها تجربة كثيراً، انحصرت نفسي في داخلي، ولما أحسستُ في نفسي بأني في فترة تَخلِّي وظننتُ أن الرب تركني، وظني طبعاً خاطئ، صَعُبَ عليَّ التسبيح جداً، وتَعثَّر لساني و لم يستطع التهليل، والتسبحة التي كنتُ أُحبُّها جداً صارت غير ذات معنى،

والتسبحة التي كنتُ أُسبِّحُها كل يوم بلا مَلل عند شروق الفجر وهي ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲁ ⲫ̀ⲙⲏⲓ في أيام ضيقتي حينما كنتُ أبتدئ أن أنطقها، يسكت لساني وأجد الدمع يسبق لساني وأسبِّح له تسبحة ليس فيها شُكر ولكن فيها أنين وفيها دموع، وأخيراً عرفتُ أن تسبيحي السابق كان تسبيح الشَبَع، كان تسبيح الدلال، ولم يكن تسبيحاً، وتيقَّنتُ أن الرب كان معي في خصومةٍ، لأنه لم يستسِغ أنه في أوقات ضيقي وآلامي أن ينحبس لساني عن التسبيح والتَمجيد.

أحبائي، إخوتي، أنا لا أعظ الآن أنا أُكلِّمكم من خلف السنين، من خلف الدموع، من خلف الضيقات، هذه ليست عظة، أستطيع أن أقول لكم أو أنقل لكم خبرتي وأقول: إن لم تستطع تمجيد الله في الأعالي في وقت ضيقتك لن تستطيع أن تُحسَّ بالسلام حينما ترتعد الأرض تحت قدمَيك، وحينما يستحيل عليك الشعور بالمسرَّة في لحظات ضيقة النفس، فالمسيح لم يُولَد لكَ بعد ولم يتراءَ لكَ بعد، ولا يزال إله إسرائيل مُحتَجَباً بالنسبة لكَ. ولكن في اليوم الذي يستطيع فيه لسانك أن ينفكَّ من حزن ظروفك ومن ضيقاتك وينطلق يُسبِّح لله في الأعالي وحينما تشعر بالسلام يملأ قلبك بالرغم من كل ما يُحيط بكَ من ظروف صعبة وحينما تشعر بالمسرَّة وأنتَ بين الناس وهؤلاء الناس ليسوا معك في مسرَّةٍ، فحينئذٍ تكون هذه المسرَّة وهذه التسبحة هي تسبحة الملائكة.

يا إخوتي أنقل لكم تَجربتي ولا أعظ، هي تجربة خلاصة الحياة كلها.

إن الملائكة حينما علَّمت الرعاة تسبيح وتمجيد الخورس السمائية لَقَّنتها إياها في منتصف الليل. وبعد منتصف الليل أشرق نورٌ، هذا معناه أنَّهم كانوا في ظلمة. ومعروف حسب الطقس أن المسيح وُلِدَ في نصف الليل واستُعلنَت الرؤيا في وسط الآلام والبرد والضيقة والحراسة الداخلية والخارجية. لم تكن في أوقات مسرَّة بل في أوقات ضِيقة. هذه التسبحة ما زالت مُختفية ولا زال كثيرون يقولونَها من أفواههم ولا يستطيعون أن يَزِنوا عمق كلامِها.

حينما نمجِّد الله بالحقيقة، ما معنى التمجيد؟ نُمجِّد الله أي نرفعه، الله ممجَّد أي مُرتفِع، وهو أبو المجَد، أي القادر وأبو كل قُدرة في رفع كل خليقة إليه، فحينما نُمجِّد الله أي نرفع خليقتنا الضعيفة إلى عُلُوِّه بالتسبيح والتمجيد. كونك تُمجِّد الله، لا تستطيع أن تمجِّده وأنتَ في فتور؛ لا تستطيع أن تمجِّد الله إلا وأنتَ في حالة صعود داخلي، صعود نفساني، في حالة تَجلِّي، في حالة رِفعة، في حالة حرارة. لا يستطيع إنسان أن يمجِّد الله تمجيداً حقيقياً إلا إذا هو ارتفع بكيانه الداخلي، فيصير هذا الارتفاع الداخلي تحقيقاً لمجد الله لأن الله مجيد، أي رفيع أي مُرتفِع، أي يقدر أن يرفع المنخفضات. يرفع المتواضعات والمتواضعين. حينما نشعر باتضاعنا نستطيع في حرارة هذا الاتضاع وهذه المسكنة أن نرفع كياننا كله بالتسبيح لله، هذا هو التسبيح، لا تستطيع أن تمجِّد الله وأنتَ في حالة عَظمة أوفي حالة شعور بفَخْر أو بمجد، ولكن تستطيع أن تمجِّد الله في اتضاعك وفي مَسْكَنتك، حينما تشعر أن كيانك كله مُرتفِع كذبيحة أمام الله، هذا هو عطاء المجَد لله، كثيرون يسألون: **ما معنى أن نُعطي المجد لله؟** كيف يُعطي الإنسان المجَد لله؟ يُعطِي! يُعطي! يُعطي المجَد لله!

الله يُعطي المجَد وأنا أُعطي المجَد أيضاً!! أنا أُعطِي المجَد لله بكل كياني حينما أرتفع من التراب من المزبلة من مزبلة الخطية ومن تراب الغريزة. أرتفع بِقلبي بحرارة روحي لأُسبِّح إلهي في السَماء، هذه الرفعة هي تمجيد لله من غير شكٍّ، هذا إعلان وشهادة أن الله قادر أن يُقِيم من المزبلة ويُجلِّس مع الرؤساء. حينما أَرتفع بِقلبي بِتسبيحي الداخلي في أية لحظةٍ، فيكون هذا هو التمجيد لله.

وما هو السلام على الأرض؟ الأرض لم تكن ولن تكون مَوطِناً للسلام، مَنْ قال هذا؟ إن الأرض ليست موطن سلام، أبداً، ولكنها صارت كذلك حينما تلامست وتلامس وجهها مع جسد الرب يسوع، المسيح الموضوع في مزود البهائم في مغارة بيت لحم، صار سلام على الأرض بالضرورة. حينما نكون في أتعاب وضيقات ويكون المسيح بالحق

مولوداً في حياتنا وفي قلبنا، ونحن شاخصون بقلبنا شُخوصاً دائماً مُستمِراً غير منقطع إلى ميلاده المُعجزي وتجسُّده الحادث فينا والذي نتشارك معه بالسرِّ كل حين، كما نُحسُّ بِهذا الإحساس أن الرب مُتلامس معنا، حينئذٍ لابدَ أن يكون هناك سلام على الأرض. ومَهما كانت الظروف شاقة وصعبة، إذا استطعنا أن نستوعب ميلاد المسيح استيعاباً روحياً حقيقياً حينئذٍ لابد أن نحسَّ بالسلام. هذا هو السلام، حينما ترتعد وتتزلزل الأرض مِن تحتي، أشعر بالسلام، لأن الرب معي وهو في كياني، لأن الرب نَزَلَ وانحدر إلى الأرض وباركها.

الشياطين ظهرت للراهب وأَزعجته من النوم وسَمِع صوت بوق حرب فَخرج ينظر مَنْ بالطاقة، وقال: ما هذا؟ هل هي حرب؟ فَرَدَّ عليه الشيطان: نعم هي حرب يا راهب، تُحارب أم تَرمي السلاح؟ هذه قصة رمزية، إن الراهب والناسك وأي إنسان اعتزل العالم هو في حرب مُستمِرَّة مع قوات الظلمة المُنبثَّة في الأرض وفي السَماء، وهي قادرة أنْ تُزلزِل الأرض والهواء حولكَ وتُزعجك بلا إزعاج، وبلا سبب تجعل نفسك متضايقة وفي حزن شديد.

إن لم يكن المسيح قائماً في كيانك وأنت تُحسُّ بميلاده الحقيقي وبتَلامُسه معك على هذه الأرض التي هي سبب التعب والشقاء، حينما تُحسُّ بِهَذا السلام، حينما تُحسُّ بميلاد المسيح، تصير هذه الأوجاع كلها بمثابة دخان، كما يقول كتاب بستان الرهبان عن أحد القديسين: "عندما رَشَم الصليب أو قال لِيَنْتَهِرْكَ الرب يا شيطان، صار الشيطان كَدُخان".

في الحقيقة لا نستطيع أن نشعر بالسلام على هذه الأرض أرض الشقاء، إلا إذا كان معنا رئيس السلام، إلا إذا كانت عيوننا شاخصة لا إلى فكرة لاهوتية تقول ضِمناً إنه تجَسَّد ونَزَل على الأرض، ولكن شاخصة إلى حقيقة حيَّة ثابتة أنَّ المسيح الإله جاء وتلامس مع أرضنا تلامساً أبدياً، والى الآن تُسمَّى الأرض مَوطئَ قدمَيه. حينما نشعر بِهذا، حينما نتعلَّق به، يصير لنا سلام على هذه الأرض.

أمَّا **المَسرَّة**، فكثيرون يتوهَّمون أنَّهم في مَسرَّة، ليست المَسرَّة، يا إخوتي حصيلة اكتفاء ولا حتى اكتفاء روحي، ليست المَسرَّة، يا أحبائي، التي جاء المسيح ليُعطيها على الأرض، نتيجة أو حصيلة اكتفاء مادي حتى ولا حتى الروحي! ليس عندما تصلِّي وتتشفع في الصلاة وتشعر بالسرور، يكون هذا هو السرور الذي جاء المسيح ليُعطيه على الأرض، ولا لما تصوم وتُحسَّ بحلقك الجاف، وبطنك كالكهف، وريقك الناشف المُرِّ، ورائحة فَمك الكريهة، تنبسط لأنك تُقدِّم ذبيحة صوم لله فيكون هذا هو السرور، ولا لما تعيش في مجمع مع اِخوة طيبين حلوين ووجوه كلها تُحب وتُبارِك وتُعِين وتُؤازر في كل وقت وفي كل مناسبة فتقول: يا سلام إن نصيبي حَسن فَتُسرَّ وتفرح، ليس هذا هو السرور الذي جاء المسيح ليُلقيه على الأرض، ولا لما تكون في نشوة روحية على أثر مَنظر إلهي، حتى ولو كان هو السيد الرب، فيمتلئ قلبك بالمسرَّة فتكون هذه هي المسرَّة التي جاء المسيح ليُعطيها.

المَسرَّة التي هتفت بها الملائكة يوم ميلاد الرب هي المَسرَّة التي تستطيع أن تسود على الحزن، التي تستطيع أن تُولَد في عُمق أحزان الإنسان، هذه هي المَسرَّة، فَفي اليوم الذي فيه وأنتَ في شدَّة الضغطة والحزن وفي وسط هذا الحزن وفي عُمقه ينبثق لكَ فرح داخلي ومَسرَّة وتعزَّى، اِعلم أن هذا هو السرور الذي جاء المسيح ليُعطيه، إنه سرور عزيز لا تستطيع أي خليقة ولا أي اكتفاء ولا أي نعمة أو موهبة أن تُعطيه للإنسان، إلا الرب يسوع المسيح هو بنفسه الذي يُعطيه لأنه وُلِدَ في حُزن الأرض وفي صميم أحزانها وخطاياها. "ونحن بعد خطاة" وُلِدَ المسيح من أجلنا ومات. أي في عُمق الحَزن، في عُمق الموت، في عُمق ألم البشرية وُلِدَ المسيح. إذاً عندما هتفت الملائكة في السماء بالفرح الذي على الأرض وقت ميلاد المسيح، كان هذا هو الفرح الذي يَعزُّ على الأرض جداً جداً والذي لم يُوجَد بغير ميلاده أو بغير وجوده، فرح المسيح الذي يُولَد في وسط أحزان الإنسان وفي وسط ضيقاته وفي وسط جفافه وبرودته يُولَد الفرح، فيكون هذا هو الفرح الذي بشَّرت به الملائكة: "المجد لله في الأعالي

وعلى الأرض السلام وبالناس المَسرَّة".

يا إخوتي نحن نعيش في جوٍّ: «حقاً أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل المُخلِّص» (إش٤٥: ١٥). في الواقع عِشنا نحن في مَجمعنا الصغير عيشة في عُمق هذا الاحتجاب وحياتنا مُستترة في المسيح ليست فيها مَظاهر، وليس بأكثر من هذا دليل بأن حياتنا الروحية تنمو في غير مظاهر خلاّبة وغير أسْماء ذات وظائف وكرامات، حياتنا تَنمو خِلسةً بعيداً عن مظاهر المسرَّات الكاذبة، ومن وراءِ العالم اللاهي نَنمو، فنقطع فراسِخ العُمر وقليلاً قليلاً نُواجه الأبدية، وليس أدلّ على ذلك في الظروف السالفة حينما تقدَّمتُ إليكم تحتَ إلحاح الروح القدس وقدَّمت لكم إخوتي للرهبنة، قدَّمتهم وأنا جالس قلتُ لكم: فلان يكون راهب. لا في يدي إنجيل ولا في يدي صليب مُرصَّع مُذهَّب ولا في يدي كتاب أتلو الألفاظ القويَّة الرنَّانة ولا مقص حديد أقصّ الرأس، ولكني أستطيع أن أقول إن في يدي الروحية وفي قلبي الروحي مثل هذه القوَّة، بل أقوَى وأعظم. في وسط هذا الانحجاب أستطيع أن أقول إني أستطيع أن أُكرِّس النفوس أيضاً لله ولكن في غير مظاهر. وفي هذه الليلة المباركة تَيمُّناً بميلاد الرب وبتهليل الملائكة نتهلَّل في غير مظاهر بتقديم أخوَينا اللذَين جاءا ليتَرهْبنا معنا تحت إلحاح الروح القدس الذي ألح عليَّ كثيراً وأنا مُتأخِّر فيه بسبب ضَعفي لأني ليس في قوَّة المظاهر ولا أُعطيتُ شكليات الكنيسة التي بها أستطيع أن أتقدَّم في جُرأةٍ وأرسم، ولكن في هدوء وسكون وأنا جالسٌ أستطيع أن أُكرِّس نفس أخينا المُهندس نبيل فوزي باسم يعقوب ونفس أخينا الدكتور رؤوف جرجس باسم يوحنا ، لأسباب في الواقع أنا اخترتُهما، وليس هم يعقوب ويوحنا الاخوة، وكنت أتَمنَّى علشان الانسجام الظاهري، ولكن حياتنا مُستترة في خِفيةٍ وليست في مظاهر، أقصد بيوحنا يوحنا مرقس وأقصد بيعقوب يعقوب أخو الرب. فليكن هذَيْن الاسْمَيْنَ مبارَكَيْن على الأخوين، ليُجاهِدا جهادهما ويُكمِّلا سعيَهما في حماية الروح القدس وفي شفاعة العذراء مريم وفي بَركَةِ هذه الذِكرَى المُقدَّسة لميلاد الرب.

ⲁⲝⲓⲟⲥ ⲁⲝⲓⲟⲥ ⲁⲝⲓⲟⲥ

عيد الغطاس المجيد

٢٠ يناير ١٩٦٨

تُعيِّد الكنيسة هذا العيد السيدي المبارَك العظيم، وقد جَعَلَتْه كبيراً، وهو بالحقيقة كبير، ليس للذين يفحصون عن المَسرَّات العقلية أو الألحان، هذا العيد في الكنيسة القبطية أقل الأعياد ازدحاماً بالألحان ولكنه مزدحِم بالمعاني القويَّة، مزدحِمٌ بالنبوات المُتركِّزة في حِقبة ضيقة جداً. يومٌ هو يومٌ، يا آبائي، وحادثة بسيطة: اعتمادٌ في نَهر سَبَقَ الروح وتنبأ على فَم الأنبياءِ قبلِ أن تَتمِ هذه الحادثة بـــ ٥٠٠ سنة. إشعياء يَصف يوحنا وصفاً دقيقاً، ولم يَفُتْ زكريا أبو يوحنا الكاهن المُلهَم أن يكتشف الصلة السرِّية العجيبة ما بين إشعياء النبيِّ، وبين الابن المولود في حضن أُمِّه رفعه على ذراعَيه قائلاً: «أنتَ نبي العلىِّ» (لوقا١: ٧٦).

يا آبائي، هنا يتعانق العهد القديم مع العهد الجديد تعانقاً عجيباً وتتصاغر السنون وتلتصق الحوادث، ولْنقُلْ بطريق شِعرية كالآباء: "تعالَ يا إشعياء النبي، تعالَ اليوم وهلِّل، لأن رؤياك تحقَّقت، تعالَ بالإنجيل لترَى مَنْ تنبأتَ عنه طفلاً صغيراً في حضن أمه". وهذا زكريا الشيخ آخر المباركين والمُعيَّنين من الله ينطق بالنبوة مرةً أخرَى، مَنْ أدراك يا زكريا؟ مَنْ أدراك أن هذا هو النبِيُّ؟ مَنْ أدراك؟

ولكن، يا آبائي، لكي يُكرَم الكهنوت في كل مكان وزمان، لم يُعْوِزْ هذا الزمان الذي اضمحلَّت فيه كل ناحية في إسرائيل كما قيل عنه: «جيل شرير وفاسق» (مت١٢: ٣٩). هذا هو حُكم يسوع المسيح على الجيل الذي رآه والذي انتهي إليه شعب إسرائيل، ولكن الله لا يترك نفسه بلا شاهد، ففي هذا الجيل الفاسق حُفِظَت النُبوَّة في فَم الكاهن، حقاً تكلم النبِي: «**لأن شَفَتيَّ الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة** لأنه رسول ربِّ الجنود» (ملا٢: ٧). وإن كان قد أَعْوَزَ ذاك الجيل كل حكمة وكل نعمة، إلا أنه لا يمكن أن يُعْوِز الكهنوت قط في

أي جيل، وهذه هي علامة وشهادة أن نَطَقَ زكريا بنفس النبوة التي نطق بها إشعياء النبي وقال: «أنتَ أيها الصبيُّ نبيَّ العليِّ تُدعَى» (لو ١: ٧٦)، أَنتَ «صوتُ صارخٍ في البرية الذي ستُعِدَّ الطريق أمام الرب» (إش ٤٠: ٣؛ مت٣: ٣).

في التقليد الكنسي يُقال إن زكريا حينما طُلِبَ منه ابنه لكي يُقتَل بأمر هيرودس الملك أخذ ابنه في حضنه وهو ابن سنتين أو أقل وذهب به مُسرِعاً إلى الهيكلِ وأصعده على المذبح. وخَلَع أفود الكهنوت وألبسه لابنه وكَرَّسه كاهناً. وبعد أن أتَمَّ تكريسه إذا بملاك خَطَفَ الولد من بين يدَيه، فَخَرَجَ زكريا وإذا بعسكر هيرودس يطلبون يوحنا فقال لَهم: "غير موجود"، فقتلوه. ومن هنا تُفهَم الكلمة التي تقول: "إنه سيُطلب من هذا الجيل كل دمٍ أُهرِق زوراً وظلماً من دم هابيل الصدِّيق إلى دم زكريا بن بَرَخيَا الذي قَتلتموه بين الهيكل والمذبح". واختطف الروح يوحنا وذهب به إلى البريَّة.

✠✠✠

المعمودية والتوبة عن الخطايا

حديثنا هذا المساء ليس تاريخاً بشرياً، حديثنا رهبانيٌّ مُطلَق، فحينما أكتب أو أتكلم مع عَلمانيين أُحدِّثُهم وأسرد لَهم القصص، ولكن مع آبائي وإخوتي أتكلم عن التوبة، فهذا هو عيد التوبة. من التعبيرات السرِّية العجيبة التي عبَّر المسيح بِها عن المعمودية، سمَّاها صبغة **Βάπτιζμα**. ولكن الذي يُدهِش هو أنه حينما طُلِبَ منه مرتين من أُمِّ يعقوب ويوحنا أن يجلسا الواحد عن يمين الرب والآخر عن يساره في ملكوته، قال لَهما أن **يَصْطَبِغا** بالصبغة التي **يَصْطَبِغُ** بِها هو (مت ٢٠: ٢٢). ربنا سَمَّى الصليب، سَمَّى الذَبح على الصليب، وسَمَّى تَخَضِيبَ الجسد بالدم على الصليب، سماه "**صبغة**". هنا رَبَطَ الرب ما بين المعمودية والموت.

أحبائي، المعمودية في الحقيقة توبة، والتوبة صليب، فالتوبة موت. حينما أُكلِّم العَلمانيين عن التوبة أُكلِّمهم عن عملية ثانوية يجب أن تتغلغل في حياتِهم، فبعد أن يكدَّ الرجل ويكدح في عمله أثناء النَهار يقول لنا: "ماذا أعمل لكي أتوب؟" نقول له: "صلِّ، اِقرأ في الإنجيل، اعترف، تناول، افتح قلبك إلى الله.. الخ"، ولكن عندما يقول لي الراهب: "ماذا أعمل لكي أتوب؟" أسأله: "ماذا تعمل لكي تتوب؟!!!" حياتك كلها **توبة** أو بتعبير المسيح: **حياتك كلها صبغة**، أو بفَكِّ الرموز: حياتك كلها جهاد حتى الدم، صبغة دموية. يا آبائي، إنَها موت حقيقي. حينما نتكلم معاً عن التوبة، كرهبان، ندخل إلى العمق. لا يستطيع إنسان أن يتذوَّق التوبة إلاَّ إذا كان قد تذوَّق الخطيئة، ولا يستطيع إنسان أن يتذوَّق الحياة الأبدية إلاّ إذا تذوَّق التوبة. يا آبائي، الخطيئة موت، والتوبة موت، الخطيئة موتٌ يُنشئ موتاً، موتٌ في موتٍ وغضبٌ. نحن نعرف الموت معرفة حسِّية، نعرف الموت أنه خروج النفس من الجسد، ولكن هذا التعريف بسيط غاية البساطة، الموت الحقيقي مُفزِع جداً ومُرعِب جداً. **الموت الحقيقي هو فقدان الحياة الأبدية**، شيء يستحيل

أن يُدركه إنسان إلاَّ إذا أَدرَك الخطيئة، لأن الخطيئة وحدها قادرة أن تُذيقنا الموت الأبدي. الخطيئة وحدها هي التي تدلُّنا على معنى الحرمان من الله والحرمان من الحياة الأبدية. لذلك أقول لكم: ستظل التوبة تافهة إلى أن نُدرك عمق الخطيئة وفعلها في النفس والعقل، وستظل حقيقة الحياة الأبدية مُغلَقة على أفهامنا حتى نُدرك معنى الموت والحرمان والغضب. يستحيل، يا آبائي، أن نُدرك معنى الحرمان والغضب والموت الأبدي إلاَّ إذا أدركنا فاعلية الخطيئة في الكيان البشرى، سامحوني في هذا، نحن استَصْغرنا الخطيئة جداً واعتبَرناها شيئاً يدخل ويخرج، شيئاً يستطيع أن يُداعِب فكرنا فنطرده أو يدخل قلبنا فيُزعِجه وحينئذٍ نزجره فينطرد. يا أحبائي، نحن عرفنا الخطيئة معرفة تافهة جداً، لذلك لم نُدرِك معنى الموت الحقيقي، لذلك لم نستطع التعمُّق في التوبة إلى الوضع الحقيقي، وبالتالي لم نستطِع أن نُدرِك إلى الآن معنى الحياة الأبدية أو أن نُحسَّها روحياً. يا أحبائي، **الخطيئة ذات طبيعة شديدة البأس جداً**، الخطيئة ذات طبيعة تستطيع أن تتغلغل في كياننا البشرى. الخطيئة، أول ما تُصيب فهي تُصيب العقل، وثاني ما تُصيب فهي تُصيب النفس، وثالث ما تُصيب فهي تُصيب الجسد. إذا أصابت الخطيئةُ العقلَ ونحن مُصابون كلنا، تحرمه من المعرفة الحقيقية الصالحة ومن إدراك الحق إدراكاً كلّياً، يعرف بعض الشيء ويجهل كل شيء بالنسبة للحياة الأبدية، يعرف بعض الشيء فيما يختص بالخلاص، ولكن إدراك الحق الكامل للحياة الأبدية هذا يستحيل على العقل الذي سَكَنَتْه الخطيئة، إذا سَكَنَت الخطيئة الكيان البشرى تَعذَّر جداً رؤية النور، تعذَّر جداً معرفة الحق، تعذَّر جداً الإحساس به.

ولا يُسعِفني الوقت الآن حتى أتدرَّج بكم لكي نُدرِك خطورة الخطيئة، ولكني أختصر القول، أنظروا ماذا كلَّفَتْ الخطيئة الله نفسه!! حينئذٍ تُدركون حقيقة خطورتِها، ولكن صدِّقوني، الذي يُدرِك الخطيئة يستطيع أن يعرف ويقيس مقدار ما بذله الله من أجلنا.

يتهيَّأ لأنفسنا أنه حينما تأتي الخطيئة وتسكن فينا، يُمكننا بسهولة أن

نَخلعها، ولكن الحقيقة أن الخطيئة إذا سكنت الإنسان يكون لها آثار من الصعب وشبه المستحيل التخلُّص منها.

وحينما تُصيب الخطيئة الإنسان يكون لها اتجاهان أساسيان: **اتجاه في النفس، واتجاه في الجسد.** فالخطايا التي تُصيب النفس أصلها وأبوها هو الكبرياء، والخطايا التي تُصيب الجسد أصلها وأبوها هو الزنا. الخطيئة التي تُصيب النفس وهي الكبرياء، إذا اعتبرناها أباً أو أماً، فلها "أولاد" بلغة كتاب "سُلَّم السماء، للقديس يوحنا الدَرَجي"، إذ يقول: "إبنتها البكر هي العداوة"، والأُخرَى الحقد، والغضب، والحسد، تفرُّعات من خطية الكبرياء، ولكنها تفرُّعات نفسانية. وإذا اعتبرنا خطية الزنا بلغة الدَرَجي أنَّها أُمٌّ أو أَبٌ، فأولاد الزنا بلغة النُسَّاك هم: شهوة الحنجرة (شهوة التلذُّذ بالطعام)، الشَرَه، البَطنة، شهوة الأطعمة، والتلذُّذ بها والامتلاء، وأيضاً يتبعها الراحة الجسدية والتلذُّذات الحِسِّية والمسرَّات الجسدية.

كل خطية من هذه الخطايا إذا سَكَنَت الإنسان قادرة أن تُفسد كل هيكل الإنسان. يستحيل، يا آبائي، أنه إذا سكَنَتْ الخطية الإنسانَ تخرج كما دَخَلَتْ، لا يكون هذا ممكناً. لو كانت الخطية ممكنٌ خروجها كما دخلت، ما استلزم الأمر أبداً أن يتجسَّد المسيح ويُولَد، خروج الخطية أمر فوق الطاقة البشرية. لا تفتكِر أنك إذا قَبلتَ العداوة فيك أو إذا قبلتَ الغضب أو البُغضة أو الحسَد أو الحِقد أو الشَرَه أو الزنا أو البَطْنة..إلخ، أنك تَقدِر أن تُخرِجَها. والزنا له درجات، يَحكي عنه بولس الرسول فيقول: «زنا عَهارة نَجاسة دعارة» (غل ٥: ١٩)، فكُلُّ خطية من هذه الخطايا لها تفرُّعات، كل خطية من هذه الخطايا إذا سكنت في الإنسان يستحيل أن تُخرجها، مَنْ أنتَ؟! لا تظن أنك إذا أنت داعَبْتَ الخطية مع عقلك وتداعَبْتَ مع شهوة ما أو خطيئة من الخطايا التي ذكرناها، أنك تستطيع بعد أن تقبَّلْتَها في عقلك وبَقِيَتْ فيك وقتاً ما، وتَركتها تَسْكن فيك وقتاً آخر وتتلذَّذ بها، وتعيش في حضنك بعض الوقت أنه يكون في إمكانك أن تتخلَّص منها ولو أضعتَ حياتك كلها في التوبة. هزَّةُ

كبرياء، إذا دخلَت داخل نفسك وسَكَنتْ فيك مُدَّة، وارتضيتَها تداعب قلبك وعواطفك وقَبلْتَها فعلاً، فمن المستحيل بحسب الطاقة البشرية كلها أن تُوجَد قُوَّة تستطيع أن تخُرجها، إذ يحدث اتحاد بين الخطيئة والكيان البشري. لو أمكَن للخطية أن تخرج من الإنسان ما استلزم الأمر أبداً أن يُصلَب يسوع المسيح ابن الله، **لكنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يُخرِج مِنَّا الخطية.**

هكذا استهنَّا بالخطية. ولكن نريد اليوم أن نراجع أنفسنا، ماذا تقول لي؟ أتقول لي: أصوم؟ فَلتَصُم؟!! أتقدر بالصوم أن تُخرِج الزنا؟! هذا ليس ممكناً، قد يمكنك أن تُوقِف قليلاً حركة الزنا، ولكن أن تخُرجه، فهذا ليس ممكناً، ولا أن تخُرِج آثاره التي تُربك وتخُرِّب النفس؟! هذا ليس ممكناً. وأظنُّ أنكم تذكرون كلكم قصة أَنبا مقار لما سَمِع ذلك الشيخ الجليل الذي قال عن نفسه أنه غَلَبَ الزنا وحُبَّ الفضة والسُّبح الباطل، فذَهَبَ إليه أنبا مقار الحكيم وقال له: "يا أبي، أخبرني هل إذا رأيتَ امرأة في قلايتك على حصيرك، هل تحسبها رجلاً؟!" قال: لا، أراها امرأةً. قال له: ألا تتأثَّر بها؟ قال له: أتأثَّر. فقال له: "إذا كنتَ تراها امرأةً وتتأثَّر بها فكيف تقول إنك غَلَبتَ الزنا؟! قُلْ: أنا ربطتُ الزنا، ولكنك لم تَغْلِبْه بعد". أنتَ تُوقِف الخطيئة فقط ربما كل حياتك، ولكنك وبالرغم من كل جهادك وكل آلامك وكل دموعك وكل نُسْكك، لا تقدر أن تصل بكل هذا أن تُوقِف الخطيئة قليلاً، فإذا أرادت الخطيئة أن تشتعل ثانيةً تقدر أن تشتعل. من أجل هذا صُلِبَ ربنا يسوع المسيح وسفك الدم، ونحن إذا اصطبغنا بصبغة الدم الإلهي نستطيع أن ننعتق من هذا الموت، فالخطية موت.

يا آبائي، أنا أسأل سؤالاً، أولاً أنا قلتُ إن موت الخطيئة يفوق موت الجسد مرات ومرات، أنتم معي في ذلك والإنجيل معي في ذلك، موت الخطيئة يمتدُّ لكي يحرمنا من الله والحياة الأبدية، هل يقدر موت الجسد أن يحرمنا من الله والحياة الأبدية؟ كلا. أسأل سؤالاً آخر: هل

تستطيع أن تتخلَّص من موتِ الجسد؟ أتستطيع أن تَنْزع موت الجسد منك؟ ما وجدنا إنساناً قط إلا الرب يسوعَ المسيح استطاع أن يَنْزع الموت من كيانه، نَزَعه كما يَنْزع الإنسان ثَوْبه. فهل تستطيع أن تنْزع الخطية؟! أي هل تستطيع أن تنْزع الموت من الحياة الأبدية؟! أي الحرمان من الله؟ هذا أمرٌ غير ممكن أبداً. الخطيئة صَبْغة مميتة جداً جداً، تُميت بمعنى الحرمان من الحياة الأبدية وحلول غضب الله على الإنسان، من أجل ذلك قال يوحنا: «الذي يؤمن بالابنِ له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياةً بل يَمكُث عليه **غَضَب الله**» (يو٣: ٣٦) **الذي هو موت الخطيئة**. هذا هو عمل يوحنا المعمدان في هذه الليلة، فهو جاء لكي يُنبِّه الشعب إلى أثر الخطيئة.

موتُ الخطيئة هو موتٌ كياني يشمل النفس والعقل والجسد. يستحيل لأية قُوَّة بشرية مهما أتت من عزيمة وإرادة أن تُخرِجَ الخطية، الخطية تُميت العزيمة والإرادة، فقُلْ لِي كيف تستطيع أن تُخرِج الخطيئة بالعزيمة والإرادة؟! الخطيئة إذا مَكَثَت في الكيان البشرى، إذا سكنت الإنسان، إذا استوطنت في الأعضاء، فإنها تستعبده للموت. وأقصد بالأعضاء أعضاء النفس وأعضاء العقل وأعضاء الجسد، وكل واحدة لها مراكز فيك. لِيُعْطِني الرب فرصة لأكتب في هذا الموضوع، النفس لها مراكز كثيرة: مركز الثقة، مركز الإحساس بالذات، مركز التغرير بالذات، مركز الفحص، مركز المراجعة، مركز الإصلاح، مركز الملامة، هذه مراكز داخل النفس. والمراكز داخل العقل هي: مركز السلطان فوق العاطفة، مركز السلطان فوق الغرائز، مركز الطاعة لناموس الله، هذه مراكز عقلية. أمَّا مراكز الجسد فهي معروفة: مركز الجنس، مركز الشهوة..إلخ. إذا أصابت الخطيئة الإنسان، أية خطية، فإنَّها تُفسد كل المراكز وكلِ الكيان، لها تأثير سَلبِي على كل المراكز إذ تُفقِدها كلَ ما لها من إيجابية إلَهية من نور ومعرفة وحق وحياة. ما اكتسبْتَه أنت بالموهبة وبالنعمة وما اكتسبتَه بالطبيعة تستطيع الخطيئة أن تُضعِف هذه المراكز

وتَسْلبها قليلاً قليلاً كل مواهبها، الخطية قادرة إذا اسْتَوْطَنَت في الجسد أو في النفس أو في العقل أن تشتغل وحدها حتى تنتهي بموت الإنسان. بمعنى أنه إذا ارتضَى الإنسان بالعداوة أن تسكن داخل قلبه أو بالبُغضة أو بالحسد أو.. الخ، فإنَّها تُخرِّب كل الطاقات البشرية وكل المراكز التي تكلمنا عنها، ويُصبح الإنسان في تفكيره غريباً. فالإنسان الحقود في تفكيره غير الإنسان الحليم البسيط الحلو، والرجل الحقود له تركيب نفساني غير الإنسان السوِي. والحسد أيضاً، فإنه لو أمكن وجود طبيب ماهر وأجهزة حساسة وعندنا إنسان سَوِيٌّ ليس فيه حقد وإنسان آخر فيه حقد، فإنه يمكن اكتشاف الحقد الذي في الإنسان الحقود بالطب الجسداني. وأَقَلُّها وأَبْسَطُها أنَّني إذا أحضَرْتُ جهازاً يقيس الذبذبات العصبية وطولها، فإننا نجد أن الرجل الحقود أعصابه غير أعصاب الرجل السليم، وعلى هذا القياس: العداوة، الحسد، الغضب، البَطنة، الزنا..الخ. فالخطية إذا استولت على إنسان فإنَّها تستولي على جميع مراكزه.

ولنفرض أنك أوقفْتَ الخطية حتى لا تشتعل فيك، هل تستطيع أن تُذلِّل آثارها؟ أمرٌ مستحيل. وأظنُّ أنكم كلكم تعرفون الناس الذين يُصابون بضغط الدم والسُكَّر. فمثلاً رجلٌ تشاجر مع آخر أو يعادي إنساناً، وقد يكون هذا الرجل علمانياً أو شماساً أو قِسّاً أو راهباً، ثم يدخل في قلبه حَسَد أو حقد أو عداوة، ويدوم معه ويرضَى به، فإذا قِسْنا ضَغْط الدم عنده، فقليلاً قليلاً نجد أن ضغط دمه يرتفع، ثم يشتدُّ الضغط جداً، ومن المُمكن أن يُصاب بذَبْحة صدرية أو يصيبه مرض السكر، والسكر مرضٌ لا شفاءَ منه. طبعاً، مرض السكر لا يأتي عند كل الناس نتيجة الخطية، إذ يُحتمل أن يكون وراثياً، ولكن أريد أن أقول إن هذه الأمراض بالذات تأتي نتيجة أتعاب نفسية (وهذا لفظ طِبي)، وبتعبيرنا نحن وبتعبير الأطباء أيضاً يقولون لمثل هذا الرجل: لابد أن تأخذ الأمور ببساطة ولا تُزعِّل نفسك لأن الزعل يأتي بمرض السكر، والزعل يأتي بضغط الدم. الزَعَل خطيئة يا آبائي. نأتي بالشخص ونقول له: لماذا أنتَ

زعلان؟ يقول: لأنَّهم لم يعطوني الدرجة أو لأن رئيسي مِزَعَّلني. أقول له: وهل أنت تُصلِّي من أجله؟ فيتساءل: أَصلِّي من أجله؟!! بل أنا أدعي عليه ليلَ نَهار. الحسد والحقد والعداوة والبغضة مَلَكَتْه من أوله إلى آخره، رفعت الضغط عنده فأصابته ذبحة صدرية، أو مَرِضَ بالسكر. هل يستطيع هذا الإنسان بعدما يُوقِف العداوة بعد أن أكون قد أَرشَدتُه ووعَظْتُه وعلَّمتُه وأَفْهَمته المسيحية والمحبة ويكون قد ارتضي بقولي وآمن، ويقول لي: خلاص يا أبونا. هل يقدر أن يُخرِج السكر؟ هل يقدر أن يُعيد ضغط الدم إلى وضعه الطبيعي؟! كلا.

يا آبائي، الخطية لها آثار في الجسد يستحيل رَفْعها، أنظروا الآثار البسيطة، فما بالكم بالآثار المُمتدَّة المستطيلة غير المنظورة التي تمتدُّ إلى أن تصل إلى درجة الحرمان من الحياة الأبدية، أنا في الواقع لا أقدر أن أجْمع شمل الموضوع، فهو كبير جداً جداً، ولي سنوات كثيرة وأنا أُفكِّر فيه وأعيش فيه، لأن الخطيئة تداعبني وأنا أنازعها بكل إمكانياتي، ولكن ما هي إمكانياتي؟! إن كانت آثار الخطيئة يَعسُر جداً رفعها، فما بالكم بالخطيئة نفسها! أظنُّ أنكم لستم في حاجة أن أشرح لكم الفرق بين الفعل وأثره. **فأَثَرُ** الفعل أقل جداً من **الفعل**، **الأثر** شيء خارجي **والفعل** جوهري، فإن كنتُ أعجز عن أن أرفع أثر الخطية، فهل يمكنني أن أرفع الخطية؟! هذا أمرٌ مستحيل.

حينما تسكن الخطية في إنسان، تبتدئ تعمل كما يبتدئ السرطان في نسيج من أنسجة الجسم، فإذا تُرِكَ قليلاً، ثم يحضر الطبيب ونقول له: يا دكتور، اِستأصل لنا السرطان، فيفحص ويقول: متأسِّف جداً لقد فات الأوان، واستشرَى المرض، ومَلَكَ السرطان في كل غُدد الجسم، وتسرَّب إلى الدم. فالعلاج صار مستحيلاً! نقول له: يا دكتور أُنظر شكل المريض، إنه شديد وهو يقدر أن يحتمل أية عملية. ويرد الطبيب: لا فائدة!! هكذا الخطية، هذا أقرَب مَثَلٍ للخطية وهو مثل محسوس. فالسرطان عندما يسكن الجسد، فإذا أَسرعنا باستئصال السرطان من

الجسد بعملية سريعة فمن الممكن أن نُجنِّب الجسد النموَّ السرطاني المُميت، ولكن إذا تأخرنا قليلاً فسيقول الأطباء: لا فائدة، السرطان انتشر في الجسم كله.

كل هذا تَمهيد، مُجرَّد تَمهيد، حتى أقول لكم إن الخطية إذا سكنت في الجسم والعقل والنفس أصبح من المستحيل التغلُّب عليها من جهة آثارها ومن جهة فِعلها ومن جهة جوهرها أو طبيعتها، فهذا أمر مستحيل. ماذا تقول؟ هذا بالحق أمرٌ خَطيرٌ جداً جداً، لقد استهنَّا بالخطية، هل تظن أنك إذا رضيت بأنَّ تُداعب عقلك خطية من الخطايا وتسكن فيه بعض الوقت، والدليل أن القلب قد صار ينشغل بها، هل تظن أنه يمكن الخلاص منها؟ وأَوضَح مثال لذلك هو العداوة والزنا، لأن هذين هما أمٌّ ومركزٌ لباقي الخطايا.

فالعداوة إذا سكنت الإنسان، فإنك تجد قلبك يَهيج من الداخل؛ فإذا أتيت لتنام فإنك لا تستطيع، وعندما تتكلم تَتلَعثم في الكلام.

وكذلك أيضاً **الزنا**، فإذا ارتضَى الإنسان بخطية الزنا أن تسكن قلبه وفكره، فإنك لا تجد فيه الثقة في النفس بل تجده يتلعثم في الكلام، ويداهمه شيء من الخجل فلا يكون سَويّاً في المجتمع لأنه يعرف في نفسه أنه إنسان زانٍ، وطبعاً أنا أقصد زنا الاحتراف وليس الفكر العابر، لقد قَبِلَ الزنا فدخل إليه. ومثله كذلك احتراف العداوة. فإذا قبلتَ العداوة داخل قلبك وتفكَّرتَ في قلبك بالبغضة تجاه أحد، وأعدَدتَ له الأذى، وتمنَّيت له الضرر، بل وتُضمر له الإساءة إلى حدٍّ أن تتمنَّى له الموت أيضاً، فإذا وجدتَ أن هذه الإساءات لم تتحقق له، فإنك تبدأ في التفكير بأن تُسيء أنتَ إليه، وهذا معْناه أن العداوة قد سَكَنَت داخلك أو أن الزنا قد سكن في الداخل، فإذا سَكَنَتْ الخطية داخل الإنسان، سَكَنَهُ الموت بل سَكَنَتْه الهاوية، فمَنْ ذا يستطيع أن يرفعه من الهاوية؟! مَنْ ذا يستطيع أن يُقيمه من الموت؟!

في غُرْفنا الرهباني البسيط الذي بغير تزويق: أننا عائشون حياة توبة،

تسأله: تتوب عن ماذا؟ يقول: أتوب عن خطاياي. جميل، جيد، حسن للغاية. وما معنى التوبة؟ وما معنى أن تتوب عن خطاياك؟ أقول له: **اِقْتلِعْها، اِقْتلِعْها؟! هل تقتلع الخطية؟ نعم. وكذلك أثرها؟!** يقول لي: **صعبة.** فأقول: إن كان توقيف الأثر صعباً عليك، فكيف إذن تقتلع الأصل؟!!

معنى التوبة :

يا أحبائي؛ أقول لكم ما معنى التوبة بِحسب ما أراها في ظلّ الصليب؛ بمعنى الصبغة التي تكلم عنها المسيح: «لِي صبغة أَصْطبُغها» (لو١٢: ٥٠). التوبة إن كانت بالصوم أو إن كانت بالصلاة أو إن كانت بسَهَر الليالي أو إن كانت بالتضييق على النفس أو إن كانت بالبكاء أو إن كانت بالحزن، فكل ذلك لغايةٍ واحدة هي **أن أعرف ما هي الخطية**. لذلك، كل جهاد توبتنا، يا آبائي، لا أستطيع به أن أرفع أثر الخطية ولا أن أقتلع الخطية بالتالي، كما قلتُ لكم، وإلاّ ما كان هناك عَوَزٌ ليتجسَّد الإله ويُصلَب وينصبغ بالدم على الصليب. **ولكن كان ذلك لغايةٍ واحدة هي أن نتوب نحن، لغايةٍ واحدة نحن تركنا العالم واحْتَمَيْنا في هذه الوحدة وفي هذه البرارى المُقفرة المُوحِشة: لكي نقيس طول الخطية وعرضها،** واليوم الذي تستطيع فيه أن تتعرَّف أنت على طول الخطية وعرضها وتتحسَّس طبيعتها، حينئذٍ سوف تُدرِك خطر الموت، الموت الحقيقي الذي هو فينا، **وحينئذٍ سوف نُدرِك خطورة الحرمان الأبدي الذي نحن مُعرَّضون له بِقدر ما فينا من خطيَة.**

– وكما قرأنا في سيرة الأب سلوانس الروسي أنه بعد جهد جهيد وَصَل بعد تعذيب نفسي وبعد أن صمم أنه لا فائدة من الحياة وذهب إلى أب اعترافه وقال له: لابد أن أنْزل إلى العالم، لا توجد فائدة، أنا إنسان غير نافع لأني أحيا في الخطية وأنا غير قادر أن أغلبها، أعيش إذاً في العالم وأموت في العالم. ولما وصل إلى النقطة الحرجة ظهر له الرب، مُبارَكٌ سلوانس، وقال له الرب: اسْمع منِّي هذه النصيحة: "اجعل عقلك في

الجحيم واْحْفَظْ نفسك من اليأس وأنتَ تخَلُص".

يا آبائي، هذا ما أقوله لكم هذا المساء، الذي **يُدرك الخطية ويحُسُّها، تماماً** هو مثل الذي **وصل إلى الجحيم**. عبثاً تحاولَ أن تعرف ما هو الجحيم، عبثاً تحاول أن تفهم ما هي الهاوية إلاَّ إذا دَخلتَها، منطق واضح غاية الوضوح هل تستطيع أن تعرف الشيء وأنتَ خارج عنه؟ ما هو الجحيم؟ وكيف أَدخله؟ يا ربُّ رحْمةً بسلوانس! قال له: اجعل عقلك في الجحيم تطوُّعاً.

ولكن في هذا المساء أنا لا أدعوكم أن تتطوَّعوا تواضعاً أي أن تتصوَّروا أنفسكم في الجحيم، ولكني أقول لكم: إنكم تستطيعون بسهولة أن تدخلوا عُمق الجحيم وتعرفوا ما هو الجحيم حينما تُدرِكون ما هي الخطية وما عملها في النفس وما عملها في العقل وما عملها في الجسد، أُدخل داخل نفسك وانظُر ماذا عمِلَتْ فيك الخطية وماذا خَرَّبت فيك، حينما تَحصُر نفسك مع الخطية كما في عنق زجاجة ولا مَفرَّ، وأعني أن تتواجه أنتَ والخطية وجهاً لوجه بحيث لا تستطيع أن تفلت منها ولا هي تفلت منك، **حينما تواجهها تماماً كل يوم وتُحسُّها حينئذٍ سوف تُدرك فَزَعها ورُعبها ومَرارتَها وجحيمها سوف تحسُّ وتُدرك أنك في عُمق الجحيم وسوف تصرخ من عُمق الجحيم.**

أنا لم أستطع في هذا المساء أن ألمس معكم فعل الخطية وليس أثرها، أي فِعل الخطية في الكيان البشرى. ولكن أقول عنه تنويهاً بما استَلْزمه هذا الفعل من موت الرب على الصليب، أستطيع أن أَستشفَّ من بُعدٍ خطورة الخطيئة واتساع مَدَى فعلها في الإنسان، فقد استلزمت موت الرب على الصليب وتعذيب المسيح ابن الله، كل هذا لكي تُرفع حتى أصغر خطيئة في البشر، لأنه لو مع أصغر خطيئة يصير ضرورة رفع الخطيئة كلها، **فَمِن أجل أصغر خطيئة أنتَ أخطأتَها**: «لأن من حَفَظ كل الناموس وإنما عَثَر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يع٢: ١٠). من أجل هذا صُلِبَ المسيح.

يا آبائي، نحن هنا نعيش معموديتنا، نحن هنا نعيش توبتنا، نحن نعيش هنا لنعيش موتنا الأبدي، حينما نقيس خطيئتنا لابد أن نقيس خطيئتنا تماماً ونُدرِك موتنا تماماً، فحينئذٍ سوف نستطيع أن نرفع أعيننا للمسيح كتائبين ونَقبل فعل الدم الإلهي على الصليب. فلْتُنْزَعْ الخطية مِنَّا بنعمة الله، ولْيرتفع أثرها أيضاً، ولْتُكتَب لنا الحياة الأبدية، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

✠✠✠

أحد الشعانين

(ملخَّص)

أبريل ١٩٦٨

لماذا نقرأ اليوم في الكنيسة أربعة أناجيل؟

إني أحسُّ بكل أسف أنكم غير منتبهين إلى ما ذَكَرَتْه الأناجيل الأربعة، لذلك أحسُّ أنكم لم تُدركوا الحكمة من قراءتِها، وهذه خسارة عظيمة، لقد ذكرتُ لكم مراراً كثيرة يا آبائي أن قراءة الكلمة هي حالة حلول للروح القدس، وتساءلتُ كيف يحلّ الروح في نفوس غير واعية أو غير مُتيقِّظة؟! وإني لا أقصد اليقظة العقلية فقط، فكثيرون من العلماء عقولُهم في مُنتهي اليقظة والانتباه ولكنهم لا يحظَوْن بتأييد الروح القدس، لأن قلوبَهم غير مُنفتحة لكلمة الله. إن انفتاح القلبِ ويقظته يُؤهِّلان الإنسان لقبول النعمة وعمل الروح في القلب والعقل معاً.

يا آبائي، بغير الهذيذ في الكلمة واستيعابِها بالقلب والعقل لا يُؤهَّل الإنسان لقبول النعمة وعمل الروح في حياته بل ستكون حياته مُجدِبة عقيمة حتى ولو كَبُرَ عمرُه وشابَ شَعره، وحتى إن تكلم مع أحد لأجلِ المَنفعة، فسيكون كلامه مُجرَّد خرافات عجائزية لأنه لم يتعلم شيئاً جديداً من الروح لأن قلبه لم ينفتح يوماً للكلمة ليقبل عُمق أسرارها. وها نحن قد سمعنا أن الهذيذ في الأسفار كان شُغل آبائنا الشاغل حتى أنه من كثرة قراءتِهم في الأسفار واستيعابِها كانوا يحفظونَها عن ظهر قلب.

وها نحن قادمون على أسبوع الآلامِ نسمع فيه قراءات كثيرة من أسفار كثيرة. فنحن، إذاً، مُحتاجون جداً للانتباه الشديد واليقظة القلبية لربطِ المعاني معاً لَمعرفة ما يريد الروح أن يُعلِّمه لنا في كل ساعة لأجل خلاصنا.

✠✠✠

في حادثة دخول المسيح إلى أورشليم تُوجَد أمورٌ عجيبة نستقرؤُها من

في حادثة دخول المسيح إلى أورشليم تُوجَد أمورٌ عجيبة نستقرؤُها من روايات الأناجيل الأربعة معاً، ومن التأمل في الحوادث الأخيرة للرب يسوع:

- الرب حضر وليمة العشاء يوم السبت في بيت عنيا في بيت لعازر حيث سكبت مريم الطِيب على قدمَيه.

يُلاحَظ أن بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو الشرق وبجوارها بيت "فاجي" أي مكان زراعة التين **Fig**، والكلمة مُشتقَّة من الكلمة اليونانية، وهو المكان الذي جاء إليه يسوع بعد ذلك بيوم (مر١١:١٢) ليطلب تيناً من إحدى الشجرات القريبة من الطريق ولَم يجِد، ويُلاحَظ أن الآتي إلى أورشليم على الطريق من الشرق لا يَرَى إلاَّ الجزء القبلي من المدينة وهو جبل صهيون لأنه عالٍ. وأمَّا الجزء البحري وهو أورشليم نفسها فلا تظهر للآتي إلاَّ إذا اقترب من المدينة، لذلك تقول النُبوَّة من زكريا: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون واهتفي يا بنت أورشليم، هوذا مَلِكُك يأتي إليكِ وهو عادل، ومنصور (مُنتصِر)، وديع، وراكب على حمار وعلى جحشٍ ابن أتان» (زك٩:٩).

- ثم يقترب الرب من المدينة فتظهر أورشليم فجأةً (وهو الجزء البحري المنخفض عن الجزء القبلي)، ويقول الإنجيل في (لو١٩:٤١) إنه **بكَى عليها**، وفي ترجمةٍ أَدقّ: "**ناحَ عليها**" أي بكَى بحزنٍ ودموع قائلاً: «لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن قد أُخفي عن عينيك» (لو ١٩: ٤٢).

- لما سمع الذين كانوا في أورشليم بمناسبة العيد أن يسوع قادمٌ من بيت عنيا، أخذوا سعف النخيل وأغصان الزيتون وخرجوا من أورشليم لاستقباله، فكانت المدينة هائجة والكل يتكلم عن مُعجزة إقامة لعازر من الموت.

يُظهِر البعض أن الرب أرسل تلميذَين ليُحضِرا الأتان والجحش بدون أي تمهيد لذلك، ولكن الرواية لها تمهيد، فإذا عرفنا الآن كيف أن كل

أورشليم، لذلك كان من السهل جداً أن يذهب التلميذان إلى بيت فاجي المُقابِلة لبيت عنيا ويطلبان الأتان والجحش ليركب عليهما الرب.

– ونَرَى أن يسوع أتى إلى أورشليم يوم الأحد السابق لعيد الفصح. ولم يذكر الإنجيل ما هي المناسبة الطقسية التي تنطبق على دخول المسيح إلى الهيكل، ولكن باستقراء الحوادث وجدنا أن هذا اليوم يُقابِل عند اليهود **العاشر من نيسان الذي كان فيه يذهب كل واحد بخروف الفصح الذي سوف يذبَحه يوم ١٤ نيسان (حسب خر ١٤)، ويُقدِّمه للكاهن في الهيكل لأجل أن يفحصه. فإذا أقرَّ بأنه صحيح، يصير هذا الخروف تحت الحِفظ حتى يوم ١٤ نيسان مساءً لكي يُذبح فصحاً للرب**. فَهذا هو الانطباق المُبدِع بين الرمز والمرموز إليه، إذ نَرَى الرب يسوع يذهب بنفسه إلى الهيكل لكي يُقدِّم نفسه للكهنة لكي يُفحَص منهم. ونراه في هذه المرَّة يُقدِّم نفسه مَلِكاً على أورشليم، فلما طلب منه الكهنة أن يُسكِت تلاميذه والأطفال الذين يُردِّدون الهتافات التي لا تُقال إلاَّ للرب أو للمَلِك المُقام من الرب، لم يُوافِقهم، بل على العكس قال لَهم: «إن سَكَتَ هؤلاء فالحجارة تصرخ» (لو١٩: ٤٠)!

– الرب يسوع كان دائماً يدخل أورشليم في هدوء وخِفية، وكان يصنع آياتِه ومعجزاته ويُوصي الناس أن لا يقولوا لأحدٍ شيئاً، ولكننا نراه اليوم يدخل إلى أورشليم علانيةً، ويرضَى أن يُهلِّلوا له ويُقدِّموا له أنشودة المسيَّا المُخلِّص.

– كان يجب أن يدخل المسيح كَمَلِك إلى أورشليم ليس كمَلِك أرضي راكباً حصاناً (وهو ما يركبه الملوك الغُزاة بالقوة)، ولا مُتقلِّداً شيئاً ما هو دليل السلطان الأرضي، ولكنه دخل كَمَلِكِ سلامٍ، راكباً جحشاً، وذلك كمَلك يَملُك على القلوب المُؤمنة المُحِبَّة للسلام. إن أورشليم الأرضية كان يجب أن يدخلها المسيح ظاهِراً على الأرض، ولكن على حمارٍ دليل السلام، وتحقيقاً لمعناها أنَّها مدينة السلام.

– نَرَى أن التلاميذ والأطفال كانوا يُهلِّلون ويَهتفون ويُسبِّحون.

يخبر الإنجيل المقدس يوحنا إنَّهم كانوا يفعلون هذه الأمور **وما كانوا يفهمونها أولاً**. ولكن لما تَمَجَّد يسوع، حينئذٍ تَذكَّروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنَّهم صنعوا هذه له (يو١٢:١٦). فإذا سألتَ الأطفال والتلاميذ عن بَهجتهم وفرحهم وتَهليلهم فستحدهم لا يعرفون شيئاً سوَى أنَّهم ببساطة قلب يتهلَّلون للمسيح الذي أقام لعازر من الموت، ولا يدركون شيئاً أعمق من هذا. هذه هي حياة الإيمان. نحن نُهلِّل الآن، نحن نُصلِّي، نحن نُسبِّح، نحن نصوم، ثم أسألك: **هل أنتَ تعمل هذه الأمور مُنتظراً أن تنال شيئاً على الأرض**؟ موهبة روحية مثلاً؟! تقول لي: كلا، أنا أُسبِّح وأُهلِّل وأُصلِّي فقط لأني فرحان بالرب يسوع ولستُ أعلم شيئاً آخر، هذه حياة الإيمان. وأخيراً سوف نعلم وتنكشف أمام أعيننا الأسرار العظيمة التي وراء تسبيحنا وتَهليلنا كما انكشف سِرُّ تَهليل الأولاد الذين ما كانوا يعرفون شيئاً.

- كانوا يفرشون القمصان تحت أرجل المسيح، والقمصان هي رمز الشباب الذي تَقدَّم تحت أرجل المسيح، والأغصان رمز القلوب الطاهرة. لم يرفض المسيح هذه المشاعِر الظاهرة الطيبة وهذه التقدمات الثمينة، وقد سبق وأعلنها في بيت عنيا، عندما قَدَّمت مريم أخت لعازر الطِيب وسَكَبَته على قدمَيه. لقد قَبلَ الرب التكريم لأنه التكريم اللازم للمَلِك العظيم.

✠✠✠

البصخة المقدسة

(مُلخَّص)

أبريل ١٩٦٨

أريد أن أسأل سؤالاً واحداً: هل كلٌّ منَّا يستقبل البصخة المُقدَّسة وقراءاتِها وطقسها كما كان يستقبل باهتمام شديد الامتحانات عندما كان طالباً؟ هل تفزع وتضطرب عندما يفوتك معنى القراءات وكأنك مُقْدِمٌ على امتحان ستمتحن فيه هذه المعرفة الروحية التي فَقَدْتَها؟! أم أن الأمور كلها تسير في هدوء وبساطة ويأتي أسبوع آلام ويمرُّ آخر ونحن على ما نحن عليه!

أريد أن تكونوا جميعاً مِثلي أن تأخذوا الأمور الروحية بجدِّية تامة.

مُلخَّص حوادث يوم الاثنين

في يوم الاثنين تُتلَى قراءات قليلة. فقد رجع يسوع يوم الأحد إلى بيت عنيا وبات هناك، ثم رجع مُبكِّراً إلى أورشليم. ورأى شجرة التين التي لَعَنَها لأنه لم يجد فيها ثمراً، وشجرة التين ترمز إلى شعب إسرائيل وقد جاء الرب ليطلب الثمر منهم فلم يجد.

- نَرَى أن الرب كان جوعاناً في صباح الاثنين مُبكِّراً وهو سائر على الطريق إلى أورشليم، ونستقرئ من ذلك أنه كان يقضى الليل في الصلاة بعد يوم الأحد المزدحم بالحوادث.

- نُلاحظ أن الرب في يوم الاثنين طهَّر الهيكل من باعة الحَمام والحيوانات مَرَّةً أخرى غيْرَ مَرَّة يوم الأحد، فتصدَّى له رؤساء الكهنة قائلين: "بأي سلطان تفعل هذا؟" والمعروف أن بيع الحمام والذبائح كان يستفيد منه رئيس الكهنة، فكان جواب المسيح: "معمودية يوحنا كانت من السماء أم من الناس؟"، فكان سؤالاً مُحرِجاً للرؤساء، لأن كل الشعب كان يؤمن أن يوحنا نبيٌّ من الله، والرؤساء كانوا يعرفون ذلك ولكن لا

يُقرُّون، وأن يوحنا نفسه شهد عنه وقال إن هذا هو المسيا! هذا ابن الله! فَهموا في الحال سؤال المسيح لَهم، ولم يستطيعوا أن يُجيبوه. ونفهم من تصَرُّف رئيس الكهنة بعد ذلك أنه ضدَّ المسيح لأنه كان يعرف في قرارة نفسه أنه هو المسيَّا، وأنه لم يخُطئ، وقد سمع بأُذنه عن الشهادة التي شهد بها يوحنا عنه. نفهم من كل ذلك أن رئيس الكهنة كان شخصاً لا يُؤمن بَالله على الإطلاق ولا بالأنبياء، لأنه داس كل هذه الحقائق في سبيل الاحتفاظ بأطماعه وشهواته ومركزه.

✠✠✠

يوم الثلاثاء:

الذين قاوموا الرب يسوع في الهيكل يوم الثلاثاء هم:

أولاً: **رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ**، عندما سألوه: «بأي سلطان تفعل هذا؟» (مت ٢١: ٢٣).

ثانياً: **الهيروديسيون والفريسيون**، أرسلوا له رسلاً لكي يُجرِّبوه بخصوص إعطاء الجزية لقيصر، وهذه تُعتبَر أول مَرَّة تتفق فيها الشيعتان، لأن الفريسيين يكرهون جداً الهيروديسيين الذين كانوا يُعتبَرون من أصل أدومي، فَهُم في نظر الفريسيين وثنيون. ولكنهم اتفقوا معاً ليُجرِّبوا المسيح بخصوص الجِزْية، وكان معروفاً بين اليهود جميعاً أنه لا يجوز إعطاء الجِزية لقيصر، فالأمر كان مُبيَّتاً أن يُوقِعونه في المصيدة أمام الجَميع عَلَناً، فأجابَهم الرب: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مر١٢: ١٧)، وذلك بعد أن سألهم: «لِمَنْ هذه الصورة والكتابة؟» فقالوا: لقيصر. قال لَهم: إن كنتم قد ارتضيتم أن تضعوا على العُمْلَة صورة قيصر وها أنتم تضعونَها في جيوبكم وتتعاملون بِها فَمن الواجب أن تُعطوه حقَّه.

- **ولكن هل هذا يُعني أنني لا أستطيع أن أُعطي لله كل ما لي؟**

- **الجواب** في نفس الإصحاح في إنجيل مرقس ١٢: ٤٢: «جاءت أرملة فقيرة وألقت فِلْسيَن». وقال عنها المسيح: إن هذه «من أعوازها ألقَتْ كل ما عندها، كل معيشتها» (١٢: ٤٤)، حينئذٍ لا يَقدِر قيصر أن يأخذ منها شيئاً لأنها لم يعُد معها شيء.

سؤال: كيف عرفوا أن المرأة ألقَتْ فِلْسيَن؟!

جواب: كان في الخزانة ١٣ صندوقاً، كل صندوق مكتوب ومرسوم عليه القيمة التي ستُوضَع فيه، فذَهبت المرأة لتدفَع الفِلسيَن في صندوق الفقراء. والذي كان عليه نَذْرُ تطهير مثل السيدة العذراء، فرخَي حمام أو زوج يمَام كانت تذهب إلى الصندوق المُعيَّن لذلك وتدفع قيمة النَذْر.

ثالثا: **الصدُّوقيون**، وهؤلاء قومٌ مُثقَّفون يُسمُّون باسْم أبيهم "صادوق"، وهو شخصية قديمة، وقد تثقَّفوا بالثقافة اليونانية ولَهم بِدَع كثيرة. هؤلاء أتوا ليُجرِّبوا المسيح عن المرأة التي **تَزوَّجت بسَبعة أخوة، فَلمَنْ تكون زوجةً في الدهر الآتي؟!** قال لَهم: «تَضِلُّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوَّة الله،... ليس الله إله أموات بل إله أحياء، فأنتم إذاً تَضِلُّون كثيراً» (مت ١٢: ٢٤-٢٧).

نَرَى أن الرب بالرغم من أنه فنَّد ادعاءات رؤساء الكهنة: «بأي سلطان تفعل هذا» (متى٢١: ٢٣)، وادعاءات الهيروديسيين والفريسيين في إعطاء الجزية لقيصر، إلاَّ أن رئيس الكهنة سَجَّلها، والاتِهامات المنسوبة إلى البارِّ أنه «يعادل نفسه بالله» (يو٥: ١٨).

حوادث الثلاثاء:

جفاف التينة في الصباح وتَعجُّب التلاميذ، وقول الرب: «ليكُن لكم إيمان بالله» (مر١١: ٢٢).

- **سؤال: "بأي سلطان تفعل هذا؟"**

مَثَل الابنَين: واحد خالف أباه ثُمّ نَدم ورجع، والآخر قال: "ها أنا ذا يا سيد"، ولكنه لم يمضِ. ثم «إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فَلم تُؤمنوا به، أمَّا العشارون والخطاة فآمنوا به، وأنتم إذ رأيتم لم تُؤمِنوا أخِيراً لتُؤمِنوا به» (مت ٢١: ٣١، ٣٢).

مَثَل الكرَّامين الأردياء":

إرسالية الهيروديسيين والفريسيين:

مَثَل العُرْس: «قولوا للمَدعُوين: ها غذائي قد أعدَدْتُه، ثيراني ومُسمناتي قد ذبحتُ وكل شيء مُعَدٌّ. تعالوا إلى العُرس، ولكنهم تَهاونوا ومضوا واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته... ثم قال الملك: فاذهبوا إلى

مَفارِق الطرق وكل مَنْ وجدتموه فادعوه إلى العُرس... أشراراً وصالحين» (مت٢٢: ٣-١٠).

إرسالية الصَدوقيين: «أيَّة وَصِيَّة هي العُظمَى» (مت٢٢: ٣٦)، «"قال داود بالروح: «"قال الرب لربي: اِجْلِسْ عن يميني حتى أَضَعَ أعداءك موطئاً لقدميك» (مت ٢٢: ٤٤). «"تحرَّزوا من الكتبة الذين يرغبون المَشْي بالطيالِسة والتحيات في الأسواق» (مر١٢: ٣٨).

ويلات الكتبة والفريسيين:

«يا أورشليم يا أورشليم... هوذا بيتكم يُترَك لكم خَراباً» (مت٢٣: ٣٧، ٣٨). ولم يَعد الرب مَرَّةً أخرَى إلى أورشليم.

وحينما أروه أَبنية الهيكل قال: «لا يُترَك ههنا حَجرٌ علَى حَجرٍ لا يُنقض» (مت٢٤: ٢)

- **سؤال بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وهو جالس على جبل الزيتون عن علامات آخر الزمان**، وإعلان الرب عن علامات خراب أورشليم وعلامات مَجيئه الثاني: «أمَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يَعلَم بهما أَحد... إلاَّ أبي وحده» (مت٢٤: ٣٦)؛ «اِسهروا وصلُّوا» (مت٢٦: ٤١). طوبَى للعبد الأمين فإذا جاء سيده يَجده ساهِراً: **مَثَل العشر العذارَى** (متى ٢٥).

في نهاية يوم الثلاثاء أُقِيمَت له وليمة عشاء في بيت سمعان الأبرص، وامرأة في المدينة تشبَّهت بمريم أخت لعازَر التي جاءت وسَكَبَت قارورة طيب على رِجلَيه، والأخيرة سَكَبَتْه على رأسه لكي يَكْمُل تطييب جسده لأجل تكفينه.

مَثَل الوزنات:

يوم الدينونة: «تعالوا إلى يا مُباركي أبي رِثوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالَم لأنِي جُعتُ فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني، كنتُ غريباً فآويتُموني، عُرياناً فكَسَوْتموني، مريضاً فزُرْتُموني، محبوساً فأتيتم إليَّ» (مت٢٥: ٣٤-٣٦).

يوم أربعاء البصخة

من الواضح أن الرب يسوع اعتكف في ذلك اليوم للصلاة، وهذه كانت عادته قبل الأحداث الخطيرة.

اِجتاز التلاميذ كلهم محِنة شديدة إزاء كلمات الرب بأنه بعد يومين سوف يكون الفصح وابن الإنسان سوف يُسَّلم ليُصلَب وقد قال هذا علانية.

لم يستطع التلاميذ أن يَتقبَّلوا ضَعْف المسيح، فانبَرَى بطرس يريد أن يَحمِل هذا الضعف عنه إذ أَحسَّ بضعف المسيح خُلْواً من قُوَّته، فقال للرب: «ولو اضطَّررَتُ أن أموتُ معك لا أُنكِرُك» (مت٢٦: ٣٥)، فقال الرب: «ستُنكرُني ثلاث مرَّات» (مت٢٦: ٣٤). أمَّا يهوذا الإسخريوطى فقد اصطدم أيضاً بِضعف المسيح ونظراً لأنه لم يُؤمِن من قلبه أن هذا هو المسيَّا لذلك ساعَدته شهوة المال في تلك الفترة الحَرِجَة على الهروب من وراء المسيح والارتِماء في أحضان رؤساء الكهنة لكَي يبيع سيده!!

يُلاحَظ في سلوك بطرس عندما اصطدم بضعف المسيح أنه سقط في سلوك شائن، فقد أنكر سيده ولَعَنِ وسَبَّ؛ ولكن الفرق بينه وبين يهوذا أن بطرس كان يحوِي في قلبه إيماناً عميقاً قوِيّاً أن هذا هو المسيَّا بقَوْله سابقاً: «كلام الحياة الأبدية عندك» (يو٦: ٦٨) «أنت المسيح ابنَ الله الحيِّ» (يو٦: ٦٩). فبالرغم من ضعفه الذي ظَهَرَ في إنكاره بحسب الظاهر والمحسوس إلاّ أنَّ في أعماق قلبه كان المسيح ما زال موجوداً يُعِينه على التوبة والرجوع والثبات: «قد طلبتُ من أجلك لكي لا يَفنَى إيمانك» (لو٢٢: ٣٢). هذا الأمر خطِير جداً في حياتنا، فكثيراً ما نصطدم بضعف المسيح إذ نطلب منه أن يُظهِر ذاته محسوساً في مُشكلة من المَشاكِل، ولكن الرب لا يُظهر ذاته على المستوَى المحسوس، فيشُكّ الإنسان في المسيح ويَظُنّ أن الرب تَرَكَه.

وأحياناً يَزِلُّ الإنسان بحَسب الظاهِرِ ويسلُك سلوكاً مشيناً مثلما سلك بطرس الرسول، فينكر اسْم المسيح في موقف من المواقف أو يكذب في أنه مسيحِي، ثم يرجِع لنفسه ويقول: "أنا قد صرتُ مِثل يهوذا لأني أنكرتُ الرب يسوع، فييأس من نفسه ومن خلاصه!"، هذا خطأ، لأن المسيح في داخلك بالإيمان وهو يطلب من أجلك لكي لا يفنى إيمانك، أنت اصطدمتَ بضعف الرب فأَنْكرته، ولكن لأن في أعماق نفسك الجوهرة الثمينة وهي الإيمان به، لذلك لا يمكن أن تَسقُط كما سَقَط يهوذا الذي لم يُؤمِن بيسوع كَمُخلِّص وكَفادٍ، لذلك استطاع الشيطان أن يدخل إلى قلبه ويُيئِّسه.

يهوذا كان التلميذ الوحيد الذي من مدينة "إسخريوط" في اليهودية، أما جميع التلاميذ فكانوا من الجليل، وهم معروفون أنَّهم سامِريون تَهوَّدوا أخِيراً، ولو أنَّهم غيورون على الدين، إلاَّ أنَّهم مَشهورون بالبساطة وعدم التَعمُّق في العِلم والمَعرفة. وكان لَهم مِهَنٌ يتعيَّشون منها، وليسوا كاليهود الذين يُتاجِرون ويَربحون ويتعمَّقون في العلوم والدراسات اللاهوتية.

فيهوذا تَبِع الرب أولاً لما رأى مُعجزاته وكلامه، فَوَثقَ أنه المسيا الذي سَوف يُخلِّص إسرائيل، ولكن بكل أسفٍ كان ذلك بالمَفهوم المادِّي العالمي مُشتَهِياً أن يكون له نصيب في المجد الأرضي للمسيَّا المُنتظَر، فجاء إليه وسار وراءه مُنتظِراً أن يحصُل على شيء يتناسب مع مُؤهلاته التي كانت غَيْر موجودة عند كل التلاميذ، فقد كان ذَكِيّاً حاذقاً في البيع والشراء، باحثاً في علوم الدين، مُدقِّقاً. ونظراً لدرايته في البيع والشراء أعطوه الصندوق الذي جعله واسطة للسرقة، ولكنه اصطدم بأقوال الرب التي تُشِير إلى إظهار ضعفه: أنه «يُسَلَّم ليُصلَب» (مت٢٦ :٢)، وأنه «ليس له أين يسند رأسه» (مت٨: ٢٠)، وأنه إن أراد أحد أن يأتي وراءه فلابدَّ أن يُنكِر نفسه ويحمِل صليبه ويتبعه (مت١٦: ٢٤)، هذا غَيْر التعاليم الكثيرة التي تُشير إلى الضيقات والآلام التي لابد أن يحمِلها في هذا الدهر كلُّ مَنْ يأتي وراءه، ثم الأقوال السرِّية **mystical** الخطيرة التي قالها

عن جسده ودمه وكيف أنه سيبذلْهما من أجل حياة العالم وأن مَنْ يأكل جسده ويشرب دمه يحيا فيه. أمور كلها لم يستطع يهوذا أن يتصوَّرها أو يُؤمِن بِها وهي التي جعلت كثيراً من التلاميذ أن يرجعوا من وراء الرب، أمَّا يهوذا فاضطرَّ أن يَثْبُت ولا يترك الرب لأن الصندوق كان معه وكان ينتفع بما فيه.

كان يهوذا يتصل بجماعة الكتبة والفرِّيسيين المُتعصِّبين ويتكلم معهم عن أقوال الرب يسوع وتصريحاته عن نفسه، وكان ذلك طريقاً لزيادة تَشكُّكه في المسيح، لأنه بالتأكيد كان يسمع منهم اعتراضاتِهم الشديدة عن شخصية المسيح، وأنه، بنَظَرهم، لا يمكن أن يكون هذا هو المسيا المُنتظَر الذي بحَسب وصف كل الكتبة أنه سيُبِيد الأعداء بنفخة فَمه (أي١٥: ٣٠)، وسيُهلِك المقاومين (سيراخ٤٦: ٧)، ويُخضِع الشعوب (مز٤٧: ٣). لذلك فبمجرَّد أن رأى أن الشرَّ قد أُعِدَّ على الرب وسَمِع من الهيكل أن الخطة قد أُعِدَّت لإمساكه وقتله، قرَّر أن يهرب من هذا المُعلِّم المُهان الضعيف. ولما كانت شهوة المال قد استولت على قلبه وعقله بالكلِّية، قرَّر أيضاً أن يستفيد من خيانته لسيده بأن يُشبِع رغبته في المال، فذهب بنفسه إلى رؤساء الكهنة يتملَّقهم ويُقدِّم لَهم خدمته، وكان يهوذا بالنسبة للرؤساء أعظَم غَنيمة لَهم لأنه يُعتبَر أقرَب إنسان إلى شخص المسيح وأفضَل شخص يمكن أن يُخبِرهم عن أحواله وعن تَنقُّلاته. ويكفيهم هذه الشهادة من تلميذ للمسيح أن يَرضَى أن يُسلِّمه للموت، فهذه كانت كفيلة أن تُريح ضَمائر أفراد مجمعهم من جِهة تسليمهم البارَّ إلى الموت!

ربما كان ذهاب يهوذا لشراء خروف الفصح وتقديمه للكهنة في الهيكل لفحصه ربما كان فرصةً لسَماع الأخبار عن تشاور رؤساء الكهنة لقتل يسوع مِمَّا جَعَلَه يُسرِع للتَخلُّص بسرعة من هذه التلمذة التي ستَجلب عليه العار، وهذا المُعلِّم (المسيح) الذي امتلأ قلب يهوذا من نحوه بالحقد والغضب والتشكُّك، نتيجةً لتعاليمه التي كانت تصطدم دائماً مع

سلوكه كلصٍّ إذ كان يَسرِق ما في الصندوق. وبالرغم مما كان له من طموح إذ كان يشتهي من وراء السيد مُلْكاً أَرضياً، فكان الرب بكلامه يُبدِّد هذه الأحلام والشهوات.

– في يوم الأربعاء تَشاوَر رؤساء الكهنة على قَتْل الرب، لذلك نصوم في هذا اليوم على مَدَى السنة بسبب هذا التشاور. وهو في الواقع يوم خطير وليس يوماً عادياً، فقد اجتَمَعَ فيه السنهدريم وتباحثوا في الأمر، فأحضروا الشهود الزور وأثبتوا التُهَم وقرَّروا ما قرَّروه من إجراءات دينية وحكومية، وعندما سَمِع يهوذا باجتماعهم ربما يكون قد ذهب إليهم بنفسه ليَحْبك خطته ويصير أكثر قوَّة فيعرِض عليهم في اجتماعهم رغبته في تسليم الرب، إذ أن غرضهم تَوافَقَ مع غَرض نفسه في التنكيل بمعلِّمه، فكان فَرَحُهم به عظيماً جداً لسبب جوهري وهو أن هذا شاهِد من أهلهم ويَكفي جداً أن الذي سيُسلِّمه يكون تلميذاً من تلاميذ يسوع، لذلك فرحوا به جداً، وهو أجْرَى اتفاقه معهم على ثَمَن التسليم ثلاثين من الفِضَّة، وهو ثمنٌ ما كانوا يُثمِّنون به **العَبْد**. ومن المُحتَمَل جداً أن يكون رئيس الكهنة هو الذي أمَرَ بإعطاء يهوذا هذا الثَمَن من خَزينة الهيكل التي تحوي طبعاً أموال الذبائح المُقدَّمة لله. فٱنْظُرْ هذا التوافق العجيب!!

ملحوظة:

السنهدريم: مجمعٌ مُكوَّن من رؤساء الكهنة ورؤساء الكتبة ورؤساء الشعب، أما الذي له حقُّ الحُكْم فكانوا هم رؤساء الكهنة ورؤساء الكتبة، أمَّا رؤساء الشعب فدَوْرُهم استشاري.

في اللغة العِبْرية كلمة "**عَبْد**" تساوي معنى كلمة "**حَمَل**" أي خروف الذبيحة، لذلك فالنُسَخ المُترجمة من اللغة العبْرية تذكر كلمة "**عَبْد**" بَدَلاً من "**حَمَل**" أو "**ذبيحة**".

✠✠✠

يوم خميس العهد

أبريل ١٩٦٨

نَرَى أن الرب أرسل بطرس ويوحنا ليُعِدَّا الفصح، وقد أعطاهُما علامةً للمكان الذي سيُعِدَّانه فيه من غير أن يذكر ٱسْم الشخص صاحب المكان خوفاً من أن يَعرفه يهوذا الذي كان يتحيَّن الفرصة لتسليم يسوع، فقد كان الرب يشتهي أن يأكل الفصح مع تلاميذه. من المُؤكَّد أن المكان كان بيت مرقس. ومن الظروف والملابسات يُعرَف أن بيت مرقس كان في الناحية القبلية من أورشليم حيث بيت رئيس الكهنة وبقية الكهنة، فَمِن المُرجَّح أن أبا مرقس كان كاهناً آمَنَ بالمسيح ولكنه كان ما يزال يعمل في خدمة رئيس الكهنة داخل الهيكل، لذلك لم يُذكَر اسْمه في كل هذه الظروف حتى لا يقتله اليهود. كما يُستَدل أيضاً من المعلومات المذكورة على أنه كان غنيّاً ويُوجَد في بيته عبيد ("رودا" خادمة في بيت مرقس، والعبد الذي كان يحمل جَرَّة ماء هو الذي دلَّهما إلى بيت مرقس أيضاً). وكانت العلِّية مفروشة دليلاً على أن المنـــزل كان كبيراً.

ذهب بطرس ويوحنا وذَبَحا الخروف في الهيكل حسب الطقس الساعة ٢.٣٠ مساءً (بعد الظهر)، ثم حَمَلاه هما الاثنان على عصا إلى المنـــزل المختار، وكانت هناك إعدادات أُخرى للفصح، فكان يجب عليهما أن يشتريا أصنافاً من المأكولات، بعضها يُطبَخ وبعضها لا يُطبَخ، حتى يُعِدَّا مائدة الفصح. فمثلاً كان لابد أن تُقدَّم **"أعشابٌ مُرَّة"** مغموسة في الخل والتي كانت تُمثِّل الآلام التي ٱجتازها الشعب في مِصر، وكذلك يُقدَّم تفاح وزبيب وبُندق وهي تُمثِّل الحياة في كنعان.

وكانت الصلوات في الهيكل تُقدَّم في يوم الفصح، فيبوِّق رئيس الكهنة بالبوق الفِضِّي في الساعة ٢.٣٠ مساءً (بعد الظهر) فيُذبحُ خروف الفصح. وكان الكهنة يقفون ومعهم كؤوس فِضِّية ليأخذوا الدم ويسكبوه على المذبح. وكانت جموع الكهنة يقفون صفوفاً، ومعهم

الذابحون من اللاويين أو من العلمانيين الذين يعرفون طقس الذبْح حيث يُسلِّم كل كاهن الإناء الفِضِّي الذي بيده والذي امتلأ بدم الذبيحة إلى الكاهن الذي بجواره. وهكذا حتى يصل في النهاية إلى الكاهن الأخير الذي بجوار المذبح، فيسكبه على المذبح، وكانت توجد مجاري للمياه يجري فيها الدم بعد ذلك من تحت المذبح إلى وادي قِدْرون حيث كانت توجد مزارع الكروم الكثيرة.

– وهنا نرى كيف كانت دماء الذبائح تُسكَب كلها إلى الكرم، هذا **الذي تحوَّل بعد ذلك إلى دم المسيح لخلاص العالم!** ويُقال إنه كان هناك خزَّان ماء عظيم جداً على أحد الجبال المُجاورة للهيكل يمُلأ من الأمطار المُنهمرة، وكان له أنابيب تجَري في كل الهيكل جرياناً دائماً فتغسل كل الطرق وتصبُّ في وادى قدرون.

الفصح أمَرَ به الرب قبل أن تُوجَد الشريعة والناموس وقبل أن يُقام الكهنوت، لذلك فالمعروف أنه كان يستطيع أن يُجريه أي إنسان يهودي، وليس هناك حتمية لوجود كاهن، فقد كان أَب البيت الذي يتكون من عشرة أفراد أو أكثر هو الذي يتلو الصلاة أولاً، ويُبارك على كأس الخمر بصلاة، ثم يشكر ويقول صلاة من أجل اليوم، ثم يتقدَّم فيأكل الأعشاب المُرَّة المغموسة في الخل، ثم يُعطي المُتكئين، ثم يأكل الأصناف المطبوخة الأُخرى، ثم يأكل الخروف المَشوِي ويُعطي المُتَّكئين، ثم يشرب كأس البركة، ثم كأس الختام.

– يُلاحَظ في سِرِّ الإفخارستيا في العهد الجديد أن الكاهن يَرشم على قارورة الخمر (وقت تقديم الحَمَل)، ثم يُصلِّي صلاة الشكر من أجل اليوم (لأنك أتيتَ بنا إلى هذه الساعة)، تماماً كما كان يُعمَل في تقديم الفصح. كما كانوا يغسلون أيديهم قبل التقدُّم للفصح ما كان يُعرَف بِطقس غسل الأيدِي.

ولما ابتدأوا بالجلوس، لاحظ الرب أن هناك خصومة بين التلاميذ "مَنْ هو الأعظم" في الجلوس، لأن طقس الجلوس كان يجعل الأكبر سنّاً أقرب

شخص إلى رئيس المائدة من الجِهة اليُسرَى، وكان أصغر شخص هو الذي يجلس من الجِهة اليُمنَى. والخصومة كانت في الغالب بين بطرس ويهوذا، فبطرس كان مَعروفاً أنه أكبر في السنِّ، بينما يهوذا كان معروفاً أنه مُثقَّف في الشريعة وذو معرفة دينية أكثر من بطرس. وكان الطقس يُجيز للأكثر معرفةً في الدين أن يتقدَّم على الأكبر سِنّاً. فقال لـــهم الرب: «إن رؤساء الأمَم يسودونَهم... الكبير فيكم ليكُن كالأصغر والمتقدِّم» (مت٢٠: ٢٥؛ لو٢٢: ٢٦).

– وقد أراد الرب أن يُثبت لَهم ذلك عَملِيّاً، فتَمَنْطَق (أي لفَّ المِنطقة القماش حول خِصْره كما يفعل خَادمُ المنـــزل ليتهيَّأ للعمل)، وائْتزرَ بمئْزرةٍ (أي لبس لباس الخدمة)، وأخذ ماءً في لقَّان وغسل أرجل تلاميذه وقال لهم: «فإن كنتُ وأنا السيد والمُعلِّم قد غَسَلتُ أرجلكم فأنتم يجب أن يغسل بعضكم أرجل بعض» (يو١٣: ١٤). هكذا وضع الرب سِرَّ تواضعه العجيب في هذا الطقس (غسل الأرجل). وأراد أن يقول لبطرس: "إن كنتَ لا تقبلني أغسل رِجلَيك وأنا المُعلِّم والسيد فأنتَ بالتالي عندما تكون مُعلِّماً وسيداً سوف لا تقبل على نفسك هذا العمل التواضعي لذلك سوف لا يكون لكَ معي نصيب في تواضعي ومحبَّتي، أمَّا إذا سَمحتَ لي يا بطرس أن أغسل رِجلَيك فأنتَ بذلك تشترك فعلاً في تواضعي ومحبَّتي، وبالضرورة عندما تكون سيداً ومُعلِّماً سوف تسلك مِثلي وتغسل أرجل تلاميذك مُظهِراً اتضاعي ومحبَّتي التي انسكَبَتْ فيك".

– ويُلاحَظ في طقس الإفخارستيا أنه لا يَصِحُّ للكاهن أن يخدم الذبيحة إلاّ إذا غسل يدَيه، وكانت أصلاً أن يغسل أرجل الشعب فيستأهل أن يكون مِثل سيده على طقس التواضع والمحبَّة، فبتواضعه الذي يُظهِره نحو أولاده يتطهَّر من الداخل من الخطية.

– «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رِجلَيه بل هو طاهر كله» (يو١٣: ١٠)، يقصد الرب هنا أن الذي "استحمَّى..." وقد كانوا يستحمُّون قبل الفصح رمزاً للطهارة الداخلية، أمَّا الأرجل فتُشير إلى أقذر

شيء في الإنسان لأنَّها مُلاصِقة للأرض.

– إن جملة: «**لأني أعطيتُكم مثالاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً**» (يو١٣: ١٥) في مَفهومِها الأصلي تُعتبر **dogma** أي "**كتلاميذ لي، أعطيتُكم قانوناً**" **للاتضاع**.

إننا لم نَرَ الرب يسوع آكِلاً الفصحَ مع تلاميذه إلاَّ في هذه المَرَّة فقط. وقال: «شهوة اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم» (لو٢٢: ١٥)، لأن الرب كان يقضي الفصح في منطقة الجليل، وقد كان الفصح مُلزِماً فقط للذين في أورشليم وما حولَها من القُرَى وعلى مسافة مُعيَّنة معروفة، أمَّا الذين في البلاد البعيدة فلم يكونوا مُلزَمين بالفصح لأنَّهم بعيدون عن الهيكل، لكنهم كانوا يشترون الخروف ويذبحونه ويأكلونه كوليمة عادية.

يقول القديس يوحنا الرسول عن المسيح في إنجيله إنه: «أَحَبَّ خاصَّته الذين في العالم... أحبَّهم إلى المنتهي» (يو١٣: ١)، وهو يُشِير بهذه الكلمة إلى يهوذا الإسخريوطي الذي أحبَّه الرب حتى آخر لحظة.

كما يُلاحَظ أن الشيطان دخل في يهوذا مَرَّةً أخرَى عندما أخذ اللقمة من الرب، وهذا يُظهِر أن الإنسان يُمكنه أن لا يَرضَخ للشيطان، فبالرغم من أنه دخله مَرَّةً سابقة وذهب واتفق أن يُسلِّم مُعلِّمه، إلاّ أنه بعد أن حَضَر ونَظَر الربَ مَرَّةً أخرَى ونَظَر اتضاعه ومحبَّته ابتدأ يلوم نفسه ويُراجعها، ولكن لما احتقر صوت الضَمير وثَبتَ في شهوته وأغراضه الشرِّيرة، دخله الشيطان مَرَّةً أخرَى وأَغْواه.

قال الرب: "الحق أقول لكم: إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً معكم في ملكوت الله" (مر١٤: ٢٥)، اليوم هو العهد الجديد الذي نَحياه الذي بدأ بقيامة الرب. نحن نعيش هذا العهد الجديد، الرب يسوع يشرب معنا الآن من نَتاج الكرمة جديداً، هو الآن معنا كرئيس كهنة وذبيحة في الوقت نفسه، هو يُعطينا دمه وجسده بنفسه. هذا التفسير لم تُحسُّه الكنيسة منذ البداية مع أنه قول صريح وواضح أنه يُعزِّينا ويُفرِّح قلوبنا.

يوم الجمعة العظيمة

الساعة السادسة:

سؤال: ما الذي مَكَّن اليهود من صلب الرب يسوع؟

جواب: الذي مكَّن اليهود من صلب الرب يسوع هو "**ضَعْفُه!**"، كما قال الرسول بولس: "**إنه صُلِبَ عن ضَعْف**" (٢كو١٣:٤)، فلو كان الرب أَظهَر لاهوته بقوَّته وجلاله, لارتعب المُعتدون, وهرب الصالبون. قال يسوع للجماهير المُحتشدة عليه في البستان ليلة آلامه: "مَنْ تطلبون؟" "قالوا: يسوع الناصري". قال لَهم: "**أنا هو**". فرجعوا إلى الوراء، و بمجرَّد أن أجاب الرب بصيغة "الذات الإلَهية" **"ἐγώ εἰμι"**، ففي الحال ارتعب الجنود وسقطوا على وجوههم.

إن الرب **حَجَب قوَّة لاهوته**، من أجل هذا استطاعوا أن يُمسكوه ويهزأوا به ويصلبوه. لكنه بإرادته **تخَلَّى** عن مجد لاهوته. هذا الإخلاء هو سِرُّ صَلْب الرب يسوع، وبغير ذلك ما أمكن صَلْبُه أو الازدراء به.

من هذا **الإخلاء** العجيب نحن نستطيع أن نقترب من الرب يسوع ونتقابل معه، لا كَصالبيه الذين رأوا في المسيح ضَعفاً شديداً فقط، بل كَمُؤمنين بأنه هو الرب بذاته **القوي الجبَّار** لأنه صُلِبَ باختياره، فنحن نَرَى أن الضعف الظاهري في المسيح كان يُخفي وراءه قوَّة إله جبَّار، ونحن بقبولنا الضعف والمَذلَّة والاحتقار والظُلم مِثل المسيح الذي قَبِلَ كل هذا عن رِضًا وباختياره، نستطيع أن نَستعلن قوَّة المسيح السرِّية.

أُنظر إلى سلوك المسيح في قبوله يهوذا الإسخريوطي وسط التلاميذ وهو يَعلم أنه سوف يُسلِّمه ولكن لم يُرِد أن يرفضه، ألا يُعتبر هذا ضعفاً ومُنتهي الضعف؟ لقد أتَى يهوذا إليه ظاهراً في صفات الغيُّور المُتعلِّق جداً بتعاليم المسيح، فكيف يرفضه؟

المسيح قَبِلَ الآلام والظلم بإرادته بينما كان قادراً في أي وقت أن يستعفي منها.

كان السلوك الأخير للشيطان في إثارته للرؤساء والحُكَّام والشعب واختراع كل حِيَل التعذيب والتشهير لكي يجعل المسيح يستعفي من الصليب.

المسيح صَبر على الآلام والظُّلم وهو بارٌّ إذ لم يفعل خطية واحدة تستحق هذه الآلام؛ أمَّا أنتَ فهل آلامُك مثل آلام المسيح؟ إن كنتَ تتألم وتُحتقَر ويُزدرَى بك من أجل أخطائك وعيوبك، فهل أنت تَحسب هذا تشبُّهاً بصليب المسيح؟ آلامك هذه ليست صليباً، ولكنها **تَأديبات وضربات من الرب.** وعندما يموت الإنسان العتيق فيك، ثم بعد ذلك حينما تقبل الآلام ظُلماً أو تُحتقَر ظُلماً وأنتَ بارٌّ وتُهان بسبب أخطاء أنتَ لم تعملها، وتصبر على ذلك، حينئذٍ فقط تكون قد شابَهْتَ الرب على صليبه. هكذا يقول بطرس الرسول: «**لأنه أيَّ مجد هوَ إن كنتم تُلطَمون مُخطئين فتصبرون، بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فَضْلٌ عند الله**» (١بط٢: ٢٠).

هذا هو بالحقيقة صبر المسيح. فإن كنتَ تحتمِل ألماً، وكان في طاقتك وفي إرادتك أن تتفاداه، ولكنك قَبلتَه بالظُّلم من أجل الرب، هذا الصبر لابد أن يقودك إلى استعلان قوَّةَ الرب «**لأنه أي مجد هو إن كنتم تُلطَمون مُخطئين فتصبرون، بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فَضْلٌ عند الله**» (مت١٠: ٢٢).

الساعة التاسعة:

نحن نَرَى الآن كيف صَبِر الرب يسوع على الآلام حتى النهاية أي الموت بكل رِضَا وهو القادر على رفض كل ألم. كما نَرَى كيف هاجت قُوَّات الشرِّ وضغطت على الرب بكل قواها وإثاراتِها للأعداء حتى تجعله يتنازل عن الألم، ولكنه صَبِر حتى آخر لحظة مُستهيناً بالخزي من أجل السرور الموضوع أمامه.

وإن كُنَّا نستمع لشرح الأطباء في وصف آلام الصَّلْب وكيف تكون

الشرايين الدموية في كل الجسم في حالة آلام مُريعة، وكذلك الأعصاب في كل جزء من أجزاء الجسم. والحقيقة إن آلام الصلب أفظع مِمَّا يتصوَّره الأطباء، لأنه لا يستطيع أحد أن يتصوَّر شيئاً لم يختبره. هذا كله صَبِر عليه يسوع وهو الإنسان الرهيف الحِسِّ الرقيقَ المشاعِرِ للغاية، عَدَا تعيير المُعيِّرين بقولهم: «خلَّص آخرين، وأمَّا نفسه فَما يقدر أن يُخلِّصها» (متى٢٧: ٤٢).

– لما مات الرب على الصليب، ففي الحال قَبَض على الشيطان وجنوده وظَفَر بِهم، كما يقول الرسول: «أَشْهَرَهم جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كولو٢: ١٥)، أي أن المسيح لما وَصَل إلى مُنتهى الضعف (الموت) مع أنه **في جوهره الإلهي وفي طبيعته غير مائت**، في الحال **استُعلِنت قوة لاهوته لقوات الشرِّ، فظَفَرَ بِهم وقيَّدهم**.

– وإن كانوا يقولون إن الشمس قد انخسَفَت خَجلاً من صلب المسيح إلاَّ أننا نقول إن الشيطان نفسه رئيس سلطان الهواء وهو الظُلمة قد تجلَّى بأعظم مظهر له عندما صُلِب الرب، لأن الظُلمة هي مظهر قوات الشرِّ «**ولاة العالم على ظُلمة هذا الدهر**» (أف٦: ١٢).

هكذا نحن عندما نُوفي آلام التأديبات ثم نُستأهَل لآلام الصليب عن ظُلمٍ مثل المسيح، فلابد أن نقبل الألم حتى آخر لحظة دون أن نرجو من وراء ذلك أيَّ رِبْح أرضيٍّ إلى أن نذوق الموت، حينئذٍ فقط نظفر بِقوات الشرِّ وتُستعلَن لنا الحياة الأبدية.

– يا أحبائي، يجب علينا أن نتعلم كيف نحتمِل الألم حتى الموت، أَلَمَ التواضع، والرضا بالمكان الأخير، أَلَمَ تعيير الأعداء الخفيين والظاهرين ومقاومتهم لنا مجَّاناً، أَلَمَ الصوم حتى الخوار، حينئذٍ سنَرَى كيف أن هذه الآلام هي بالفعل مصدر تعزيات المسيح لنا، وهي: "حِمْلُه الهيِّن ونيرُه الخفيف" (مت١١: ٣٠).

الرب يسوع نَزل إلى الهاوية بنفسه، وأرعب قوات الشرِّ، وأَطلق أَسرَى الرجاء، وحطَّم الأبواب النُحاس وسحق الأقفال الحديدية،

واستطاع أن يُبشِّر المأسورين في الهاوية. هكذا نحن إن كُنَّا نصبر حتى المُنتهَى بإرادتنا ونقبل الصليب حتى الموت، حينئذٍ نستطيع أنَ نُبشِّر المأسورين بالخطية الذين قبض عليهم الشيطان، سوف نُبشِّرهم بموتنا على صليب! إن صَبرْك لآلام المرض أو آلام الصوم، حتى ولو داعَبَتْك آلام الموت، فهذا سيقود الإنسان إلى استعلان الحياة الأبدية. أمَّا إذا مُتَّ وأنتَ في مرضك أو في صومك، فأنتَ ستستطيع أن تنطلق من رباطات الجسد وتُبشِّر جميع المأسورين، وتحيا في الأبدية مع أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس وبولس وبطرس الذين هم الآن أرواح طاهرة خادمة، والذين سيقتربون جداً مِنَّا حتى يَجِدونا نصبِر على آلام الصليب، لذلك هم يشفعون فينا بالصلاة لأنَّهم احتملوا مِثلنا هذه الآلام حتى الموت.

– عندما تَصِل آلامك إلى حدِّ الموت، حينئذٍ سَوف تموت عن العالم وعن قوانين العالم والمادة ولن تعود تعتمد عليها أو تُفكِّر فيها، لأنك ستسير بحسب قانون الحياة الأبدية.

– إن التأمُّل الدائم في آلام المسيح وصبره واحتماله حتى الموت يُؤازرنا كثيراً في احتمال آلامنا.

الساعة الثانية عشرة:

المسيح الآن في القبر، هي ساعة رهيبة بالحق فكيف يموت الإله المُحْيي؟!

والقبْر يُشِير به الآباء إلى **حياة السكون**. وإن كان القَبْر يُشِير إلى السكون، فكيف نتكلم بعد ذلك عن القَبْر؟! وإن كُنَّا يجب أن نتكلم، فهذا لكي نقترب فقط من حقيقة القَبْر أو حقيقة سكون الموت. الرب يسوع حينما مات على الصليب، صمتَ عن الكلام، ولكن نفسه وروحه بدأت تُبشِّر الذين في السجن (الجحيم).

– يا آبائي، لا نستطيع أن نختبر حياة القَبْر أو السكون إلاَّ إذا اختبرنا الصليب حتى الموت، فالذي يُحاوِل أن يدخل إلى قبْر السكون بغيْر أن

يحمل الصليب ويتألم جداً حتى الموت ويصبِر، يحقُّ فيه القول: «لم تُجاهدوا بعد حتى الدم مُجاهدين ضد الخطية» (عب١٢: ٤) = أي موت الصليب، لأنه لم يستطع أن يتذوَّق عزاء السكون. لابدَّ أن نقبل آلام الصليب التي هي ظُلمٌ، ونصبر لها حتى نموت عن العالم بالكلِّية والعالم يموت لنا، حينئذٍ يصير سكوننا روحانياً ويُستعلَن لنا الملكوت والحياة الأبدية، وستنطلق أرواحنا تُبشِّر البعيدين إن بحِياتنا أو بموتنا.

- الذي يكون سكونه حقيقياً مُثمِراً، هذا لا يُعوزه أن يُكلِّم أحداً عن السكون، لأن سكونَه نفسه سيكون مُعلِّماً للعالم كله.

السكون، يا آبائي، هو الموت عن العالم وعن الشهوات وعن الإرادة الشخصية وعن الذات. نحن جُزْنا هذا الموت سِرِّياً في المعمودية حينما غُطِّسْنا في الماء على اسْم الثالوث الأقدس ثلاث مرَّات وغُمِرْنا بالماء من كل ناحية، فانفصلنا عن العالم وجُزْنا حشرجة الموت. نحن جئنا إلى هنا في البريَّة لنموت عن العالم، نحن هنا نعيش موتنا. فكلما قَطَعْنَا العالم من أفكارنا وقلوبنا وحواسنا، كلما ازْدَدْنا دخولاً إلى السكون حتى نصل إلى إهلاك الذات، وحينئذٍ نرتفع فوق ذواتنا فندخل إلى السكون الحقيقي.

✠✠✠

عيد القيامة المجيد

أبريل ١٩٦٨

الذي أتمنَّاه أن لا يتحوَّل كلامي إلى مُجرَّد حديث أو ذخيرة مكتوبة تحتفظون بها في قلاليكم، ولكن أرجو أن تصنع هذه الكلمات شيئاً في حياتكم، هذه الأمور التي سوف أُكلِّمكم عنها أحصل عليها الآن ببكاء، لأنني لم أجد مَنْ يُعلِّمني، وربما وجدتُ مَنْ يقول لي العكس، وقد صنعوا بي كثيراً مِمَّا أساء إلى نفسي. أنا الآن آخذ معكم كل يوم أموراً جديدة، كلامي اليوم إليكم خطير، وسوف تُعطون عنه جواباً.

– القيامة، يا آبائي، حقيقة صعبة جداً، ماذا حدث يوم القيامة؟ إننا نجد أن القيامة استُعلِنَت على **مراحل مُتعدِّدة** حسب الترتيب الإلهي، وسَنَرَى أصنافاً من التلاميذ، وربما بعضهم عَبَرَ عِدَّة مراحل دون أن يُؤمن! ومراحل القيامة ربما تكون قد عَبَرَت علينا نحن أيضاً. رؤساء الكهنة كانوا عارفين أن المسيح سيقوم بعد ثلاثة أيام، فقد قالوا لبيلاطس: "سمعْنا أن ذلك المُضِلَّ سيقوم بعد ثلاثة أيام" (مت٢٧: ٦٣)، والتلاميذ كانوا عارفين من فَم الرب نفسه أنه سيقوم بعد ثلاثة أيام، ولكن لماذا لم يُؤمِنوا بالقيامة؟! أنتم أخذتمُ الموضوع ببساطة، فقط لأنه مكتوبٌ في الإنجيل. سوف أُبيِّن لكم كيف أن حقيقة القيامة ما زالت ضعيفة فيكم.

– مريم المجدلية ذهبت إلى القَبْر والظلام باقٍ، وكان الملاك قد دحرج الحَجَر الكبير، وكان المسيح قد قام، وهَرَبَ الحُرَّاس فَزِعين إلى المدينة. لقد قال الملاك لمريم: «لم تُجاهدوا بعد حتى الدم مُجاهدين ضد الخطية» (عب١٢: ٤). وكما يقول إنجيل يوحنا، فإن مريم وَجَدَت الحَجَر مَرفوعاً، فتركت المكان بسرعةٍ ومَضَت إلى التلاميذ (بطرس ويوحنا) وأخبرَتْهم بما رأت، فَذَهَبَ الاثنان بسرعةٍ، انْحَنَى بطرس إلى القَبْر ولكن لم يفهم، أمَّا يوحنا الرسول الحبيب فقد نَظَرَ فآمَنَ، حيث كلمة "**نَظَرَ**" هنا أتَت باللغة اليونانية **θεωρεῖν** بمعنى "**تأمَّل**" أي أدْرَكَ المحسوس

بالاستعلان العقلي فَآمَنَ في الحال بالقيامة.

مثال: ممكن أن نَرَى أمامنا شخصاً، فيقول واحد مِنَّا: هذا إنسان غريب الشكل، ويقول آخر: اصمتْ هذا مَلِك. فالآخر يكون قد نَظَرَ بالاستعلان العقلي فيما هو محسوس أمامه، أي حقيقة حادثة أمامه، فيؤمِن إيماناً لا يُمكن أن يَهتزَّ فيه أيَّ اهتزاز.

ومثال آخر: الرب عندما ظَهَرَ بعد القيامة على الشاطئ نَظَرَه التلاميذ بالعيون الطبيعية إنساناً يسير على الشاطئ، أمَّا يوحنا الحبيب فبِالحبِّ استطاع أن يتأمَّله بالاستعلان العقلى فَرَآه أنه الرب يسوع.

يوحنا، أول مَنْ آمَنَ بالقيامة، وَجَدَ أمامه **القَبْر فارغاً والحَجَر مُدحرَجاً واللفائف في مكانها والمَنديل كما هو**. بطرس رأى معه كل هذه العلامات ولكنه لم يُؤمِن.

يوحنا **نظر فآمن، حُبُّ يوحنا مَكَّنه من أن يُدرِك حقيقة القيامة** ويَستَعْلنها في الأشياء التي أمامه، فآمَن.

- الإنسان الذي يحبني يستطيع أن يفهم ما أعمله والذي لا يحبني لا يستطيع أن يفهم، إن كنتَ تُحبُّ أخاك فلا يُمكن أن تشكَّ فيه أو تدينه، عدم المحبة يُسبِّب خطأً شنيعاً في التفكير.

المسيح **ظَهَرَ** لمريم قائلاً: «لماذا تبكين؟ مَنْ تَطْلبين؟... إن كُنتَ قد حَملتَه "مُعلِّمي" فقُلْ لي أين وَضَعْتَه» (يو ٢٠: ١٥). كل هذا و لم تفهم: (١) القَبْر فارغ؛ (٢) الحَجَر مُدحرَج؛ (٣) اللفائف في مَوضعها تُشِير إلى أن الميت قام، وأخيراً؛ (٤) شخص المسيح المُقام أمامَها و لم تُؤمِن حتى الآن.

يُوجَد فرق بين حبِّ العاطفة **وحبِّ الوثوق** أي الإيمان . المجَدلية كان حُبُّها عاطفياً جنونياً، هذا الحبُّ يُعمي عن نظر الحقيقة، أمَّا حُبُّ يوحنا فكان حُبّاً مُتَّزناً واثِقاً، لذلك استطاع به أن يتأمَّل الحقيقة ويُؤمِن بِها.

أخيراً قال لها: "يا مريم" **(العلامة الخامسة)، فانتبهت**. هنا نجد أن

المجَدلية لم تفهم إلاَّ بعد ظهور هذه العلامة الخامسة فآمَنَتْ، قال لها الرب: «اذْهبِي إلى إخوتي وقولي لهم... » (يو٢٠: ١٧)، فذهبت وأخبَرَت التلاميذ، فلم يُصدِّق أحدٌ.

– تلميذا عمواس يتطارحان في الطريق وهما غَيْر فاهِمَين وغَيْر مُؤمِنَين، فظَهَرَ لَهما المسيح، وقالا: «كُنَّا نَرجو أنه هو المُزمِع أن يَفدِيَ إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك، بل بعض النساء منا حَيَّرنَنا (شكٌّ في شكٍّ) إذ كُنَّ باكراً عند القبر. ولما لم يجَدْنَ جسده أتَيْنَ قائلات إنَّهُنَّ رَأَيْن منظر ملائكة قالوا إنه حيٌّ » (لو٢٤: ٢١-٢٣). مع أنَّهم كانوا يعرفون قبلاً من فَم الرب نفسه أنه سَيقوم في اليوم الثالث". كل هذه: **خمسة علامات** عن قيامة الرب لم تَكْفِ لكي يُؤمِن التلميذان. لقد سار الرب بنفسه مع اثنين منهم وكَلَّمهما بكل ما جاء عنه في كتب الأنبياء ومع ذلك لم يعرفاه، ثم أخذ خُبْزاً وبارك وكسر وشكر ثم ناوَلْهما، **وهنا** «**انفتحت أعينهما وعرفاه**» (لو٢٤: ٣١). ألفاظ الرب عند البركة على الخُبْز جعلتهما يعرفانه (**وهذه هي العلامة السادسة**).

باقي التلاميذ لم يُؤمِنوا بعد كل هذه العلامات الست، بعد إيمان يوحنا، إيمان المجَدلية، إيمان تلميذَيّ عمواس اللذَين جاءا مُسرعَين إلى أورشليم وقالا للتلاميذ إنَّهما رأيا الرب. [تلميذا عمواس قابلا المسيح على الطريق حوالي الرابعة بعد الظُهر غالباً].

– ظَهَرَ الرب للتلاميذ مُجتمعين في العلِّية، "وقال لَهم: ... **إني أنا هو جسُّوني**" (لو٢٤: ٣٩). لقد ظَنُّوه خيالاً، ظَنُّوه روحاً، بالرغم من العَلامات الستِّ التي أَظهرَت قيامته. «قال لَهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمكٍ مَشْويٍّ وشيئاً من شهد عسل. **فأخذ وأَكَلَ** قدامَهم» (لو٢٤: ٤١-٤٣) ، فآمَنَ التلاميذ بالحِسِّ في الدرجة السابعة. ومع ذلك، فقد كان توما لا يزال غَيْر مُؤمِن حتى هذه الدرجة إذ قال لهم: «إن لم أُبصر في يديه أَثَر المسامير، وأَضَع إصبعي في أثر المسامير، لا

أُؤمِن» (يو ٢٠: ٢٥). ووَضَعَ توما إصبعه، وآمَنَ بِقيامة الرب (بعد العلامة الثامنة).

– بعد كل هذا العرض أظنُّ أنكَ تُدرك أن تصديق القيامة من التلاميذ كان صعباً جداً، ولا تظن في نفسك أنكَ تُؤمِن بالقيامة إيماناً كاملاً، لم يَصِلْ إيمانك بعد إلى الدرجة التي تساوِى وضع الإصبع في جنب المسيح. القيامة من الأموات حقيقة إلَهية صعبة لأنَّها تفوق المَجال الذي نعيش فيه، ليس مجال الجسد فقط بل مجال المطامع والشهوات ومجال المشاعِر. بُكاؤك على خطاياك مع أنه مُحَبَّب جداً، إلاَّ أنه إنْ لم يكن على نور القيامة، فإنه يَحجز القيامة، يَجعلك تعيش في حُزْنٍ مُتلِف وبلا رجاء، وكذلك بُكاؤك على كرامتك المَجروحة يحرِمك نِهائياً من القيامة.

وسأكتفي اليومَ بذلك عن:

القيامة في حياتنا:

نحن تكلمنا يوم الجمعة العظيمة عن الصليب على ٣ مراحل:

١- الصلب الاضطراري؛ ٢- الصلب الاختياري؛ ٣- الصلب حتى الموت.

يَهمُّني جداً الآن **المرحلة الأولى**، وهي أن نَحتمِل أن يُصلَب فينا الجزء غَيْر الصالح للحياة الأبدية. كَوْنُك لا تُقْدِم على صَلْب الأجزاء التالفة فيك، فأنت لا يُمكنك بالضرورة الإقدام على الصَلْب الإرادي الذي يُصلَب فيه حُبُّك. لأنه إذا لم تحتمِل أن يُقطَع مِنكَ الجزء النَجس، فكيف تَحتمِل أن يُقطَع مِنكَ الجزء الطاهر؟ وإذا لم تحتمِل أن يُقطَع مِنكَ العضو الفاسِد، فكيف تَحتمِل أن يُقطَع مِنك العضو السليم؟ وأظنُّ أن كلامي مفهوم، وهو مفهوم الآن، ولكننا في وقت التجربة نَفشل فشلاً ذريعا! تُصلَب فينا الأماني الكاذبة والمُتَع والراحات والشهوة النَجسة بكدٍّ واجتهاد وتعبٍ كثير، وإن لم نستطع ذلك، فكيف يُصلَب فيَّ حُبِّي على مِثال المسيح؟

– إذا لم تَسْعَ بإرادتك للصلب الاضطراري أولاً، فلن تصل إلى الصلب الاختياري. كل إمكانية الحياة الرهبانية أن تُصلَب، ولكن وأنت في العالم غَيْر ممكن، غَيْر ممكن. هل اليدُ **التي تُقبَّل في العالم يمكن أن يُدَقَّ فيها المسامير**؟ [المثل الفرنسي يقول: اليدُّ التي تمتد لتُقبَّل، قَطْعُها أفضل]. هنا في البريَّة يمكن جداً أنَ تُصلَب لأنه **لا يُوجَد من يُقبِّل يدك**، هنا تُصلَب غصْباً عنك، ولو عرفتَ قيمة الصلب ولذَّته لَطَلْبته وجَرَيتَ وراءه بدموع، هنا ينكشف لنا سلوك آبائنا القديسين الذين كانوا يسعون دائماً لمثل هذا الصَلْب.

هذه الدرجة الأولى البسيطة إن لم تَعبُرْها فلن تَعبُرَ إلى ما بعدها، إن لم تقدر أن تستغني عن إصبعك الذي فيه السرطان، فكيف تستطيع أن تُقدِّم ذراعك كله الطاهر القوي للمسيح؟ إذ أن حياتك كلها ذبيحة للرب؟ أنتَ تكون كذَّاباً إن لم تستطع أن تتحمَّل مِشرَط أخيك، ثم تعتقِد في نفسك أنكَ قدَّمتَ ذاتك ذبيحة لله! إن لم تقدِر أن تَتحمَّل الضيقة التي بسبب نَجاستك وكبريائك وعدم تأدُّبك وقلَّة ذَوْقك، فكيف تُقدِّم ذاتك ذبيحة تحت أرجل إخوتك؟ وما معنى الذبيحة لله إلاَّ أن نبذل ذواتنا من أجل الإخوة! وإذا لم تحتمل إخوتك الآن، فكيف تحتمل الناس في العالم إذا دُعِيتَ للخدمة ككاهن أو أسقف؟ فسوف تُقابِل كلامَهم الصعب واعتراضاتِهم واتِهاماتِهم بالعَجرفة والكبرياء والدينونة، فتسقط من طريقك الإلهي! يستحيل أن تُقدِّم الأجزاء الحلوة فيك ذبيحة لله ما لم تسبِق أولاً وتقطع الأجزاء الفاسِدة.

لابدَّ أن نصلِب المحبَّة التي فينا، نصلِب المَعرفة، أي نُتجاهَل من أجل الرب، نصلِب اللطف، نَصلِب التواضع، أي نَصلِب الأمور الجميلة الحلوة التي فينا، نَصلِب الشطارة، فأَظهِر أنَّني غَشِيم وجاهل. أعْمَلُ شيئاً بطريقة صحيحة، ثم يأتي أخٌ ويقول لي: هذه ليست الطريقة، ويُشِير علَيَّ بطريقة خاطئة فأعملها وأُتَجاهل من أجل الله. إذا أنَّبني أحد عَلَى شيء صَحيح، فأعمل غير الصحيح وأوافِق في الحال، فأنا بذلك أصلب الجزء الصحيح

الذي فيَّ.

الصلب حتى الموت: نحن قدَّمنا ذبيحتنا لله ويجب أن تكون حتى الموت. فإذا تجُاهَلتَ من أجل الله، فيجب أن يكون ذلك بغَيْر حدود حتى الموت، وإذا تواضعتَ من أجل الله فيجب أن يكون ذَلك بغَيْر حدود حتى الموت، لا أنتظر من وراء صَلْبي لِما فيَّ من حُسْن أن أصل إلَى شيءٍ أو إلى حدود. أنتَ تريد أن تتواضع، فلا تضع في قلبك أن تتواضع سنةً أو اثنتين حتى تشتهِر بالتواضع، بل تواضعٍ حتى النهاية، إلى القَبْر، فالمسيح لم يَنْزِل من على الصليب بل ظلَّ مَصلوباً حتى إلى الموت.

أرأيتَ كيف أن **حقيقة القيامة صعبة؟** وهذه هي **القيامة الأولى.** لن تُدرك قيمة القيامة إلاَّ إذا عَبَرْتَ الجزء الأول والثاني والثالث من الصَلب. هنا **تتذوَّق معنى القيامة** التي تساوى إيمان يوحنا وإيمان بطرس والمجَدلية والتلاميذ وتوما.

في هذا العيد المبارك نحتفِل بالنعمة التي وَهَبَها الرب يسوع المُقام من الأموات إلى الأخ الحبيب رمسيس حنا بانضمامه إلى جماعتنا الصغيرة، وفي الحقيقة الأخ رمسيس انضم إلينا منذ سنة ١٩٥٦ أي منذ ١٢ سنة، ولكن الرب لم يَسمح بِوجوده معنا، لكنه كان سائراً في الطريق الذي أحبَّه واشتهاه منذ صِباه وهو طريق الرهبنة إلى أن شاء الرب وسمحَ له بالانضمام إلينا في هذه البَريَّة المُقدَّسة. وقد اختار الرب له اسْم "أنجيلوس"، بما له من صفات تُشابِه الملائكة من البساطة والطهارة، فلْيَجعله الله راهباً مُبارَكاً.

ἄξιος ἄξιος ἄξιος

جلسة يوم عيد القيامة

أبريل ١٩٦٨

تكلمنا في الكنيسة أمس عن أن القيامة أمرٌ صعب جداً، وأنه لا يكفي أن تُؤمِن أن القيامة حدثت وحسب. حياة القيامة هي تَذوُّق الحياة الأبديَّة، أريدكم أن تتذوَّقوا حقيقة القيامة أي الحياة الأبديَّة.

قبل كل شيء، الذي يتمسَّك بالقوانين الأرضيَّة لن يتذوَّق القيامة، الذي يُحافِظ على وجوده الأرضي، أي كرامته وراحته وحياته الأرضيَّة، فلن تُشرِق عليه القيامة. أنتَ الآن عُمرك في حدود من ٣٥ إلى ٤٠ سنة مثلاً وربما تعيش حتى الستين سنة ثم بعد ذلك تموت، تَصوَّر نفسك بعد الموت، هذه هي القيامة، حياة ما بعد الموت، كيف ستكون هذه الحياة؟ وما هي طبيعتها؟ «لا يُزوِّجون ولا يتزوَّجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت٢٢: ٣٠). "ولكن يقول قائلٌ كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون؟... يُزرَع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً" (١كو١٥: ٣٥، ٤٣). إذاً فالقيامةَ هي حياة روحانية بعدَ موت، فالذي يخاف من الموت، كيف يتذوَّق القيامة أو يُحسُّها؟ بِقدر ما تذوق الموت كل يوم بِقدر ما تذوق القيامة.

"أولئك الذين **خَوفاً مِن الموت كانوا جميعاً كل حياتِهم تحت العبودية**" (عب٢: ١٥). فإن كُنَّا نخاف الموت فنحن تحت العبودية كل حياتنا؛ أمَّا إن كُنَّا لا نخاف الموت، فنحن قد تحرَّرنا من العبودية أي صرنا مُقامين من الموت ونعيش الحياة الأبدية. أمَّا الخوف فهو أنواع: تخاف لئلا تموت، تخاف لئلا تتعب، تخاف لئلا تتألم، تخاف لئلا تُهان، تخاف لئلا تُظلم، تخاف لئلا تُضطهَد..الخ.

– وتسألني عن مظاهر الحياة الأرضية، أقول لكَ: إن أهمَّ مظاهرها هو الألم، [أنا أتألم إذاً أنا موجود]، هذا طبعاً غَيْر قَوْل الفيلسوف الذي يقول: [أنا أُفكِّر، لذلك إذاً أنا موجود]. فإن كنتُ لا أتألم فأنا غير

موجود، وإن كنتُ أتهرَّب من الألم فأنا أتهرَّب من الحياة، وإن كنتُ أتقبَّل الألم برضًا وبفرحٍ فأنا أتجاوز الألم، أي أتجاوز الحياة الأرضية، أي أتجاوز الخوفَ من الموت، أي أدخل الحياة التي بعد الموت، أي أعيش القيامة. الذي يُفرِّط في نفسه كل يوم ليذوق الألم والمَحْقرة والتعب والازدراء والْهُزء وكل أنواع الهوان من أجل الرب، هذا بالحقيقة يعيش قيامته الأولى، وبغَيْر ذلك تكون كاذِباً لو قلتَ أنكَ تُؤمِن بالقيامة وتعيشها.

أنا والله والآخر:

الله هو القيامة والحياة، هو أصل الحياة كلها ومصدرها، فإن أنا فصلتُ نفسي عن الله، أكون قد فَصَلتُها عن القيامة والحياة، وإن أردتُ أن أتمتَّع بالله ثم رأيتُ آخرَ أمامي محتاجاً إلى معونة فتركتُه وانطويتُ على نفسي لأتنعَّم بالله، فإني أفقد حقيقة القيامة فيَّ ولا أستطيع أن أثبت في الله. ذلك لأنَّ الله ينبوع حياة مُتدفِّق على الخليقة كلها، فإن حَجَزْتُه بتَرْكي هذا المحتاج، فقد فَلَتَ الله مِنِّي. فمحبَّة الآخر، والتواضع له، والتضحية والبذل من أجله، هذا دخول في سِرِّ القيامة وتجاوزٌ للموت بطريقة إيجابية.

- فأنتَ لو كنتَ تشعر بالقيامة في نفسكَ فقط، فهذه أنانية وليست مسيحية، ولو كنتَ تشعر بالرب معك في كل لحظة ولا تشعر بأخيك، فحياتك مع الرب ما زالت ناقصة. أمَّا إن كنتَ تشعر دائماً بالرب وبأخيك، فهذا هو كَمال الحياة المسيحية حياة القيامة والحياة الأبدية. افرض أني أنا جالس الآن أتحدَّث عن أعمال شخص ما وأَنقُدُها وأدينُها، ثم دَخَلَ هذا الشخص فَجأةً علَيَّ، ماذا يكون سلوكي المسيحي؟ لابدَّ أن أُقابله بالبشاشة والمحبَّة والإخلاص. تقول لي: ألم تكن تدين أعماله منذ دقائق؟ لماذا قابلتَه بمثل هذه البساطة والبشاشة؟ أقول لك: إن المحبَّة تَعلو على كل الضعفات، فأنا بِصفتي أعيش في حياة القيامة المفروض أني

أعيش كل لحظة مع الله ومع الآخر، وعلاقة المحبَّة مُتَّصِلة دائماً بيني وبين الله وبين هذا الآخر.

– افرض وأنتَ جالس الآن دَخَلَ شخصٌ أنتَ لا تستريح إليه ثم سألكَ عن شيء هو لا يعلم موضعه، فأنتَ تستطيع بعدم مبالاة بمشاعرك هذه أن تقول له عن موضعه، وتستطيع بذلك فعل المَحبَّة الساكنة في قلبك التي يجب أن تكون مُتبادَلة دائماً مع أي إنسان أن تقوم سريعاً في الحال وتَبحث له عن طَلَبه وتُقدِّمه له. هنا تتذوّق القيامة التي آمنتَ بها التي هي بالحقيقة فيك، ولا يُمكنك أن تشعر بها إلاَّ إذا غَصَبْتَ نفسكَ على إماتة أهوائك أو تقبَّلتَ الإماتة من آخرين بشكرٍ ورِضَا.

– أمَّا **مُعوقات القيامة** فَهي: تمنِّ طول العُمر، وتَرجِّي السلام والهدوء، وعدم المُصادَمة مع الآلام والأعداء والضيقات في هذا الزمان الحاضر، وطلب الراحة والطمأنينة والحياة الـهَنيَّة السهلة الخالية من الأتعاب.

القيامة نُحقِّقها في حياتنا عن طريق الصليب، فلابدَّ أن تُصلَب اضطرارياً واختيارياً، أي تُصلَب فيك خطاياك ونقائصك، كما وتُصلَب فيك فضائلك ومحَاسنك.

الموت يُشبه باباً طالما أنتَ تخاف منه، لذلك فهو مُقفَل في وجهك لا تستطيع أن تَدخل منه إلى القيامة، وأحياناً نستطيع أن نمرَّ من تحت هذا الباب بواسطة الأعمال التواضعية بالانسِحاق والتذلُّل وقبول الأعمال الحقيرة وبقية الفضائل.

– في كل مرَّة تتهرَّب من الألم والمحقرة والهُزء والمُضايقات والموت، فأنت تَهرب من القيامة.

– في كل مرَّة ترتفع على قوانين الأرض والجسد من أجل الله ومن أجل أخيك، ففي الحال تتذوَّق قانون القيامة أو الحياة الأبدية.

سؤال: ماذا تَعني قيامة الأجساد وقت صلب المسيح؟

جواب: أعتقد أن الناس الذين رأوا **بالنظر المعقول** قيامة أجساد القديسين بعد موت المسيح، كانت رؤيتهم بمثابة شهادة للناس على دخول قوَّة جديدة إلى عالم الأموات، قُوَّة قادِرة أن تُحيي الأجساد الفانية المُحطَّمة المُنْتَّنة وتُقيمها. لقد نَزَل الرب يسوع إلى الجحيم والهاوية وأخرج منها المَقبوض عليهم، فكانت هذه مجموعة منهم ظهرت للناس دليلاً على ذلك، ثم أخذهم معه ودخلوا إلى الفردوس.

[تحت الأرض = عالم الأموات، لأن الميت يُدفَن في التراب].

سؤال: كيف أكل الرب يسوع مع تلاميذه مع أنه كان بجسدٍ آخر غَيْر جسده الأول الذي يأكل ويشرب؟

جواب: الرب يسوع قام بجسد يَظهَر ولا يَظهَر، هو الآن بجسدٍ روحانيٍ، «يُزرَع (أي نموت) جسداً حيوانياً (أي ترابياً) ونقوم جسداً روحانيا» (١كو١٥: ٤٤).

حالة جسد يسوع الآن عكس حالته تماماً قبل القيامة. الرب يسوع قبل التجسُّد كان في حضن الآب ثم أُرسِل إلى حضن الأرض بجسدٍ يُشبِهُنا في كل شيء ما خلا الخطية، وبعد القيامة ذهب إلى حضن الآب: "إنِي أصعدُ إلى أبي" (يو٢٠: ١٧)، فأَكْلُه وشُرْبُه بعد القيامة هو من باب المُعجِزة التي تُساوِي عكس مُعجزات تجسُّده، هو الآن لا يُرَى ولكن من باب المُعجزة يَظهَر عندما يريد، هو الآن لا يأكل ولكن يأكل معهم ليُطَمْئِنهم وذلك من باب المُعجزة، هو الآن لا يُحَسُّ جسدياً ولكن لتثبيت إيمان توما قال له: مِدَّ يدك في أثر المسامير، وبالمعجزة جعله يحسُّ باللاهوت، فصرخ: «**ربي وإلهي**» (يو٢٠: ٢٨).

– المسيح في حياته على الأرض كان طبيعياً في كل شيء، وكان يُخفي لاهوته. والأمور الخارقة على الإمكانيات البشرية كان يتحاشاها، أمَّا بعد القيامة فهو بجسدٍ روحاني وهو يحاول أن يُعرِّفهم أنه هو المسيح يسوع

ولكن بجسدٍ آخر وحياةٍ أُخرَى غَيْر الحياة التي كان يعيش بِها معهم.

فبالنسبة للمجدلية نَراه يُكلِّمها قائلاً: «لا تلْمَسيني» (يو٢٠: ١٧)، لأنه وَجَدَ أن لَمْسَها له كان من باب العاطفة وليس مِن باب السُجود والعبادة الواجبة له كما سَجَدَ له التلاميذ في العلِّية، وقَبِلَ هو منهم هذا السُجود. وهي نفسها لما آمنت وعرفت أخيراً أنه هو هو ولكنه أصبح بحالةٍ أعلَى جداً مِمَّا كان عليها سابقاً، ففي الحال سَجَدَت له سُجودَ العبادة، ولمسَت قَدَمَيه، فقَبِل منها ذلك، [كالشخص الذي كان له صديق وكان له عليه دالَّة كبيرة، ولكن لما صار هذا الشخص مطراناً وجاء صديقه ليصنع معه الدالة رفض المطران من أجل كرامة الأسقفية، ولكنه طبعاً لم يرفض كرامة الأسقفية، والقياس مع الفارق].

- جسد الرب يسوع بعد القيامة هو **لأجلنا، هو نفس الجسد الروحاني الذي سنقوم به يوم القيامة.**

- «أصعد إلى أبي وأبيكم وإلَهي وإلَهكم» (يو٢٠: ١٧)، أُبوَّة الآب للابن هي أُبوَّة جوهرية تختلف عن أُبوَّة الله لنا نحن البشر التي هي أُبوَّة بالتَبنيِّ:

"مبارَك الله **أبو ربنا يسوع المسيح** الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح" (أف١:٣). "نشكر الله **أبا** ربنا يسوع المسيح" (كولو١:٣)، **هذه أُبوَّة جوهرية للابن.**

"كَي يعطيكم **إله ربنا** يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته" (أف١:١٧). بولس الرسول يقصد من كل هذه التعبيرات تعبير يسوع نفسه "**أبي وإلَهي**".

الآب هو أصل كل شيء وهو لقب خاص بأقنوم الابن أي أنه **آب الابن فقط**. أمَّا لقب "**أب**" فهو لجَميع الناس، أراد الرب يسوع أن يُميِّز بين أُبوَّة الآب **له** وأُبوَّة الآب **للبشر**، وكأنه يقول: **أبي الخاص بِأُقنومي**.

تذكار صعود جسد القديسة العذراء مريم

٢٢ أغسطس ١٩٦٨

«لما جاء مِلء الزمان أَرسَل الله ٱبنه مَولوداً من ٱمرأة» (غل٤: ٤).
يَهمُّنا جداً أن نعلم أن الله وُلِدَ من ٱمرأة اختارها، ليس بتمييز خاص، كما يقول الروم بأن الله كان مُنتظِراً السنين الطويلة حتى يجد مريم، وهذا طبعاً تَجَنٍّ صارخ على الله، لأنه يستطيع أن يُقيم من الحِجارة اِبنة تَقِيَّة يُولَد منها. الله عيَّن ملء الزمان الذي حدَّده هو. ولما كَمُلَ الزمان، اِختار من أولاده الأتقِياء اِبنة تَقِيَّة أتقَى مَنْ في عصرها، ولكنها اِبنة طبيعتها كطبيعتي وطبيعتك، أي طبيعة بشرية ضعيفة، وهو طهَّرها بالروح القدس ووُلِد منها.

– مُهِمٌّ جداً أن نعلَم أن طبيعة القديسة العذراء هي طبيعتي أنا، وهذا هو مَصدر فرحِي وعزائي، وليس كما تقول الكنيسة الكاثوليكية: إنه حُبِلَ بِها بلا دنس الخطيئة الأصلية، وأنه عَصَمَها من الخطيئة، لأنَّها تقول في تَسبحتها إن: «الله مُخلِّصي» (لو١: ٤٧).

الله حَلَّ في بطن القديسة العذراء وأخذ منها جسداً بشرياً مِثلنا تماماً، ما خلا الخطية. هذا الجسد البشرى الذي يتعب ويجوع ويعطش ويحزَن ويفرح أخذه اِبنُ الله لنفسه واتحد به وأَخْذُه الجسد البشري لم يُفْقِده لاهوته قط، هو هو كما هو، وصعد به وتمجَّد به، وهو به الآن عن يمين الآب، و لم يَتخَلَّ عنه.

– لابدَّ أن نَفهَم أن **طبيعتنا البشرية غَيْر مُحتَقَرة عند الله**، بدليل أنه ارتَضَى أن يأخذها من مريم العذراء، وارتَضَى أن يتحد بِهذه الطبيعة البشرية، ولا يُغيِّر فيها شيئاً، بل صانَها وطهَّرها، وتمجَّد بِها، وما زال ممجَّداً بها في السماء.

– كثيرون من الروحيين (خصوصاً في بستان الرهبان) يُحَاولون دائماً في أحاديثهم أن يمسخوا الطبيعة البشرية ويعتَبِرونَها مُنحَطَّة جداً ونَجِسة

وأن الكلاب أفضَل منها وأن الحمير أحسَن! هذا الاتجاه الروحي تأثَّر به كثيرون وتَسرَّب فِعلاً إلى التربَوِّيين في العالم فاضطَّروا في نِهاية القرن التاسع عشر أن يقولوا إن الإنسان لم يُحقِّق نفسه من حياتِه، فاضطَّر آخرون أن يقوموا ضِدَّهم لكي يُلغوا هذه النظرية، فألحَدوا، وانحرفوا؛ إلى أن ظهرت الوجودية التي قالت: إن الإنسان إله نفسه. وهذا كله يَرجِع إلى انحراف المسيحيين وتجاهلهم لعمل المسيح العجيب الذي عمله بتجسُّده الذي فيه كَرَّم طبيعتنا البشرية باتحاده بها. وهل يُوجَد عمل أَعظَم من هذا؟ أن يَهتمَّ الله ويبذُل اِبنه الوحيد لكي يُنقِذ ويُخلِّص الإنسان؟ أليس هذا مَعناه أن الله يُقدِّر جداً الطبيعة البشرية التي لنا و لم يحتقرها قط؟

– هناك قول للقديس أثناسيوس الرسولي يقول: [إنَّ الله صار إنساناً لكي يجعلَنا آلِهة]، ومن هذا القول ربما يتمادَى أحدٌ ويقول: "إننا بذلك نفقد إنسانيتنا أو نتعالى أعلى من إنسانيتنا"، كلا، إن بشريَّتنا لا يُمكن أن تُفقَدَ في المسيح، إن بشريتنا ممجَّدة ومُكرَّمة في المسيح، لأن هذا ما حَدَث بالفعل في المسيح، ولابدَّ أن نثق الآن أن طبيعتنا في المسيح صارت ممجَّدة ومحبوبة جداً لَديه.

الرب يسوع يقول في صلاته الوداعية مُخاطباً الآب: «**وأنا قد أعطيتُهم المجَد الذي أعطيتَني**» (يو١٧: ٢٢)، مع أنه لم يكن بعد قد صُلِبَ، وقال لسامعيه: «**لا أعود أُسمِّيكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سَمَيْتُكم أحبَّاء، لأني أعلَمْتُكم بكل ما سمعته من أبي**» (يو١٥: ١٥)، فالمسيح باتحاده بطبيعتنا البشرية أَعطَى مجْده لنا نحن الذين صِرنا اِخوته وأحبَّاءه بالتدبير.

العذراء مريم تُمثِّل هذا الحلول العجيب في الطبيعة البشرية الذي فيه يُظهِر الرب عِظَم حُبٍّ واهتمامٍ بإنسانيتنا. فالعذراء مريم هي أختي بالطَبيعة وهي إنسان مِثلي، وقد وُلِدَ منها ربُّ المجَد آخِذاً منها طبيعتي البشرية ومجدها، فأنا أمام العذراء أُقدِّم المجَد لله والشُكر والحَمد، إذ في

العذراء مريم عرفتُ قَدر اهتمام الله بي وبطبيعتي البشرية، وفيها رأيتُ عِظَم المجَد الذي صار لنا بتجسُّد الرب. بل والإنسان غَيْر المُؤمِن عندما يقف أمام العذراء مريم ويتأمَّل في شخصها ويثق أنَّها كُلية الطُهر، وفي قول آخر "أَطهَر نساء العالمين" (بقوَّة روح الله) فربما يقوده هذا الإيمان إلى الإيمان بابنها الذي صار لها به هذا المجَد.

المجَد الذي صار لنا بالمسيح عندما يُستَعلَن فينا في السماء لن يُغيِّر أشخاصنا، بل كُل واحد سَيَصِير هو هو، وهذا الجسد لابدَّ أن يتمجَّد ويصير على شِبه جسد الرب يسوع «الذي سَيُغيِّر شكل جسد تواضعنا إلى صورة جسد مجده» (في٣: ٢١).

لابدَّ أن أومِن يقيناً أن الله قد اتحدَ بطبيعتي البشرية فصار لي أنا المجَد من الآن لأنه يقول: «وأنا قد أَعْطيتُهم المجَد الذي أَعطَيتَني» (يو١٧: ٢٢). ولما صار صوتٌ من السماء قال الواقفون: «قد كَلَّمه ملاك» ، وذلك عندما سمعوا صوتاً من السماء، وكان هذا صوت الآب: «مجَّدتُ وأُمجِّد»، «فأجاب يسوع وقال: ليس من أجلِي صار هذا الصوت بل من أجلكم» (يو١٢: ٢٨-٣٠). وقال لَهم أيضاً: «لا أعود أُسَمِّيكم عبيداً... قد سَمَّيتُكم أحبَّاء» (يو١٥:١٥). لذلك يجب أن نثِق أن المسيح الآن فينا، ونحن بطبيعتنا البشرية ممجَّدين فيه. والعذراء مريم هي مِثال لِهذا الاتحاد ولِهذا التمجيد الذي صار للبشرية بربنا يسوع المسيح.

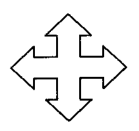
الذي يَظُنُّ أن هذا الاتحاد سوف يَتمُّ في الأبدية فقط ولا يثق به من الآن، فهذا لن يكون له. نحن من جُرن المَعمودية أخذنا الاتحاد بالرب ووُلِدنا بالروح القدس: «حتى كما أُقِيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن في جَدَّة الحياة» (رو٦: ٤)، فأنا الآن مُمجَّد في المسيح الذي أخذ طبيعتي هذه واتحد بِها وكرَّمها، وهي بعينها ممجَّدة الآن فيه في السَماء. نَعَم أنا إنسان خاطئ، وخطاياي أمامي وأمام إخوتي، ولكن أمام الله فأنا في المسيح، الله لا يَرَى فيَّ إلاّ برَّ المسيح الذي أتمسَّك أنا به، لأن خطيتي تذوب في دم المسيح كما تذوب قطرة الماء أمام أتون النار.

سؤال: ما هي مكانة العذراء مريم؟ وما هي أفضليتها علَى القديسين؟

جواب:العذراء مريم محسوبَة أُمّاً للمسيح ووالدة الإله "ثيئوتوكوس"، وفي الوقت نفسه عضواً في جسد المسيح.

أمومتها دائمة وعلاقتها مع ٱبنها علاقة دائمة مُستَمِرَّة، فالمسيح يرتاح إليها لأنَّها أُمُّه، فهي في ذلك تفوق القديسين والملائكة والشيروبيم. وإن كان العبد الأمين يُستَأمَن على عَشْر مُدُن (لو١٩: ١٧) فكم تكون أُمُّه؟ فهي تُستَأمَن على الكنيسة كلها. فهي لا تَهدأ، بل تجول تصنع خَيْراً في العالم مِثلما كان يفعل ٱبنُها، وهي شفيعة البشرية كلها، تَعرف ضعفَهم، وبالتالي فهي مُنْجدة ومُعينة للضعفاء والمساكين والخطاة والمُجاهِدين، وهذا يُسرُّ اِبْنَها جداً.

كلُّ مَنْ يجاهِد في الطريق الروحي يستطيع أن يكشف لنا معونات القديسة العذراء مريم المُستَمِرَّة له.



✤

كتب أخرى عن توجيهات وعظات رهبانية

للأب متى المسكين

يُطلب من:

دار مجلة مـرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

كنز نفيس للراهب الباحث عن الطريق

خبرة رهبنة الصيرة الجدى

والترحيل الروحى

بالرغم

من الطرد والمطرنة والتشليح والتجريد

عشر سنوات معًا

متى المسكين

٢٠٠١/٤



٦٧١

الثمن ١٥ جنيه